وباللغة الفصحا من العرب التي * بها نزل الذكر العزيز الممجد
ومعرفة الاخبار ثم رواتها * عدولا ومن بالطعن فيه تردد
وبالعلم بالفرق الذى بين واجب * وندب ومافيه الاباحة تقصد
ومابين حظر موبق وكراهة * وتقييدها والعلم نعم المقيد
وفى النحو والتصريف للمرء عصمة * من اللحن فاللحان باللحن مكمد
ومعرفة الاعراب أرفع مرتقى * فطوبى لمن يرقي اليه ويصعد
وعلم المعاني والبيان كلاهما * مراق الى علم البديع ومصعد
وسلطان منقول الفقيه متى يجد * وزيراً من المعقول فهو مؤيد
وان الجلالى السيوطي للهدى * لكوكب علم بالضيا يتوقد
وقد جاد صيب العلم روضة أصله * فطاب له بالعلم فرع ومحتد
وذي حسد مفرى ببغداد فضله * على نفسه يبكي أسى ويعدد
فلو أبصر الكفار في العلم درسه * وقد شاهدوا تقريره لتشهدوا
فخذها جلال الدين في المدح كاعباً * لها جيد حسن بالنجوم مقلد
ولا تبتئس من قول واش وحاسد * فما برحت أهل الفضائل تحسد
ومن لحظت مسعاه عين عناية * فطرف أعاديه مدى الدهر أرمد
وبالعلم من يؤمن وعيد الهه * فان بوعد الفوز موعده غد
وحيث وهي ثوب اجتهاد فذو العلا * يقيض فى الدنيا له من يجدد
بمن أخبر المختار عنهم وانهم * لطائفة بالحق للدين تعضد
باخلاصهم لا الهجو يوماً يسؤهم * ولا سرهم مدح الذي راح يحمد
وهذا اعتقاد المؤمنين أولى النهى * فلا يك في هذا لديك تردد
وان جلال الدين منهم فانه * بيمني علوم الدين سيف مجرد
وان القوافي ضقن ذرعا عن الذى * له من تصانيف فليست تعدد
وان الفقير القادرى لعاجز * عن المدح فى علياه اذ يتقصد
وقاه اله العرش من كل محنة * وما أضمرت يوما عداه وحسد
بجاه رسول الله أحمد مرسل * بامداحه جاء الكتاب الممجد
عليه مع الآل الكرام وصحبه * صلاة على طول المدى تتجدد

قد تم الجزء الاول من كتاب حسن المحاضره في أخبار مصر والقاهرة ويليه الجزء الثاني أوله ذكر أمراء مصر من حين فتحت الى أن ملكها بنو عبيد

# كتاب

## حسن المحاضره في أخبار مصر والقاهره

تأليف

العلامة الشيخ جلال الدين السيوطي الشافعي

رحمه الله آمين

﴿ طبع على ذمة مصطفى افندي فهمي الكتبي ﴾

وأخويه

﴿ الجزء الثانى ﴾

( طبع بمطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق بمصر )

« لصاحبها اسماعيل حافظ الخبير بالمحاكم الاهلية »

# بسم الله الرحمن الرحيم

## ذكر أمراء مصر من حين فتحت الى أن ملكها بنو عبيد

أول أمير عمرو بن العاص رضى الله عنه ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الفسطاط وأسفل الارض وولى عبدالله بن سعد بن أبي سرح على الصعيد الى الفيوم أخرج ابن عبدالحكم عن أنس قال أتى رجل من أهل مصر الى عمر ابن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين عائذ بك من الظلم قال عذت معاذا قال سابقت عمر بن العاص فسبقته فجعل يضربني بالسوط ويقول أنا ابن الاكرمين فكتب عمر الى عمرو يأمره بالقدوم عليه ويقدم ابنه معه فقدم فقال عمر أين المصري خذ السوط فاضرب فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر اضرب ابن الاكرمين ثم قال للمصرى ضعه على صلعة عمرو قال يا أمير المؤمنين انما ابنه الذى ضربني وقد أشفيت منه فقال عمر لعمرو مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرار قال يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتني * وأخرج ابن عبدالحكم عن نافع مولى ابن عمران صبيغا العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر فبعث به عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب فضربه ونفاه الى الكوفة وكتب الى أبي موسى الاشعرى أن لايجالسه أحد من المسلمين وقال ابراهيم بن الحسين بن ديزيل في كتابه حدثنا عبدالله بن صالح حدثني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب ان عمرو بن العاص استحل مال قبطي من قبط مصر لانه استقر عنده انه كان يظهر الروم على عورات المسلمين يكتب اليهم بذلك فاستخرج منه بضعاً وخمسين أردبا دنانير قال أبو صالح والاردب ست ويبات وعبرنا الويبة فوجدناه تسعاً وثلاثين ألف دينار قال الحافظ عماد الدين بن كثير فعلى هذا يكون مبلغ ما أخذ من هذا القبطي يقارب ثلاثة عشر ألف ألف دينار قال ابن عبدالحكم توفي عمر وعلى مصر أميران عمرو بن العاص بأسفل الارض وعبدالله بن سعد على الصعيد فلما استخلف عثمان بن عفان عزل عمرو بن العاص وولى عبدالله بن سعد أميرا على مصر كلها وذلك فى سنة خمس وعشرين وقال الواقدى وأبو معشر في سنة سبع وعشرين فانتقل عمرو ابن العاص الى المدينة وفي نفسه من عثمان أمر كبير وجعل عمرو بن العاص يؤلب الناس على عثمان وكره أهل مصر عبدالله بن سعد بعد عمرو بن العاص واشتغل عبدالله بن سعد عنهم بقتال أهل المغرب وفتحه بلاد البربر والاندلس وأفريقية ونشأ بمصر طائفة من أبناء الصحابة يؤلبون الناس على حرب عثمان والانكار عليه في عزله عمراً وتولية من

دونهم وكان عظم ذلك مسندا الى محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة حتى استنفرا نحوا من ستمائة راكب يذهبون الى المدينة لينكروا على عثمان فساروا اليها وسألوه أن يعزل عنهم ابن أبي سرح ويولى محمد بن أبي بكر أميرا فأجابهم الى ذلك فلما رجعوا اذا هم براكب فأخذوه وفتشوه فاذا في أدواته كتاب الى ابن أبي سرح على لسان عثمان بقتل محمد بن أبي بكر وجماعة معه فرجعوا وداروا بالكتاب على الصحابة فلام الناس عثمان على ذلك فحلف ماله علم بذلك وثبت أنه زوّره على لسانه مروان بن الحكم وزور على خاتمه فكان ذلك سبب تحريض المصريين على قتل عثمان حتى حصروه وقتلوه وكان الذى باشر قتله رجلا من أهل مصر من كندة يسمى أسود بن حمران ويكني أبا رومان ويلقب حمارا وقيل اسمه رومان وقيل اسمه سودان بن رومان المرادى وكان أشقر أزرق وقتل هو أيضاً في الجمل لعنه الله ورضى عن عثمان أمير المؤمنين وفعل المصريون في المدينة من الشر مالا يفعله فارس والروم ونهبوا دار عثمان وعدلوا الى بيت المال فأخذوا مافيه وكان فيه شئ كثير جدا وذلك في ذى الحجة سنة خمس وثلاثين وأخرج الواقدى عن عبد الرحمن بن الحرث قال الذى قتل عثمان كنانة بن بشر بن غياث التجيبي حتي قال القائل

ألا ان خير الناس بعد ثلاثة * قتيل التجيبي الذى جاء من مصر

وأخرج ابن عساكر عن سعيد بن المسيب قال كانت المرأة تجيء في زمان عثمان الى بيت المال فتحمل وقرها وتقول اللهم بدل اللهم غير فلما قتل عثمان قال حسان بن ثابت

قلتم بدل فبدلتموا * سنة حرى وحرية كاللهب
مافقتم من ثياب خلقة * وعبيد واماء وذهب

وروى محمد بن عائذ عن اسمعيل بن عياش عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن ابن جبير قال سمع عبد الله بن سلام رجلا يقول لآخر قتل عثمان بن عفان فلم ينتطح فيها عنزان فقال ابن سلام أجل ان البقر والغنم لاتنتطح في قتل الخليفة ولكن تنتطح فيه الرجال بالسلاح والله ليقتلن به أقوام انهم لفي اصلاب آبائهم ماولدوا بعد وبقيت المدينة خمسة أيام بلا خليفة والمصريون يلحون على علىّ ان يبايعوه وهو يهرب منهم ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه والبصريون طلحة فلا يجيبهم فقالوا فيما بينهم لانولى أحداً من هؤلاء الثلاثة فمضوا الى سعد بن أبي وقاص فلم يقبل منهم ثم جاؤا الى ابن عمر فأبي عليهم فحاروا في أمرهم وقالوا ان نحن رجعنا بقتل عثمان عن غير أمرة اختلف الناس فرجعوا الى علىّ فألحوا عليه فبايعوه فأشار عليه ابن عباس باستمرار نواب عثمان في البلاد الى حين آخر فأبي عليه وعزل عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن مصر وولى عليها قيس بن سعد بن عبادة وكان محمد بن أبي حذيفة لما بلغه حصر عثمان تغلب على

الديار المصرية وأخرج منها ابن أبي سرح وصلى بالناس فيها فسار ابن أبي سرح فجاءه الخبر في الطريق بقتل عثمان فذهب الى الشام فأخبر معاوية بما كان من أمره بديار مصر وان محمد ابن أبي حذيفة قد استحوذ عليها فسار معاوية وعمرو بن العاص ليخرجاه منها فعالجا دخول مصر فلم يقدرا فلم يزالا بها حتى خرج الى العريش في ألف رجل فتحصن بها وجاء عمرو بن العاص فنصب عليه المنجنيق حتى نزل في ثلاثين من أصحابه فقتلوا ذكره ابن جرير ثم سار الى مصر قيس بن سعد بن عبادة بولاية من علي فدخل مصر في سبعة نفر فرقى المنبر وقرأ عليهم كتاب امير المؤمنين علي ثم قام قيس فخطب الناس ودعاهم الى البيعة لعلي فبايعوا واستقامت له طاعة بلاد مصر سوى قرية منها يقال لها خربتا فيها أناس قد أعظموا قتل عثمان وكانوا سادة الناس ووجوههم وكانوا في نحو من عشرة آلاف منهم بسر بن ارطاة ومسلمة بن مخلد ومعاوية بن خديج وجماعة من الاكابر وعليهم رجل يقال له يزيد بن الحرس المدلجي وبعثوا الى قيس بن سعد فوادعهم وضبط مصر وسار فيها سيرة حسنة قال ابن عبد الحكم لما ولي قيس مصر اختط بها دارا قبلي الجامع فلما عزل كان الناس يقولون انها له حتى ذكرت له فقال وأي دار لي بمصر فذكرها له فقال انما تلك بنيتها من مال المسلمين لاحق لي فيها ويقال ان قيساً أوصى لما حضرته الوفاة اني كنت بنيت داراً بمصر وأنا واليها واستعنت فيها بمعونة المسلمين فهي للمسلمين ينزلها ولاتهم وكانت ولاية قيس مصر في صفر سنة ست وثلاثين فكتب معاوية الى قيس يدعوه الى القيام بطلب دم عثمان وان يكون هو ازراله على ماهو بصدده من القيام في ذلك ووعده ان يكون نائبة على العراقيين اذا تم له الامر فلما بلغه الكتاب وكان قيس رجلا حازماً لم يخالفه ولم يوافقه بل بعث يلاطف معه الامر وذلك لبعده من علي وقربه من بلاد الشام وما مع معاوية من الجنود فسالمه قيس وتركه فأشاع بعض أهل الشام ان قيس بن سعد يكاتبهم في الباطن ويعالبهم على أهل العراق وروى ابن جرير أنه جاء من جهته كتاب مزور بمبايعته معاوية فلما بلغ ذلك علياً أتهمه وكتب اليه ان يغزوا أهل خربتا الذين تخلفوا عن البيعة فبعث يعتذر اليه بأنهم كثير عددهم وهم وجوه الناس وكتب اليه ان كنت انما أمرتني بهذا لتختبرني لانك أتهمتني فابعث على عملك بمصر غيري فولى علي على مصر محمد بن أبي بكر وارتحل قيس الى المدينة ثم ركب الى علي واعتذر اليه وشهد معه صفين فلم يزل محمد بن أبي بكر بمصر قائم الامر مهيباً بالديار المصرية حتى كانت وقعة صفين ولما بلغ أهل مصر خبر معاوية ومن معه من أهل الشام على قتال أهل العراق وصاروا الى التحكيم فطمع أهل مصر في محمد بن أبي بكر واجترؤا عليه وبارزوه بالعداوة

وندم علىّ بن أبي طالب على عزل قيس عن مصر لانه كان كفؤا لمعاوية وعمرو فلما فرغ على من صفين وبلغه ان أهل مصر استخفوا بمحمد بن أبي بكر لكونه شابا ابن ست وعشرين سنة أو نحو ذلك عزم على رد مصر الى قيس بن سعد ثم انه ولى عليها الاشتر النخعي فلما بلغ معاوية تولية الاشتر ديار مصر عظم ذلك عليه لانه كان طمع فى استنزاعها من يد محمد بن أبي بكر وعلم ان الاشتر سيمنعها منه لحزمه وشجاعته فلما سار الاشتر اليها وانتهى الى القلزم استقبله الحايسار وهو مقدم على الخراج فقدم اليه طعاماً وسقاه شراباً من عسل فمات منه فلما بلغ ذلك معاوية وأهل الشام قالوا ان لله جنداً من عسل وقيل ان معاوية كان تقدم الى هذا الرجل في ان يحتال على الاشتر ليقتله ففعل ذلك ذكره ابن جرير فلما بلغ علياً وفاة الاشتر تأسف عليه لشجاعته وكتب الى محمد ابن أبى بكر باستقراره واستمراره بديار مصر وكان ضعف جاشه مع ما فيه من الخلاف عليه من العثمانية الذين ببلد خربتا وقد كانوا اسفحل أمرهم وكان أهل الشام حين انقضت الحكومة سلموا على معاوية بالخلافة وقوى أمرهم جداً فعند ذلك جمع معاوية أمراءه واستشارهم فى المسير الى مصر فاستجابوا له وعين نيابتها لعمرو بن العاصى اذا فتحها ففرح بذلك عمرو فكتب معاوية الى مسلمة بن مخلد ومعاوية بن خديج وهما رؤساء العثمانية ببلاد مصر يخبرهم بقدوم الجيش اليهم سريعاً فاجابوه فجهز معاوية عمرا بن العاص في ستة آلاف فسار اليها واجتمعت عليه العثمانية وهم عشرة آلاف فكتب عمرو الى محمد بن أبي بكر أن تنح عني بدمك فاني لا أحب ان يصيبك منى ظفر وان الناس قد اجتمعوا بهذه البلاد على خلافك فأغلظ محمد بن ابي بكر لعمر في الجواب وركب فى ألفى فارس من المصريين فأقبل عليه الشاميون فأحاطوا به من كل جانب وتفرق عنه المصريون وهرب هو فاختفى في خربة ودخل عمرو بن العاصي فسطاط مصر ثم دل عن محمد بن أبي بكر فجيء به وقد كان يموت عطشا فقدمه معاوية بن خديج فقتله ثم جعله فى جيفة حمار فأحرقه بالنار وذلك في صفر سنة ثمان وثلاثين وكتب عمرو ابن العاص الى معاوية يخبره بما كان من الأمر وان الله قد فتح عليه بلاد مصر فأقام عمرو أميرا بمصر الى ان مات بها ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وأربعين على المشهور ودفن بالمقطم من ناحية الفج وكان طريق الناس يومئذ الى الحجاز فاحب ان يدعوله من مر به وهو أول أمير مات بمصر وفي ذلك يقول عبد الله بن الزبير

ألم تر أن الدهر أخنت ربوبه * على عمرو السهمي تحيي له مصر
فاضحى نبيذاً بالعراء وضللت * مكائده عنه وامواله الدثر
ولم يغن عنه جمعه المال برهة * ولا كيده حتى اتيح له الدهر

فلما مات عمرو بن العاص ولى معاوية على ديار مصر ولده عبد الله بن عمرو قال الواقدى فعمل له عليها سنتين وقال غيره بل أشهرا ثم عزله وولى عتبة بن أبي سفيان ثم عزله وولى عقبة بن عامر سنة أربع وأربعين فاقام الى سنة سبع وأربعين فعزله وولى معاوية بن خديج فأقام الى سنة خمسين فعزله وولى مسلمة بن مخلد وجمعت له مصر والمغرب وهو أول وال جمع له ذلك قال ابن عبد الحكم حدثنا عبد الملك بن مسلمة عن ابن لهيعة عن بعض شيوخ اهل مصر قال أول كنيسة بنيت في فسطاط مصر الكنيسة التى خلف القنطرة أيام مسلمة بن مخلد فانكر ذلك الجند على مسلمة وقالوا له اتقر لهم ان يبنوا الكنائس حتى كاد يقع بينهم وبينه شر فاحتج عليهم مسلمة يومئذ فقال انها ليست في قيروانكم وانما هى خارجة في أرضهم فسكتوا عند ذلك فأقام مسلمة اميرا الى سنة تسع وخمسين وكان عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان بن ربيعة الثقفى المشهور بابن ام الحكم هي أخت معاوية أميرا على الكوفة فاساء السيرة في أهلها فاخرجوه من بين أظهرهم طريدا فرجع الى خاله معاوية فقال لا ولينك مصر خيرا منها فولاه مصر فلما سار اليها تلقاه معاوية بن خديج على مرحلتين من مصر فقال ارجع الى خالك فلعمرى لاتسير فينا سيرتك فى اهل الكوفة فرجع ابن ام الحكم ولحقة معاوية بن خديج وافدا على معاوية فلما دخل عليه وجده عند اخته ام الحكم وهي ام عبد الرحمن الذى طرده عن مصر فلما رآه معاوية قال بخ بخ هذا معاوية بن خديج فقالت ام الحكم لامرحباً تسمع بالمعيدى خير من ان تراه فقال معاوية بن خديج على رسلك ياام الحكم اما والله لقد تزوجت فما اكرمت وولدت فما نجبت أردت ان يلى ابنك الفاسق علينا فيسير فينا كما سار في اهل الكوفة فما كان الله ليريه ذلك ولو فعل لضربنا ابنك ضرباً يطأطئ منه وان كره هذا الجالس فالتفت اليها معاوية فقال كفى فاستمر مسلمة على امرة مصر الى ان مات في خلافة يزيد في ذى الحجة سنة اثنتين وستين فولى بعده سعيد بن يزيد ابن علقمة الازدى فلما ولي الزبير الخلافة بعد موت يزيد وذلك فى سنة اربع وستين استناب على مصر عبد الرحمن بن قحزم القرشى الفهرى فقصد مروان مصر ومعه عمرو ابن سعيد الاشدق فقاتل عبد الرحمن فهزم عبد الرحمن وهرب ودخل مروان الى مصر فتملكها وجعل عليها ولده عبد العزيز وذلك في سنة خمس وستين فلم يزل اميرا بها عشرين سنة وكان ابوه جعل اليه عهد الخلافة بعد عبد الملك فكتب اليه عبد الملك يستنزله عن العهد الذى له من بعده لولده الوليد فأبي عمله ثم مات من عامه قال ابن عبد الحكم وقع الطاعون بالفسطاط فخرج عبد العزيز الى حلوان وكان بن خديج يرسل اليه في كل يوم بخبر ما يحدث فى البلد من موت وغيره فأرسل اليه ذات يوم رسولا فاتاه فقال

له عبد العزيز ما اسمك قال أبو طالب فثقل ذلك على عبد العزيز وغاظه فقال أسألك عن اسمك فتقول ابو طالب ما اسمك قال مدرك فتفأل عبد العزيز بذلك فرض فدخل نصيب الشاعر فانشأ يقول

ونزور سيدنا وسيد غيرنا * ليث التشكى كان بالعواد
لو كان يقبل فدية لفديته * بالمصطفى من طارفي وتلادى

فامر له بألف دينار ثم مات عبد العزيز بحلوان فحمل في البحر الى الفسطاط ودفن بمقبرتها وكانت وفاته ليلة الاثنين ثانى عشر جمادى الاولى سنة ست وثمانين وكتب على قصره بحلوان

أين رب القصر الذى شيد القصـــر وأبن العبيد والاجناد
أين تلك الجموع والامر والنهـــى واعوانهم وأين السواد

وقال عمر بن أبي الجدير العجلاني يرثى عبد العزيز بن مروان وابنه ابا رباب

ابعدك ياعبد العزيز لحاجة * وبعد ابي رباب يستعتب الدهر
فلا صلحت مصر لحىّ سوا كما * ولا سقيت بالنيل بعدكما مصر

فامر بعده عبد الملك فاقام شهرا الا ليلة ثم صرف وولى بعده ابنه عبد الله بن امير المؤمنين عبد الملك قال الليث بن سعد وكان حدثا وكان اهل مصر يسمونه تكيس وهو أول من نقل الدواوين الى العربية وانما كانت بالعجمية وهو أول من نهى الناس عن لباس البرانس فأقام الى التسعين فعزله أخوه الوليد وولى قرة ابن شريك العبسى فقدمها يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الاول وفي ذلك يقول الشاعر

عجبت ماعجبت حين أتانا * ان قد أمرت قرة بن شريك
وعزلت الفتى المبارك عنا * ثم قيلت فيه رأى أبيك

وكان قرة ظلوماً عسوفاً قيل كان يدعو بالخمر والملاهي في جامع مصر أخرج أبو نعيم في الحلية قال قال عمر بن عبد العزيز الوليد بالشام والحجاج بالعراق وقرة بمصر وعثمان بن حيان بالحجاز امتلأت والله الارض جورا وقال ابن عبد الحكم انبأنا سعيد بن عفير ان عمال الوليد بن عبد الملك كتبوا اليه ان بيوت الاموال قد ضاقت من مال الخمس فكتب اليهم ان ابنوا المساجد فأول مسجد بني بفسطاط مصر المسجد الذى في أصل حصن الروم عند باب الريحان قبالة الموضع الذى يعرف بالقالوس يعرف بمسجد العيلة فأقام قرة واليا بمصر الى ان مات سنة ست وتسعين فولى بعده عبد الملك بن رفاعة القيني فأقام سنة تسع وتسعين ثم ولى أيوب بن شرحبيل الاصبحي فأقام الى سنة احدى ومائة ثم ولى بشر بن صفوان الكلبي فأقام الى سنة ثلاث ومائة ثم ولي أخوه حنظلة فأقام الى سنة

خمس ومائة ثم ولى محمد بن عبد الملك أخو هشام بن عبد الملك الخليفة ثم ولى الحر بن يوسف ثم ولى حفص بن الوليد فأقام الى آخر سنة ثمان ومائة وولى بعده سنة تسع ومائة عبد الملك بن رفاعة وصرف في السنة وولى أخوه الوليد فأقام الى ان توفى سنة تسع عشرة وولى بعده عبد الرحمن بن خالد الفهمى فأقام سبعة أشهر وصرف واعيد حنظلة بن صفوان في سنة عشرين ثم صرف وأعيد حفص بن الوليد فأقام ثلاث سنين ثم صرف وولى بعده سنة سبع وعشرين حسان بن عتاهية التجيبي ثم أعيد حفص بن الوليد وعزل عنها سنة ثمان وعشرين وولى الحوثرة بن سهيل الباهلى ثم ولى المغيرة بن عبيد الفزارى سنة احدى وثلاثين ثم ولي عبد الملك بن مروان مولى لخم سنة اثنتين وثلاثين ومائة ثم لما قامت الدولة العباسية وقام السفاح وانهزم مروان الحمار وهرب الى الديار المصرية ولي السفاح نيابة الشام ومصر صالح بن على بن عبد الله بن عباس فسار صالح حتى قتل مروان ببوصير في ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة ثم رجع الي الشام واستخلف على مصر أبا عون عبد الملك بن أبي يزيد الازدى فأقام الى سنة ست وثلاثين ثم أعيد صالح بن على ثم صرف وأعيد أبو عون سنة سبع وثلاثين فأقام الي سنة احدى وأربعين ثم ولي بعده موسى بن كعب التميمي فأقام سبعة أشهر ومات وولى محمد بن الاشعث الخزاعي ثم عزل سنة اثنتين وأربعين وولي نوفل بن الفرات ثم عزل نوفل وولي حميد بن قحطبة الطائي ثم صرف سنة أربع وأربعين وولي يزيد بن حاتم المهلبي فأقام الى سنة اثنتين وخمسين فعزل وولى محمد بن سعيد فأقام الي ان استخلف المهدى فعزله في سنة تسع وخمسين وولى أبا ضمرة محمد بن سليمان كذا في تاريخ ابن كثير وأما الجزار فقال انه ولى بعد يزيد بن حاتم عبد الله بن عبد الرحمن ابن معاوية بن خديج التجيبي ثم ولى بعده أخوه فأقام سنة وشهرين ثم ولى بعده موسى بن على اللخمي سنة خمس وخمسين فأقام الى سنة احدى وستين ثم ولى عيسى بن اللخمى ثم ولي واضح مولي المنصور سنة اثنتين وستين ثم صرف من عامه وولي منصور بن يزيد الحميري ثم ولى بعده يحيى بن ممدود أبو صالح الجرسى ثم ولي سالم بن سوادة التميمى سنة أربع وستين ثم ولي ابراهيم بن صالح العباسى سنة خمس وستين ثم ولي موسى بن مصعب مولي خثعم ثم ولي الفضل بن صالح العباسى سنة تسع وستين ثم ولي على بن سليمان العباسى من السنة ثم ولي موسى بن عيسى العباسي ثم عزل سنة اثنتين وسبعين وولي مسلمة بن يحيى الازدي ثم ولي محمد بن زهير الازدى سنة ثلاث وسبعين ثم ولي داود بن يزيد المهلبي سنة أربع وسبعين ثم أعيد موسي بن عيسي سنة خمس وسبعين ثم عزله الرشيدي سنة ست وسبعين وولي عليها جعفر بن يحيى البرمكي فاستناب عليها عمر بن مهران وكان

شيعيارزي الشكل أحول وكان سبب ذلك ان الرشيد بلغه ان موسي بن عيسي عزم على خلعه فقال والله لاولين عليها أخس الناس فاستدعى عمر بن مهران وولاه عليها نيابة عن جعفر فسار عمر اليها على بغل وغلامه أبو درة على بغل آخر فدخلها كذلك فانتهي الي مجلس موسي بن عيسى فجلس في آخريات الناس حتى انفضوا فاقبل عليه موسي بن عيسى وهو لايعرف من هو فقال ألك حاجة ياشيخ قال نعم اصلح الله الامير ثم مال بالكتب فدفعها اليه فلما قرأها قال أنت عمر بن مهران قال نعم قال لعن الله فرعون حين قال أليس لى ملك مصر ثم سلم اليه العمل وارتحل منها ثم في سنة سبع وسبعين عزل الرشيد جعفرا عن مصر وولى عليها اسحق بن سليمان كذا في تاريخ ابن كثيرة وغيره وذكر الاديب أبو الحسن الجزار في أرجوزته في أمراء مصر خلاف ذلك فانه قال اعيد موسى ابن عيسى سنة خمس وسبعين ثم اعيد ابراهيم بن صالح العباسى سنة ست وسبعين ثم ولى عبد الله بن المسيب الضبي ثم ولي اسحق بن سليمان العباسى سنة سبع وسبعين كذا قال والله أعلم ثم عزل اسحق سنة ثمان وسبعين وولي هرثمة بن أعين فأقام نحواً من شهر ثم عزل وولي عبد الملك بن صالح العباسى فأقام الي سابع سنة ثمان وسبعين وولي عبيد الله ابن مهدي العباسي فأقام الي سابع سنة ثمان وسبعين وولي عبيد الله بن مهدي العباسى سنة تسع وسبعين ثم أعيد موسى بن عيسى سنة ثمانين ثم أعيد عبيد الله المهدي وصرف فى رمضان سنة احدي وثمانين وولي اسمعيل بن صالح العباسي ثم ولي اسمعيل بن عيسي سنة اثنتين وثمانين ثم صرف وولي الليث ابن الفضل البيروذي ثم ولي أحمد بن اسمعيل العباسي سنة سبع وثمانين ثم ولي عبد الله ابن محمد العباسى ثم ولي الحسين بن حمل الازدي سنة تسعين ثم ولي مالك بن دلهم الكلبي سنة اثنتين وتسعين ثم ولي الحسن سنة ثلاث وتسعين ثم ولي حاتم بن هرثمة بن أعين ثم صرف فى سنة خمس وتسعين وولي جابر بن الاشعث الطائى ثم ولي عباد بن نصر الكندي سنة ست وتسعين ثم ولي المطلب بن عبد الله الخزاعي سنة ثمان وتسعين ثم ولي العباس بن موسى في السنة ثم أعيد المطلب سنة تسع وتسعين ثم ولي السري بن الحكم سنة مائتين ثم ولي سليمان بن غالب سنة احدي ثم أعيد السري بن الحكم في السنة فمات في سنة خمس ومائتين فولي بعده أبو نصر محمد بن السري ثم تغلب عليها عبد الله بن السري في سنة ست فأقام الي سنة عشر فوجه اليه المأمون عبد الله بن طاهر فاستنقذها منه بعد حروب يطول ذكرها وقد ذكر الوزير أبو القاسم المغربى ان البطيخ العبد لاوي الذي بمصر منسوب الي عبد الله ابن طاهر هذا قال ابن خلكان اما لانه كان يستطيبه أو لانه أول من زرعه بها ثم ولى بعده عيسى بن يزيد الجلودى ثم في سنة ثلاث وعشرين ومائتين ثار رجلان بمصر وهما

عبد السلام وابن حليس فخلعا المأمون واستحوذا على الديار المصرية وتابعهما طائفة من القيسية واليمانية فولى المأمون أخاه أبا اسحق بن الرشيد نيابة مصر مضافة الى الشام فقدمها سنة أربع عشرة وافتتحها وقتل عبد السلام وابن حليس وأقام بمصر ثم ولى عليها عمير بن الوليد التميمى ثم صرف وأعيد عيسي بن يزيد الجلودى ثم ولى عبدويه بن جبلة سنة خمس عشرة ثم ولى عيسي بن منصور مولي بني نصر وفي أيامه قدم المأمون مصر في سنة ست عشرة ثم ولى نصر ابن كيدر الشعيدى سنة تسع عشرة ثم ولى المظفر بن كيدر ثم ولى موسى بن أبي العباس الخنى ثم ولي مالك بن كيدر سنة أربع وعشرين ومائتين ثم أعيد عيسي ابن منصور ثانية سنة تسع وعشرين ثم ولي هرثمة بن النضر الجبلى سنة ثلاث وثلاثين ثم ولي ابنه حاتم في السنة فأقام شهراً ثم ولي على بن يحيي سنة أربع وثلاثين ثم ولي أخوه اسحق بن يحيي الجبلى سنة خمس وثلاثين ثم ولي عبدالواحد ابن يحيي مولي خزاعة سنة ست وثلاثين ثم ولي عنبسة بن اسحق الضبي سنة ثمان وثلاثين ثم عزل وولي يزيد بن عبد الله من الموالي سنة اثنتين وأربعين ثم ولي مزاحم بن خاقان سنة ثلاث وخمسين ثم ولي ابنه أحمد في السنة ثم ولي أرجور التركى في السنة ثم صرف فيها أيضاً وولي أحمد بن طولون التركى ثم أضيفت اليه نيابة الشام والعواصم والثغور وأقر بقية فأقام مدة طويلة وفتح مدينة انطاكية وبني بمصر جامعه المشهور وكان أبوه طولون من الاتراك الذين أهداهم نوح بن أسد الساماني عامل بخارى الي المأمون في سنة مائتين ويقال الى الرشيد في سنة تسعين ومائة وولد ابنه أحمد في سنة أربع عشرة وقيل سنة عشرين ومائتين ومات طولون سنة ثلاثين وقيل سنة أربعين وحكى ابن عساكر عن بعض مشايخ مصر ان طولون لم يكن أبا احمد وانما تبناه وأمه جارية تركية اسمها هاشم وكان الاتراك طلبوا منه ان يقتل المستعين ويعطوه واسطاً فأبي وقال والله لاتجرأت على قتل أولاد الخلفاء فلما ولى مصر قال لقد وعدني الاتراك ان قتلت المستعين ان يولوني واسطاً فخفت الله ولم افعل فعوضني ولاية مصر والشام وسعة الاحوال قال محمد بن عبد الملك الهمداني في كتاب عنوان السير قال بعض اهل مصر جلسنا في دكان ومعنا أعمى يدعي الملاحم وذلك قبل دخول احمد بن طولون بساعة فسألناه عما يجده في الكتب لاجله فقال هذا رجل من صفته كذا وكذا يتقلد هو وولده قريباً من اربعين سنة فما تم كلامه حتى اجتاز احمد فكانت صفته وولايته وولاية ولده كما قال وقال بعض اصحابه الزمنى بن طولون صدقاته وكانت كثيرة فقلت له يوماً ربما امتدت الى اليد المطوقة بالجوهر والمعصم ذو السوار والكم الناعم أفأمنع هذه الطبقة فقال هؤلاء المستورون الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف احذر أن ترد يدا امتدت اليك وأعطى من استعطاك

فعلى الله تعالى أجره وكان يتصدق في كل أسبوع بثلاثة آلاف دينار سادة سوي الراتب ويجرى على أهل المساجد فى كل شهر ألف دينار وحمل الى بغداد في مدة أيامه ومافرق على العلماء والصالحين ألفى ألف دينار ومائتي ألف دينار وكان خراج مصر في أيامه أربعة آلاف ألف دينار وثلثمائة الف دينار وكان لابن طرلون مابين رحبة مالك بن طوق الى أقصي المغرب واستمر ابن طولون أميرا بمصر الى ان مات بها ليلة الاحد لعشر خلون من ذى القعدة سنة سبعين ومائتين وخلف سبعة عشر ابناً قال بعض الصوفية ورأيته في المنام بعد وفاته بحالة حسنة فقال ما ينبغي لمن سكن الدنيا ان يحقر حسنة فيدعها ولا سيئة فيأتيها عدل بي عن النار الى الجنة بتثبتي على متظلم عيي اللسان شديد التهيب فسمعت منه وصبرت عليه حتي قامت حجته وتقدمت بانصافه وما في الآخرة اشد على رساء الدنيا من الحجاب للمتمس الانصاف وولي بعده ابنه ابو الجيش خمارويه وأقام ايضا مدة طويلة ثم فى ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين قدم البريد فأخبر المعتضد بالله ان خمارويه ذبحه بعض خدمه على فراشه وولوا بعده ولده جيش فأقام تسعة اشهر ثم قتلوه ونهبوا داره وولوا هرون بن خمارويه وقد التزم فى كل سنة بالف الف دينار وخمسمائة الف دينار تحمل الى باب الخليفة فاقره المعتضد على ذلك فلم يزل الى صفر سنة اثنتين وتسعين فدخل عليه عماه شيبان وعدى ابنا أحمد بن طولون وهو ثمل في مجلسه فقتلاه وولى عمه ابو المغانم شيبان فورد بعد اثنى عشر يوما من ولايته من قبل المكتفى ولاية محمد بن سليمان الواثقي فسلم اليه شيبان الامر واستصفى اموال آل طولون وانقضت دولة الطولونية عن الديار المصرية وأقام محمد بن سليمان بمصر اربعة اشهر وولى عليها بعده عيسى بن محمد الوشرى فاقام واليا عليها خمس سنين وشهرين ونصفا ومات سنة سبع وتسعين ومائتين فولى المقتدر ابا منصور تكين الخاصة ثم صرف في سنة ثلاث وثلثمائة وولى ذكاء ابو الحسن ثم صرف واعيد تكين ثم صرف سنه تسع وولي هلال بن بدر ثم صرف فى سنة احدى عشرة وولي احمد بن كيفلغ ثم صرف من عامه واعيد تكين الخاصة فاقام الي ان مات سنة احدى وعشرين وثلثمائة وورد الخبر بموته الى بغداد وان ابنه محمداً قد قام بالامر من بعده فسير اليه القاهر الخلع بتنفيذ الولاية واستقرارها ثم صرف وولى أبو بكر محمد بن طغج الملقب بالاخشيد ثم صرف من عامه وأعيد أحمد بن كيفلغ ثم صرف سنة ثلاث وعشرين وأعيد محمد بن طغج الاخشيدى وفي هذا الوقت كان تغلب أصحاب الاطراف عليها لضعف أمر الخلافة وبطل معنى الوزارة وصارت الدواوين تحت حكم أمير الامراء محمد بن رايق وصارت الدنيا فى ايدي عمالها فكانت مصر والشام في يد الاخشيد والموصل وديار بكر وديار ربيعة ومضر في أيدى بني حمدان وفارس فى يد على بن بويه وخراسان في يد

نصر بن أحمد وواسط والبصرة والاهواز في يد اليزيدى وكرمان في يد محمد بن الياس والري وأصفهان والجبل في يد الحسن بن بويه والمغرب وافريقية في يد ابي عمرو الغساني وطبرستان وجرجان في يد الديلم والبحرين واليمامة وهجر في يد ابى طاهر القرمطى فأقام محمد بن طغج في مصر الى ان مات في ذي الحجة سنة اربع وثلاثين وثلثمائة وقام ابنه أبو القاسم أنوجور قال الذهبي في العبر ومعناه بالعربية محمود مقامه وكان صغيراً فأقيم كافور الاخشيد الخادم الاسود اتابكا فكان يدبر المملكة فاستمر الى سنة تسع واربعين فمات ابوجور وقام بعده اخوه على فاستمر الى ان مات سنة خمس وخمسين فاستقرت المملكه باسم كافور يدعى له على المنابر بالبلاد المصرية والشامية والحجاز فأقام سنتين واربعة اشهر ومات بمصر في جمادى الاولى سنة سبع وخمسين قال الذهبي كان كافور خصياً حبشياً اشتراه الاخشيد من بعض اهل مصر بثمانية عشر ديناراً ثم تقدم عنده لعقله ورأيه الى ان صار من كبار القواد ثم لما مات استاذه كان اتابك ولده انوجور وكان صبياً فغلب كافور على الامور وصار الاسم للولد والدست لكافور ثم استقل بالامر ولم يبلغ احد من الخصيان مابلغ كافور ومونس المظفري الذي ولى سلطنة العراق ومدحه المتنبي بقوله

قواصد كافور توارك غيره * ومن قصد البحر استقل السواقيا
فجاءت بنا انسان عين زمانه * وخلت بياضاً خلقها ومآقيا

وهجاه بقوله

من علم الاسود المخصى مكرمة * اقوامه البيض ام آباؤه الصيد
وذاك ان الفحول البيض عاجزة * عن الجميل فكيف الخصية السود

وقال محمد بن عبد الملك الهمداني كان بمصر واعظ يقص على الناس فقال يوماً في قصصه انظروا الى هوان الدنيا على الله تعالي فانه اعطاها لمقصوصين ضعيفين بن بويه ببغداد وهو اشل وكافور عندنا بمصر وهو خصي فرفع اليه قوله وظنوا انه يعاقبه فتقدم له بخلعة ومائة دينار وقال لم يقل هذا الا لجفائي له فكان الواعظ يقول بعد ذلك في قصصه ما انجب من ولد حام الا ثلاثة لقمان وبلال المؤذن وكافور وقال ابو جعفر مسلم بن عبد الله بن طاهر العلوي كنت اساير كافور يوماً وهو في مركب خفيف فسقطت مقرعته من يده فبادرت بالنزول واخذتها من الارض ودفعتها اليه فقال ايها الشريف اعوذ بالله من بلوغ الغاية ماظننت ان الزمان يبلغني حتى يفعل بى هذا وكاد يبكي انا صنيعة الاستاذ ووليه فلما بلغ باب داره ودعته وسرت فاذا انا بالبغال والجنائب بمراكبها وقال اصحابه امر الاستاذ يحمل هذا اليك وكان ثمنها يزيد على خمسة عشر الف دينار ولما مات كافور ولي

المصريون مكانه ابا الفوارس احمد بن على بن الاخشيد وهو ابن اثنتين وعشرين سنة فأقام شهوراً حتى اتى جوهر القائد من المغرب فانتزعها منه

## ﴿ ذكر امراء مصر من بني عبيد ﴾

لما توفى كافور الاخشيدي لم يبق بمصر من تجتمع القلوب عليه واصابهم غلاء شديد اضعفهم فلما بلغ ذلك المعز اباتميم معد بن المنصور اسمعيل وهو ببلاد افريقية بعث مولي ابيه جوهر وهوالقائد الرومي في مائة الف مقاتل فدخلوا مصر في يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة فهرب اصحاب كافور واخذ جوهر مصر بلا ضربة ولا طعنة ولا ممانعة فخطب جوهر للمعز يوم الجمعة على منابر الديار المصرية وسائر اعمالها وامر المؤذنين بجامع عمرو وبجامع ابن طولون ان يؤذنوا بحي على خير العمل فشق ذلك على الناس وما استطاعوا له رداً وصبر والحكم الله وشرع في بناء القاهرة والقصرين والجامع الازهر وارسل بشيرا الي المعز يبشره بفتح الديار المصرية واقامة الدعوة له بها وطلبه اليها ففرح المعز بذلك وامتدح شاعره محمد بن هانئ الاندلسي بقصيدة اولها

تقول بنو العباس هل فتحت مصر * فقل لبنى العباس قد قضى الامر

وابن هانئ هذا قد كفره غير واحد من العلماء منهم القاضى عياض فى الشفاء لمبالغاته فى مدائحه من ذلك قوله في المعز

ماشئت لما شاءت الاقدار * فاحكم فأنت الواحد القهار

وقوله * ولطالما زاحمت تحت ركابه جبريلا * (ثم) توجه المعز من المغرب في شوال سنة احدى وستين فوصل الاسكندرية في شعبان سنة اثنتين وستين وتلقاه أعيان مصر اليها فخطب هناك خطبة بليغة وجلس قاضي مصر أبو الطاهر الذهلى الى جنبه فسأله هل رأيت خليفة أفضل مني فقال لم أر أحدا من الخلائف سوى أمير المؤمنين فقال له أحججت قال نعم قال وزرت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وقبر أبي بكر وعمر قال فتحيرت ماذا أقول ثم نظرت فاذا ابنه قائم مع كبار الامراء فقلت شغلني عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كما شغلني أمير المؤمنين عن السلام على ولى العهد ونهضت اليه فسلمت عليه ورجعت فانفسخ المجلس الى غيره ثم صار من اسكندرية الى مصر فدخلها في خامس رمضان فنزل بالقصرين فكان أول حكومة انتهت اليه ان امرأة كافور الاخشيدي تقدمت اليه فذكرت له انها كانت أودعت رجلا من اليهود الصواغ قباء من لؤلؤ منسوج بالذهب وانه جحد ذلك فاستحضره وقرره فأنكر اليهودى فأمر ان تفتش داره فوجد القباء قدجعله فى جرة ودفنها فيها فدفعه المعز اليها فقدمته اليه وعرضته

عليه فأبي ان يقبله منها ورده عليها فاستحسن ذلك منه الحاضرون من مؤمن وكافر وسار اليه الحسن بن أحمد القرمطي في جيش كثيف وأنشد يقول

زعمت رجال الغرب اني هبتهم * فـدمى أذن مابينهم مطلول

يامصر ان لم أسق أرضك من دم * يروى ثراك فلا سقاني النيل

والتفت معه أمير العرب ببلاد الشام وهو حسان بن الجراح الطائي في عرب الشام ليزعوا مصر منه وضعف جيش المعز عن مقاومتهم فراسل حسان ووعده بمائة الف دينار ان هو خذل بين الناس فأرسل اليه ان أبعث الي بما التزمت وتعال بمن معك فاذا التقينا انهزمت بمن معي فأرسل اليه المعز مائة الف دينار في أكياس اكثرها زغل ضرب النحاس ولبسه الذهب وجعله في اسفل الاكياس ووضع في رؤس الاكياس الدنانير الخالصة وركب في أثرها بجيشه فالتقى الناس فلما نشبت الحرب بينهم انهزم حسان بالعرب فضعف جانب القرمطي وقوى عليه المعز فكسره واستمر المعز بالقاهرة الى ان مات في ربيع الآخر سنة خمس وستين وكان منجمه قال له في السنة التي قبلها ان عليك قطعا في هذه السنة فتوار عن وجه الارض حتى تنقضي هذه المدة فعمل له سرداباً ودعا الامراء وأوصاهم بولده نزار ولقبه العزيز وفوض اليه الامر حتي يعود فبايعوه على ذلك ودخـل ذلك السرداب فتوارى فيـه سنه فكانت المغاربة اذا رأى الفارس منهم سحابا ساريا ترجل عن فرسه واومى اليـه بالسلام ظانين ان المعز في ذلك الغمام ثم برز الى الناس بعد مضي سنة وجلس للحكم على عادته فعاجله الله في هذه السنة وولى بعده ابنـه العزيز أبو منصور نزار فأقام الى ان مات سنة ست وثمـانين (ومن) غرائبه انه استوزر رجلا نصرانيا يقال له عيسى بن نسطورس وآخر يهوديا اسمه ميشا فعز بسببهما اليهود والنصارى على المسلمين في ذلك الزمان حتي كتبت اليه امرأة فى قصة في حاجة لها تقول بالذى أعز النصارى بعيسى بن نسطورس واليهود بميشا وأذل المسلمين بك لمـا كشفت عن ظلامتي فعند ذلك أمر بالقبض على هـذين وأخذ من النصرانى ثلثمائة ألف دينار وولى بعـده ابنه الحاكم فكان شر الخليقة لم يل مصر بعد فرعون شر منه رام ان يدعى الالهية كما ادعاها فرعون فأمر الرعية اذا ذكره الخطيب على المنبر ان يقوموا على أقدامهم صفوفاً اعظاما لذكره واحتراما لاسمه فكان يفعل ذلك في سائر ممالكه حتي في الحرمين الشريفين وكان أهل مصر على الخصوص اذا قاموا خروا سجدا حتي انه يسجد بسجودهم في الاسواق الرعاع وغيرهم وكان جبارا عنيدا وشيطانا مريداً كثير التلون فى أقواله وأفعاله هدم كنائس مصر ثم أعادها وخرب قمامة ثم أعادها ولم يعهد في ملة الاسلام بناء كنيسة في بلد الاسلام قبله ولا بعده الا ما سنذكره وقد نقل السبكي الاجماع على ان الكنيسة اذا هـدمت ولو بغير وجه لا تجوز

اعادتها ومن قبايح الحاكم انه ابتنى المدارس وجعل فيها الفقهاء والمشايخ ثم قتلهم وخربها وألزم الناس باغلاق الاسواق نهارا وفتحها ليلا فامتثلوا ذلك دهرا طويلا حتى اجتاز مرة بشيخ يعمل التجارة في اثناء النهار فوقف عليه وقال ألم ننهكم عن هذا فقال ياسيدى أما كان الناس يسهرون لما كانوا يتعيشون بالنهار فهذا من جملة السهر فتبسم وتركه وأعاد الناس الى أمرهم الاول وكان يعمل الحسبة بنفسه يدور في الاسواق على حمار له وكان لايركب الا حمارا فمن وجده قد غش في معيشته أمر عبدا أسود معه يقال له مسعود ان يفعل به الفاحشة العظمى وكان منع النساء من الخروج من منازلهن وأن يطلعن من الطاقات أو الاسطحة ومنع الخفافين من عمل الاخفاف لهن ومنعهن من دخول الحمامات وقتل خلقا من النساء على مخالفته في ذلك وهدم بعض الحمامات عليهن ومنع من طبخ الملوخيا وله رعونات كثيرة لاتنضبط فأبغضه الخلق وكتبوا له الاوراق بالشتم له ولاسلافه في صورة قصص حتى عملوا صورة امرأة من ورق بخفها وازارها وفي يدها قصة فيها من الشتم شيء كثير فلما رآها ظنها امرأة فذهب من ناحيتها وأخذ القصة من يدها فلما رأى مافيها غضب وأمر بقتلها فلما تحققها من ورق ازداد غضبا الى غضبه وأمر العبيد من السودان أن يحرقوا مصر وينهبوا مافيها من الاموال والحريم ففعلوا وقاتلهم أهل مصر قتالا عظيما ثلاثة أيام والنار تعمل في الدور والحريم واجتمع الناس في الجوامع ورفعوا المصاحف وجاروا الى الله واستغاثوا به وما انجلى الحال حتى احترق من مصر نحو ثلثها ونهب نحو نصفها وسبي حريم كثير وفعل بهن الفواحش واشترى الرجال من سبي لهم من النساء والحريم من أيدى العبيد قال ابن الجوزي ثم زاد ظلم الحاكم وعن له ان يدعي الربوبية فصار قوم من الجهال اذا رأوه يقولون ياواحد ياأحد ياحي ياميت (قلت) كان فى عصرنا أمير يقال له ازدمر الطويل اعتقاده قريب من اعتقاد الحاكم هذا وكان يروم ان يتولى المملكة فلو قدر الله له بذلك فعل نحو مافعله الحاكم وقد أطلعني على مافي ضميره وطلب مني ان اكون معه على هذا الاعتقاد في الباطن الى ان يؤول الي السلطنة فيقوم في الخلق بالسيف حتى يوافقوه على اعتقاده فضقت بذلك ذرعا وما زلت أتضرع الى الله تعالى في هلاكه وان لايوليه على المسلمين واستغثت بالنبي صلى الله عليه وسلم واسأل فيه أرباب الاحوال حتى قتله الله فلله الحمد على ذلك (ثم) كان من امر الحاكم ان تعدى شره الى اخته يتهمها بالفاحشة ويسمعها أغلظ الكلام فعامت علي قتله فركب ليلة الى جبل المقطم ينظر فى النجوم فاتاه عبدان فقتلاه وحملاه الى اخته ليلا فدفنته في دارها وذلك سنة احدي عشرة واربعمائة وولي بعده ابنه ابو الحسن علي ولقب الظاهر لاعزاز دين الله فاقام الي ان توفي في سنة سبع وعشرين واربعمائة وكانت سيرته جيدة وولى بعده ابنه

ابو تميم معد ولقب المستنصر وعمره سبع سنين فطالت مدته جدا فانه اقام ستين سنة ولم يقم هذه المدة خليفة ولا ملك في الاسلام قبله ولا بعده وكانت وفاته سنة سبع وثمانين واربعمائة وولى بعده ابنه ابو القاسم احمد ولقب المستعلى فاقام اني ان توفي في ذى الحجه سنة خمس وتسعين واربعمائه وولى بعده ابنه ابو على منصور ولقب الامر باحكام الله قال ابن ميسر في تاريخه ولما توفي المستعلى احضر الافضل ابا على وبايعه بالخلافة ونصبه مكان ابيه ولقبه بالآمر باحكام الله وكان له من العمر خمس سنين وشهر وايام فكتب ابن الصيرفي الكاتب السجل بانتقال المستعلى وولاية الامر وقريء على رؤس كافة الاجناد والامراء وأوله من عبد الله ووليه ابى على الآمر باحكام الله أمير المؤمنين ابن الامام المستعلى بالله الى كافة أولياء الدولة وامرائها وقوادها وجنادها ورعاياها شريفهم ومشروفهم وآمرهم ومأمورهم مغربيهم ومشرقيهم أحمرهم واسودهم كبيرهم وصغيرهم بارك الله فيهم سلام عليكم فان أمير المؤمنين يحمد اليكم الله الذى لا له الاهو ويسأله ان يصلى على جده محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين الأئمة المهديين وسلم تسليما اما بعد فالحمد لله المنفرد بالثبات والدوام الباقي على تصرم الليالى والايام القاضى على اعمار خلقه بالتقضى والانصرام الجاعل نقض الامور معقودا بكلام الاتمام جاعل الموت حكما يستوى فيه جميع الانام ومنهلا لايعتصم من ورده كرامة نبي ولا امام والقائل معزياً لنبيه ولكافة امته كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام الذى استرعي الأئمة هذه الامة ولم تخل الارض من أنواره لطفا بعباده ونعمه وجعلهم مصابيح الشبه اذا غدت داجية مدلهمه لتضيء للمؤمنين سبل الهدايه ولا يكون امرهم عليهم غمه يحمده أمير المؤمنين حمد شاكر على مانقله فيه من درج الانافه ونقله اليه من ميراث الخلافه صابر على الرزية التى أطار هجومها الباب والفجيعة التي أطار طروقها الاسف والاكتئاب ويسأله ان يصلى على جده محمد خاتم انبيائه وسيد رسله وامنائه ومجلى غياهيب الكفر ومشكف عمائه الذى قام بما استودعه الله من امانته وحمله من أعباء رسالته ولم يزل هاديا الى الايمان داعيا الى الرحمن حتى اذعن المعاندون وأقر الجاحدون وجاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون فحينئذ أنزل الله عليه اتماماً لحكمته التى لايعترضها المعترضون ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون صلى الله عليه وعلى اخيه وابن عمه أبينا أمير المؤمنين علي بن ابي طالب الذى أكرمه الله بالمنزلة العلية وانتخبه للامامة رأفة بالبرية وخصه بغوامض علم التنزيل وجعل له مبرة التعظيم ومزية التفضيل وقطع بسيفه دابر من زل عن القصد وضل سواء السبيل وعلى الأئمة من ذريتهما العترة الهادية من سلالتهما أبائنا الابرار المصطفين الاخيار ماتصرفت الاقدار وتوالى الليل والنهار وان الامام المستعلى

بالله أمير المؤمنين قدس الله روحه كان ممن أكرمه الله بالاصطفاء وخصه بشرف الاجتباء ومكن له في بلاده فامتدت أقياء عدله واستخلفه في ارضه كما استخلف اباه من قبله وايده بما استرعاه اياه بهدايته وارشاده وأمده بما استحفظه عليه بموادتوفيقه واسعاده ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده فلم يزل لاعلام الدين رافعا ولشبه المضلين دافعا ولراية العدل ناشرا وبالندى غامرا وللعدو قاهرا الى ان استوفي المدة المحسوبة وبلغ الغاية الموهوبة فلو كانت الفضائل تزيد في الاعمار أو تحمى من ضروب الاقدار أو تؤخر ما سبق تقديمه في علم الواحد القهار لحمى نفسه النفيسة كريم مجدها وشريف سمتها وكفاها خطير منصبها وعظيم هيبتها ووقتها أفعالها التى تستقي من منبع الرسالة وصانتها خلالها التى ترتقى الى مطالع الجلالة لكن الاعمار محررة مقسومة والآجال مقدرة معلومة والله تعالى يقول وبقوله يهتدى المهتدون ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون فأمير المؤمنين يحتسب عند الله هذه الرزية التي عظم أمرها فدح وجرح خطبها وقدح وغدت لها القلوب واجفة والآمال كاسفة ومضاجع السكون منقضة ومدامع العيون مرقضة فانا لله وانا اليه راجعون صبرا على بلائه وتسليما لامره وقضائه واقتداء بمن اثنى عليه في الكتاب انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب وقد كان الامام المستعلى بالله قدس الله روحه عند نقلته جعل لى عقد الخلافة من بعده واودعنى ماحازه من أبيه عن جده وعهد الى أن أخلفه في العالم واجرى الكافة في العدل والاحسان على منهجه المتعالم واطلعني من العلوم على السر المكنون افضي الى من الحكمة بالغامض المصون وأوصاني بالعطف على البرية والعمل فيهم بسيرتهم المرضية على علمي بما جبلني الله عليه من الفضل وخصنى به من ايثار العدل وانني فيما استرعيته مالك منهاجه عامل بموجب الشرف الذى عصب الله فيّ تاجه وكان ممن ألقاه الى وأوجبه على ان أعلى محل السيد الاجل الافضل من قلبه الكريم وما يجب له من التبجيل والتكريم وأن الامام المستنصر بالله كان عند ماعهد اليه ونص بالخلافة عليه أوصاه أن يتخذ هذا السيد الأجل خليفة وخليلا ويجعله للامامة زعيما وكفيلا ويغدق به أمر النظر والتقرير ويفوض اليه تدبير ماوراء السرير وانه عمل بهذه الوصية وحذى على تلك الامثلة النبوية وأسند اليه أحوال العساكر والرعية وناط أمر الكافة بعزمته الماضية وهمته العلية فكان قلمه بالسداد يرجف ولا يجف وسيفه من دماء ذوي العناد يكف ولايكف ورأيه في جسم مواد الفساد يرجح ولايخف فاوصاني ان أجعله لى كما كان له صفياً وظهيراً وان لاأستر عنه في الامور صغيراً ولا كبيراً وان أقتدى به في رد الاحوال الى تكلفه واسناد الاسباب الى تدبيره والناهط ماهط الخطب ومنتقله الى غير ذلك مما استودعنى

اياه وألقاه الى من النص الذى يتوضع نشره ورياه نعمة من الله قضت لى بالسعد العميم ومنة شهدت بالفضل المتين والحظ الجسيم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم فتعزوا معاشر الاولياء والامراء والقواد والاجناد والرعاياوالخدام خاضركم وغائبكم ودانيكم وقاصيكم عن الامام المنقول الى جنات الخلود واستبشروا بامامكم هذا الامام الحاضر الموجود وابتهجوا بكريم نظره المطلع لكم كواكب السعود ولكم من أمير المؤمنين ان لايغمض جفناً عن مصابكم وان يتوخى ماعاد بيامنكم ومناجحكم وان يحسن السيرة فيكم ويرفع أذى من يعاديكم ويتفقد مصلحة حاضركم وباديكم ولامير المؤمنين عليكم ان تعتقدوا موالاته بخالص الطوية وتجمعوا له في الطاعة بين العمل والنية وتدخلوا في البيعة بصدور منشرحة وآمال منفسحة وضمائر يقينية وبصائر فى الولاء قوية وان تقوموا بشروط بيعته وتنهضوا بفروض نعمته وتبذلوا الطارف والتالد في حقوق خدمته وتتقربوا الى الله سبحانه بالنصحة لدولته وأمير المؤمنين يسأل الله أن تكون خلافته كافلة بالاقبال ضامنة ببلوغ الاماني والآمال وأن يجعل ديمها دائمة بالخيرات وقسمتها نامية على الاوقات ان شاءالله تعالى واقام الآمر بأحكام الله خليفة الى أن قتل في ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة عدى الى الروضة في فئة قليلة فخرج عليه منها قوم بالسيوف فاسخنوه وكان سيئ السيرة ولما قتل تغلب على الديار المصرية غلام أرمني من غلمانه فاستحوذ على الامور ثلاثة أيام ورام أن يتأمر فحضر الوزير أبو على أحمد بن الافضل بدر الجمالى فاقام الخليفة الحافظ لدين الله أبا الميمون عبد المجيد بن الامير أبى القاسم بن المستنصر بالله واستحوذ على الامور دونه وحصره في مجلس لايدخل اليه أحداً الا من يريده وخطب لنفسه على المنابر ونقل الاموال من القصر الى داره ولم يبق للحافظ سوى الاسم فقط فلم يزل كذلك حتى قتل الوزير فعظم أمر الحافظ من حينئذ وجدد له القاب لم يسبق اليها وخطب له بها على المنابر فكان يقول أصلح الله من شيدت به الدين بعد دثوره وأعززت به الاسلام بأن جعلته سبباً لظهوره مولانا وسيدنا امام العصر والزمان أبا الميمون عبد المجيد الحافظ لدين الله قال ابن خلكان وكان الحافظ كثير المرض بعلة القولنج فعمل له سرماه الديلمي طبل القولنج ركبه من المعادن السبعة في أشرافها كل واحد منها في وقته فكان من خاصته أنه اذا ضرب به أحد خرج الريح من مخرجه فكان هذا الطبل في خزائنهم الى أن ملك السلطان صلاح الدين بن أيوب أخذ الطبل المذكور كردى ولايدرى ماوهو فضرب به فضرط فخجل فألقى الطبل من يده فانكسر واستمر الحافظ على الولاية الى ان مات في جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة وولى بعده ولده الظافر بالله أبو المنصور اسمعيل فاقام الى أن قتل في المحرم سنة تسع وأربعين

وولى بعده ولده الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى وهو صبي صغير ابن خمس سنين فان مولده في المحرم سنة أربع وأربعين فاقام الى ان توفى في صفر سنة خمس وخمسين وعمره يومئذ احدى عشر سنه وكان مدبر دولته أبو الغارات طلائع بن رزيك وولى بعده العاضد لدين الله أبو محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ وهو آخر العبيديين ومات يوم عاشورا سنة سبع وستين وزالت دولتهم على يد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله تعالى قال ابن كثير ومن الغريب ان العاضد في اللغة القاطع ومنه الحديث لايعضد شجرها فبالعاضد قطعت دولة بنى عبيد وقال ابن خلكان سمعت جماعة من المصريين يقولون ان هؤلاء القوم في أوائل دولتهم قالوا لبعض العلماء اكتب لنا ألقابا في ورقة تصلح للخلفاء حتى اذا تولى واحد لقبوه ببعض تلك الالقاب فكتب لهم ألقابا وآخر ما كتب في الورقة العاضد فاتفق ان آخر من ولى منهم العاضد ولم يكن للمستنصر ومن بعده من الخلافة سوى الاسم فقط لاستيلاء وزرائهم على الامور وحجرهم عليهم وتلقبهم بألقاب الملوك فكانوا معهم كخلفاء عصرنا مع ملوكهم وكخلفاء بغداد مع بنى بويه وأشباههم ومن قصيدة ابن فضل الله التي سماها حسن الوفاء لمشاهير الخلفاء

والخلفاء من بني فاطمة * الى عبيد الله در فاخر
ابناء اسمعيل نجل جعفر * الصادق في القول أبوه الباتر
بالغرب مهدى تلاه قائم * والثالث المنصور وهو الآخر
ثم المعز قائد الجيش الذى * سار الى مصر ونعم السائر
ثم ابنه العزيز عن مشبها * والحاكم المعروف ثم الظاهر
وبعده المستنصر النائي الذى * تلاه مستعل وجاء الآمر
وحافظ وظافر وفائز * وعاضد ثم المليك الناصر
قالوا لقد سألهم معتقد * والله عند علمه السرائر
لكنما الحاكم ممن لج في * طغيانه فكافر أو فاجر

## ﴿ ذكر أمراء مصر من حين ملكها بنو أيوب الى ان اتخذها الخلفاء العباسية دار الخلافة ﴾

لما قتل صاحب مصر الظافر وصلت الاخبار الى بغداد بان مصر قتل صاحبها ولم يبق فيهم الا صبي صغير ابن خمس سنين قد ولوه عليهم ولقبوه الفائز فكتب الخليفة المكتفى عهداً للملك نور الدين محمود بن زنكي على البلاد الشامية والمصرية وأرسله اليه فسار حتى أتى دمشق فحاصرها وانتزعها من يد ملكها مجير الدين ابن طغتكين وشرع في

فتح بلاد الشام بلداً بلدا وأخذ من أيدى من استولى عليها من الفرنج ( فلما ) كان في سنة اثنتين وستين أقبلت الفرنج في محافل كثيرة الى الديار المصرية فأرسل نور الدين محمود أسد الدين شيركوه ابن شادى ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب فسار اليها في ربيع الآخر وقد وقع في النفوس ان صلاح الدين سيملك الديار المصريه وفي ذلك يقول عرقلة الشاعر

أقول والاتراك قد أزمقت * مصر الى حرب الاعاريب
رب كما ملكتها يوسف * الصديق من أولاد يعقوب
يملكها في عصرنا يوسف * الصادق من أولاد أيوب
من لم يزل ضراب هام العدا * حقا وضراب العراقيب

وسار الي الفرنج فاقتتلوا قتالا عظيما فهزم الفرنج ولله الحمد وسار أسد الدين بعد كسر الفرنج الى الاسكندريه فملكها واستناب عليها ابن أخيه صلاح الدين وعاد الى الصعيد فملكه ثم ان الفرنج والمصريين اجتمعوا على حصار الاسكندرية فصالح شاور وزير العاضد أسد الدين عن الاسكندرية بخمسين ألف دينار فأجابه الى ذلك وخرج صلاح الدين منها وسلمها الي المصريين وعاد الي الشام في ذى القعدة وقرر شاور للفرنج على مصر فى كل عام مائة ألف دينار وان يكون لهم سحنة بالقاهرة وسكن القاهرة أكثر شجعان الفرنج وتحكموا فيها بحيث كادوا يستحوذون عليها ويخرجون المسلمين منها فلما كانت سنة أربع وستين قدم امداد الفرنج في محافل هائلة فأخذوا مدينة بلبيس فقلوا وأسروا ونزلوا بها وتركوا فيها ثقالهم وجعلوها موئلا ومعقلا ثم جاؤا فنزلوا على القاهرة من ناحية باب الشرقية فأمر الوزير شاور الناس أن يحرقوا مصر وأن ينتقلوا الى القاهرة فنهب البلد وذهب للناس أموال كثيرة وبقيت النار تعمل في مصر أربعة وخمسين يوما فعند ذلك أرسل الخليفة العاضد يستغيث بالملك نور الدين وبعث اليه بشعور نسائه يقول ادركني واستنقذ نسائى من ايدى الفرنج والتزم له بثلث خراج مصر على ان يكون اسد الدين مقيما عندهم ولهم اقطاعات زائدة على الثلث فجهز نور الدين الجيوش وعليهم اسد الدين ومعه صلاح الدين فدخلوا القاهرة وقد رجع الفرنج لما سمعوا بوصولهم وعظم امر أسد الدين بالديار المصرية وقتل الوزير شاور قتله صلاح الدين وفرح المسلمون بقتله لانه الذى كان يمالئ الفرنج على المسلمين واقيم اسد الدين مكانه في الوزارة ولقب الملك المنصور فلم يلبث الاشهرين وخمسة أيام ومات في السادس والعشرين من جمادى الآخرة فأقام العاضد مكانه في الوزارة صلاح الدين يوسف ولقبه الملك الناصر قال أبو شامة وصفة الخلعة التي لبسها صلاح الدين يومئذ عمامة بيضاء تنيسى بطرف ذهب

وثوب ديبقي بطراز ذهب وجبة بطراز ذهب وطيلسان مطرز ذهب وعقد جوهر بعشرة آلاف دينار وسيف محلى بخمسة آلاف دينار وحجرة بثمانية آلاف دينار وعليها سرج ذهب وسرسار ذهب بجوهر وفي رأسها مائتا حبة جوهر وفي قوائمها أربعة عقود جوهر وفي رأسها قصبة بذهب وفيها شدة بياض بأعلام بيض ومع الخلعة عدة بقج وخيل وأشياء أخر ومنشور الوزارة مكتوب في ثوب أطلس أبيض وكان ذلك يوم الاثنين الخامس والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع وستين وكان يوما مشهوداً وارتفع قدر صلاح الدين بالديار المصرية وائتلفت عليه القلوب وخضعت له النفوس واضطهد العاضد في أيامه غاية الاضطهاد. فلما كان سنة خمس وستين حاصرت الفرنج دمياط خمسين يوما فقاتلهم صلاح الدين حتى أجلاهم وأرسل نور الدين الي صلاح الدين يأمره ان يخطب للخليفة المستنجد العباسي بمصر لان الخليفة بعث يعاتبه في ذلك فلما كان سنة ست وستين اتفق موت المستنجد وقام المستضيء وشرع صلاح الدين في تمهيد الخطبة لبني العباس وقطع الاذان بحي على خير العمل من ديار مصر كلها وعزل قضاة مصر لانهم كلهم كانوا شيعة وولى اقضى القضاة بهاصدر الدين بن درباس الشافعي واستناب في سائر الاعمال شافعية فلما دخل سنة سبع وسنين أمر الملك صلاح الدين باقامة الخطبة لبني العباس بمصر في أول جمعة من المحرم وبالقاهرة في الجمعة الثانية وكان ذلك يوما مشهوداً والعجب أن أول من خطب للمعز حين أخذت مصر عمر بن عبد السميع العباسي الخطيب بجامع عمرو وبجامع ابن طولون فكان أول من خطب لبني العباس هذه النوبة شريف علوي يقال له محمد بن الحسن بن أبي الضياء البعلبكي ولما بلغ الخبر نور الدين أرسل الي الخليفة المستضيء يعلمه بذلك فزينت بغداد وغلقت الاسواق وعملت القباب وفرح المسلمون فرحا شديدا قال ابن الجوزي وقد ألفت في ذلك كتابا (سميته النصر على مصر) وكتب العماد الكاتب عن السلطان صلاح الدين الي الملك نور الدين يبشره بذلك

قد خاطبنا للمستضيء بمصر * نائب المصطفى امام العصر

في أبيات ذكرتها في تاريخ الخلفاء وقال بعض شعراء بغداد في ذلك

لهنك ياموي فتح تتابعت * اليك به خوص الركائب توجف
أخذت به مصراً وقد حال دونها * من الشرك ناس فيهم الحق يقذف
فعادت بحمد الله باسم امامنا * تتيه على كل البلاد وتشرف
ولا غروان ذلت ليوسف مصره * وكانت الي عليائه تتشوف
تملكها من قبضة الكفر يوسف * وخلصها من عصبة الرفض يوسف
كشفت بها عن آل هاشم سيئاً * وعارا أبى الا بسيفك يكشف

وهي طويلة ( قال أبو شامة ) أنشدت هذه القصيدة للخليفة قبل موته عند تأويل منام رؤي في هذا المعنى وأراد بيوسف الثانى الخليفة المستنجد فلم يخطب الا لولده المستضىء فجري الفأل باسم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وأرسل الخليفة المستضىء بأمر الله الى الملك صلاح الدين خلعة سنية ومعها أعلام سود ولواء معقود ففرقت على الجوامع بالشام وبلاد مصر وكتب له تقليدا وهذه صورته (أما بعد) فان أمير المؤمنين يبدأ بحمد الله الذى يكون لكل خطبة قيادا ولكل أمر مهادا ويستزيده من نعمه التي جعلت التقوي لها زادا وحملته أعباء الخلافة فلم يضعف عنه طوقا ولم ينل فيه اجتهادا وصغرت لديه أمر الدنيا فما تسورت له محراباً ولا عرضت عليه جيادا وحققت فيه قوله تعالي تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا ثم يصلى على من أنزلت الملائكة لنصره امدادا وأسري به الى السماء حتى ارتقى سبعاً شدادا وتجلى له ربه فلم يزغ منه بصر ولا أكذب فؤادا ثم من بعده على أسرته الطاهرة التي زكت أوراقا وأعوادا وورثت النور المبين بلادا ووصفت بأنها أحد الثقلين هداية وارشادا وخصوصاً عمه العباس المدعو له بأن يحفظ نفساً وأولادا وان تبقى كلمة الخلافة فيهم خالدة لا تخاف دركا ولا تخشى نفادا واذا استوفى العلم مراده من هذه الحمدلة وأسند القول فيها عن فصاحته المرسله فانه يأخذ في انشاء هذا التقليد الذي جعله حليفاً لقرطاسه واستدام سجوده على صفحته حتى لم يكد يرفع من رأسه وليس ذلك الا قاضيته في وصف المناقب التي كثرت فحسن لها مقام الاكثار واشتبه التطويل فيها بالاختصار وهي التي لا يفتقر واضعها الي القول المعاد ولم يستوعر سلوك أطوادها ومن العجب وجود السهل في سلوك الاطواد وتلك هى مناقبك أيها الملك الناصر السيد الاجل الكبير العالم العادل المجاهد المرابط صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب والديوان العزيز يتلوها عليك تحدثاً بشكرك ويباهي أولياءه تنويهاً بذكرك ويقول أنت الذى تستكفى فتكون للدولة سهمها الصائب وشهابها الثاقب وكنزها الذى تذهب الكنوز وليس بذاهب وماضرها وقد حضرت في نصرتها اذا كان غيرك هو الغائب فاشكر اذن مساعيك التى أهلتك لما أهلتك وفضلتك على الاولياء بما فضلتك ولئن شوركت في الولاء بعقيدة الاضمار فلم تشارك في عزمك الذى انتصر للدولة فكان له بسطة الانتصار وفرق بين من أمد بقلبه وبين من أمد بيده فى درجات الامداد وما جعل الله القاعد كالذى قال لو أمرتنا لضربنا أكبادها الى برك الغماد وقد كفاك من المساعى انك كفيت الخلافة أمر منازعيها وطمست على الدعوة الكاذبة التى كانت تدعيها ولقد مضى عليها زمن ومحراب حقها محفوف من الباطل بمحرابين ورئت مارآه رسول

الله صلى الله عليه وسلم من السوارين اللذين أولهما كذابين فيمصر منهما واحدة
يجرى أنهارها من تحته ودعا الناس الى عبادة طاغوته وجبته ولعب بالدين حتى لم يدر
يوم جمعته من يوم أحده ولا يوم سبته وأعانه على ذلك قوم رمي الله بصائرهم بالعمي
والصمم واتخذوه صنما ولم تكن الضلالة هناك الا بعجل أو صنم فقمت أنت في وجه
باطله حتى قمد وجعلت في جيده حبلا من مسد وقلت ليده تبت فأصبح ولا يسعي
بقدم ولا يبطش بيد وكذلك فعلت بالآخر الذى نجمت باليمن ناجمته وسامت فيه سائمته
فوضع بيته بموضع الكعبة اليمانية وقال هذا ذو الخلصة الثانية فأى مقامك يعترف الاسلام
بسبقه أم أيهما يقوم باداء حقه وههنا فليصبح القلم للسيف من الحساد واليقصر مكانته
عن مكانته وقد كان له من الانداد ولم يحط بهذه المزية الا أنه أصبح لك صاحباً وفخر
بك حتى طال فخراً كما عز جانباً وقضى بولايتك فكان بها قاضياً لما كان حده قاضياً
وقد قلدك أمير المؤمنين البلاد المصرية واليمنية غوراً ونجداً وما اشتملت عليه رعية
وجنداً وما انتهت اليه أطرافها براً وبحراً وما يستنفذ من مجاوريها مسالمة وقهراً
وأضاف اليها بلاد الشام وما تحتوى عليه من المدن الممدنة والمراكز المحصنة مستثنياً منها
ماهو بيد نور الدين اسمعيل بن نور الدين محمود رحمه الله وهو حلب وأعمالها فقد مضى
أبوه عن آثار في الاسلام ترفع ذكره فى الذاكرين وتخلفه فى عقبه في الغابرين وولده
هذا قد هذبته الفطرة في القول والعمل وليست هذه الربوة الا من ذلك الجبل فليكن
له منك جار يدنو منه وداداً كما دنا أرضاً وتصبح وهوله كالبنيان يسد بعضه بعضاً والذى
قدمناه من الثناء عليك ربما تجاوزتك درجة الاقتصاد والفتك عن فضيلة الازدياد فاياك
أن تنظر الى سعيك نظر الاعجاب فتقول هذه بلادنا افتتحتها بعد ان أضرب عنها كثير
من الاضراب ولكن اعلم ان الارض لله ورسوله ثم لخليفته من بعده ولا منة للعبد
باسلامه بل المنة لله بهداية عبده وكم سلف قبلك ممن لو رام مارمته لدنا شاسعه وأجاب
مانعه لكن ذخره الله لك لتحظي فى الآخرة بمفازه وفي الدنيا برقم طرازه فألق بيدك
عند هذا القول القاء التسليم وقل لاعلم لنا الا ماعلمتنا انك أنت العليم الحكيم وقد
قرن تقليدك هذا بخلعة تكون لك في الاسلام شعاراً وفي الرسم فخاراً وتناسب محل
قلبك وبصرك وخير ملابس الاولياء ماناسب قلوباً وأبصاراً ومن جملتها طوق يوضع فى
عنقك موضع العهد والميثاق ويشير اليك بأن الانعام قد أطلق بك اطاقة الاطواق
بالاعناق ثم انك خوطبت بالملك وذلك خطاب يقضي لصدرك بالانشراح ولا ملك
بالانفساح وتؤمر معه بمد يدك العليا لاتضمها الى الجناح وهذه الثلاثة المشار اليها هي
التي تكمل بها أقسام السيادة وهي التي لامزيد عليها في الاحسان فيقال انها الحسنى

وزيادة فاذا صارت اليك فانصب لها يوما يكون في الايام كريم الانساب واجعله لها عيداً وقل هذا عيد الخلعة والتقليد والخطاب هذا ولك عند أمير المؤمنين مكانة بجعله لك حاضراً وأنت ناء عن الحضور وتضن ان تكون مشتركة بينك وبين غيرك والضنة من شيم الغيوب وهذه المكانة قد عرفتك نفسها وما كنت تعرفها وما نقول الا أنها لك صاحبة وأنت يوسفها فاحرسها عليك حراسة تقضي بتقديمها واعمل لها فان الاعمال بخواتيمها واعلم انك تقلدت أمراً يفتن به تقى الحلوم ولا ينفك صاحبه عن عهدة الملوم وكثيراً ماترى حسناته يوم القيامة وهي مقتسمة بأيدى الخصوم ولا ينجو من ذلك الامن أخذ أهبة الحذار وأشفق من شهادة الاسماع والابصار وعلم أن الولاية ميزان أحدى كفتيه فى الجنة والاخرى في النار قال النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر انى أحب لك ما أحب لنفسى لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتم فانظر الى هذا القول النبوى نظر من لم يخدع بحديث الحرص والآمال ومثل الدنيا وقد سيقت اليك بحذافيرها أليس مصيرها الى زوال والسعيد من اذا جاءته قضي بها أرب الارواح لا ارب الجسوم واتخذ منها وهي السم دواء وقد تتخذ الادوية من السموم وما الاغتباط بما تختلف على تلاشيه المساء والصباح وهو كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح والله يعصم أمير المؤمنين وولاة أمره من تبعاتها التي لابستهم ولابسوها وأحصاها الله ونسوها ولك أنت من الله هذا الدعاء حظ على قدر محلك من العناية التى حدثت بصنعك ومحلك من الولاية التي بسطت من ذرعك تخذ هذا الامر الذي تقلدته أخذ من لم يتعقبه بالنسيان وكن في رعايته ممن اذا نامت عيناه كان قلبه يقظان وملاك ذلك كله في اسباغ العدل الذي جعله الله ثالث الحديث والكتاب وأغني بثوابه وحده عن أعمال الثواب وقدر يوما منه بعبادة ستين عاما في الحساب ولم يأمر به آمر الا زيد قوة في أمره وتحصن به من عدوه ومن دهره ثم يجاء به يوم القيامة وفي يده كتاب أمان ويجلس على منبر من نور عن يمين الرحمن ومع هذا فان مركبه صعب لايستوى على ظهره الا من أمسك عنان نفسه قبل امساك عنانه وغلبت لمة ملكه على لمة شيطانه ومن آكد فروضه أن تمحي السير السيئة التي طالت مدد أيامها ويئس الرعايا من رفع ظلاماتها فلم يجعلوا أمد الانحسار ظلامها تلك السير هي المكوس التي أنشأتها الهمم الحقيرة ولا غني للايدى الغنية اذا كانت ذا نفوس فقيرة وكلما زيدت الاموال الحاصلة منها قدرا زادها الله محقاً وقد استمرت عليها العوائد حتى ألحقها الظالمون بالحقوق الموجبة فسموها حقا ولو أن صاحبها أعظم الناس جرماً لما أغلظ في عقابه ومثلت توبة المرأة الغامدية بمتابه وهي أشقى ممن يكون السواد الاعظم له خصما

ويصبح وهو مطالب بما يعلم وبما لم يحط به علماً وأنت مأمور بان تأبى هذه الظلامات فتنهى عن اجرائها وتلحق اسماءها في المحو بأهلها حتى لايبقى لها في العيان صورة منظورة ولا في الالسنة أحاديث مذكورة واذا فعلت ذلك كنت أزلت عن الماضى سنة سوء سنتها يداه وعن الآتي متابعة ظلم وجده طريقا مسلوكا فجرى على يداه فبادر الى ما أسرت به مبادرة من يضيق به ذراعا ونظر الي الحياة الدنيا بعينها فرآها فى الآخرة متاعا وأحمد الله على ان قيض لك امام هدى يقف بك على هداك ويأخذ بحجزتك عن خطوات الشيطان الذى هو أعدى عداك وهذه البلاد المنوطة بنظرك تشتمل على اطراف متباعدة وتفتقر في سياستها الى أيد متساعدة ولهذا يكثر بها قضاة الاحكام وأولوا تدبيرات السيوف والاقلام وكل من هؤلاء ينبغي ان يفتن على نار الاختيار ويسلط عليه شاهد عدل من امانة الدرهم والدينار فما أضل الناس شيء كحب المال الذى فورقت من أجله الاديان وهجرت بسببه الاولاد والاخوان وكثيرا مايرى الرجل الصائم القائم وهو عابد له عبادة الاوثان فاذا استعنت بأحد منهم على شيء من أمرك فاضرب عليه بالارصاد ولا ترض بما عرفته من مبدأ حاله فان الاحوال تنقل بنقل الاجساد واياك ان تخدع بصلاح الظاهر كما خدع عمر بن الخطاب بالربيع ابن زياد وكذلك تأمر هولاء على اختلاف طبقاتهم بأن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر محاسبين ويعلموا ان ذلك من دأب حزب الله الذين جعلهم الغالبين وليبدؤا أولا بأنفسهم فيعدلوها عن هواها ويأمروها بما يأمرون به سواها ولا يكونوا ممن هدي الي طريق البر وهو عنها حائد وانتصب لطب المرضي وهو محتاج الى طبيب وعائد فما تنزل بركات السماء الاعلى من خاف مقام ربه والزم التقوى أعمال يده ولسانه وقلبه فاذا صلحت الولاة صلحت الرعية بصلاحهم وهم لهم بمنزلة المصابيح ولا يستضيء كل قوم الا بمصباحهم ومما يأمرون به ان يكونوا لمن تحت أيديهم إخوانا في الاصحاب وجيرانا في الاقتراب واعوانا في توزع الحمل الذى يثقل على الرقاب فالمسلم اخو المسلم وان كان عليه أميراً واولى الناس باستعمال الرفق من كان فضل الله عليه كثيراً وليست الولاية لمن يستجد بها كثرة اللفيف ويتولاها بالوطء العنيف ولكنها لمن يمال عن جوانبه ويوكل من اطايبه ولمن اذا غضب لم يرللغضب عنده أثر واذا الحف في سؤاله تخلق بخلق الضجر واذا حضر الخصوم بين يديه عدل بينهم في قسمة القول والنظر فذلك الذي يكون لصاحبه في أصحاب اليمين والذى يدعى بالحفيظ العليم والقوى الامين ومن سعادة المرء أن تكون ولاته متأدبين بآدابه وجارين على نهج صوابه واذا تطايرت الكتب يوم القيامة كانوا حسنات مثبتة فى كتابه (وبعد) هذه الوصية فان ههنا حسنة هي للحسنات كالأم الولود ولطالما أغنت عن صاحبها

اغناء الجود وتيقظت لنصره والعيون رقود وهي التي تسبغ لها الآلاء ولا تخطاها البلاء ولامير المؤمنين عناية تبعثها الرحمة الموضوعة في قلبه والرغبة في المغفرة والرحمة لما تقدم وتأخر من ذنبه وتلك هي الصدقة التي فضل الله بعض عباده بمزية افضالها وجعلها سبباً الى التعويض عنها بعشر أمثالها وهو يأمرك ان تفقد أحوال الفقراء لذين قدرت عليهم مادة الارزاق وألبسهم التعفف ثوب الغني وهم في ضيق من الاملاق فاولئك أولياء الله الذين مستهم الضراء فصبروا وكثرت الدنيا في يد غيرهم فما نظروا اليها اذا نظروا وينبغي لك ان تهيئ لهم من أمرهم مرفقا وتضرب بينهم وبين الفقر موبقا وما أطلنا لك القول في هذه الوصية الا اعلاما بانها من المهم الذي يستقبل ولا يستدبر ويستكثر منه ولا يستكبر وهذا يعد من جهاد النفس في بذل المال ويتلوه جهاد العدو الكافر في مواقف القتال وأمير المؤمنين يعرفك من ثوابه مايجعل السيف في ملازمته أخا وتستخوله بنفسك ان كان أحد بنفسه سخا ومن صفاته ان العمل المحبوب يفضل الكرامة الذي ينمو أجره بعد صاحبه الي يوم القيامة وبه يمتحن طاعة الخالق على المخلوق وكل الاعمال عاطلة لاخلوق لها وهي المختص دونها بزينة الخلوق ولولا فضله لما كان محسوبا بشطر الايمان ولما جعل الله الجنة له ثمنا وليست لغيره من الاثمان وقد علمت ان العدو هو جارك الادنى والذى يبلغك وتبلغه عينا واذنا ولا تكون للاسلام نعم الجار حتي يكون له بئس الجار ولا عذر لك في ترك جهاده بنفسك ومالك اذا قامت لغيرك الاعذار وأمير المؤمنين لايرضى منك بان تلقاه مصافحا أو تطرق أرضه مماسيا أو مصابحا بل يريد ان تقصد البلاد التي في يده قصد المستغير لاقصد المغير وان تحكم فيها بحكم الله الذي قضاه على لسان سعد في بني قريظة والنضير وعلى الخصوص البيت المقدس فانه بلاد الاسلام القديم وأخو البيت الحرام في شرف التعظيم والذي توجهت اليه الوجوه من قبل بالسجود والتسليم وقد أصبح وهو يشكو طول المدة في أسر رقبته وأصبحت كلمة التوحيد وهي تشكو طول الوحشة في غربتها عنه وغربته فانهض اليه نهضة متوغل في فرحه وتبدل صعب قياده بسمحه وان كان له عام حديبية فاتبعه بعام فتحه وهذه الاستزادة بعد سداد مافي اليد من ثغر كان مهملا فحميت موارده أو مستهدما فرفعت قواعده ومن أهمها ماكان حاضر البحر كانه أعمه عورته مكشوفه وحطه مخوفة والعدو قريب منه على بعد، وكثيرا مايأتيه فجاءه حتى يشق برقه برعده فينبغي ان ترتب بهذه الثغور رابطة يكثر شجعانها ويقل أقرانها ويكون قتالها لان تكون كلمة الله العليا لا لأن يرى مكانها وحينئذ يصبح كل منها وله من الرجال أسوار وتعلم أهله ان بناء السيف أمتع من بناء الاحجار ومع هذا فلا بد له من اصطول يكثر عدده ويقوى مدده فانه

العمدة التي يستعين بها على كشف العماء والاستكثار من سبايا العبيد والاماء وجيشه أخو الجيش السليماني فذاك يسري على متن الريح وهذا يجري على متن الماء ومن صفات خيله انها جمعت بين العوم والمطار وتساوت أقدار خلقها على اختلاف مدة الاعمار فاذا أشرعت قيل جبال متلفعة بقطع من الغيوم واذا نظر الى أشكالها قيل أهلة غير أنها تهتدي في مسيرها بالنجوم ومثل هذا الخيل ينبغي ان يغالى من جيادها ويستكثر من قيادها وليؤمر عليها أمير يلقي البحر بمثله من سعة صدره ويسلك طرقه سلوك من لم تقتله بجهلها ولكن قتلها بخبره وكذلك فليكن ممن أفنت الايام تجاربه ورحمتها مناكبه وممن بذل الصعب اذا هو ساسه وان سيس لان جانبه وهذا هو الرجل الذي يرأس على القوم فلا يجد هذه بالرياسة فان في الساقة فني الساقة أو كان في الحراسة فني الحراسة ولقد أفلحت عصابة اعتصبت من ورائه وأيقنت بالنصر من رايته كما ايقنت بالنجح من رأيه واعلم انه قد اخل من الجهاد بركن يقدح فى علمه وهو تمامه الذي يأتي في آخره كما ان صدق النبة تأتي في اوله وذلك هو قسم الغنائم فان الايدي قد تناولته بالاجحاف وخلطت جهادها فيه بفلولها فلم ترجع بالكفاف والله قد جعل الظلم في تعدي حدوده المحدودة وجعل الاستئثار بالمغنم من اشراط الساعة الموعودة ونحن نعوذ به ان يكون زماننا هذا شر زمان وناسه شر ناس ولم يستخلفنا على حفظ اركان دينه ثم نهمله اهمال مضيع ولا اهمال ناس ( والذي ) نامرك به ان تجرى هذا الامر على المنصوص من حكمه وتبري ذمتك مما يكون غيرك الفائز بفوائده وانت المطالب باثمه وفي ارزاق المجاهدين بالديار المصرية والشامية مايغنيهم عن هذه الاكلة التي تكون غدا نكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذاباً أليما فتصفح ماسطرناه لك من هذه الاساطير التي هي عزائم مبرمات بل آيات محكمات وتحبب الى الله والى أمير المؤمنين باقتفاء كتابها وابن لك بها مجداً يبقى في عقبك اذا أصيبت البيوت في أعقابها وهذا الذى ينطق عليك بانه لم يأل في الوصايا التي أوصاها فانه لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ثم انه قد ختم بدعوات دعا بها أمير المؤمنين عند ختامه وسأل فيها خيرة الله التي تتنزل من أمر منزلة نظامه ثم قال اني أشهدك على من قلدته شهادة تكون عليه رقيبة وله حسيبة فانى لم آمره الا بأوامر الحق التي فيها موعظة وذكرى ولمن تبعها هدى ورحمة وبشرى واذا أخذ بها فلج بحجته يوماً يسأل فيه عن الحجج ولم يختلج دون رسوله على الحوض في جملة من يختلج وقيل له لاحرج عليك ولا اثم اذ نجوت من ورطات الاثم والحرج والسلام

قال الفقيه عمارة اليمني يرثي العضاد وكان من خواصهم

ياعاذلى في هوى أبناء فاطمة * لك الملامة ان قصرت في عذلى

بالله زرساحة القصرين وأبك معي * عليهما لا على صفين والجمل

وقال بعض الشعراء يمدح بني أيوب على مافعلوه

الستم مزيلي دولة الكفر من بني * عبيد بمصر ان هذا هو الفضل
زنادقة شيعية باطنية * مجوس ومافي الصالحين لهم أصل
يسرون كفراً يظهرون تشيعا * ليستروا شياء وعمهم الجهل

وقال حسان عرقلة

أصبح الملك بعد آل عبيد * مشرفاً بالملوك من آل شاذى
وغدا الشرق يحسد الغرب للقوم * ومصر تزهو على بغداذ
ماحووها الا بعزم وحزم * وصليل الفؤاد في الفولاذ
لا كفرعون والعزيز ومن كا * ن بها كالحصيب والاستاذ

قال أبو شامة يعني بالاستاذ كافور الاخشيدى قال وقد أفردت كتابا ( سميته ) كشف ما كان عليه بنوا عبيد من الكفر والكذب والمكر والكيد وكذا صنف العلماء في الرد عليهم كتباً كثيرة من أجلها كتاب القاضى أبي بكر الباقلاني الذى سماه كشف الاسرار وهتك الاستار ولما استقل السلطان صلاح الدين بأرض مصر أسقط عن أهلها المكوس والضرائب وقرأ المنشور بذلك على رؤوس الاشهاد يوم الجمعة بعد الصلاة ثالث صفر سنة سبع وسبعمائة واستولى على القصر وخزائنه وفيها من الاموال مالا يحصى من ذلك سبعمائة يتيمة من الجوهر وقضيب زمرد طوله أكثر من شبر وسمكه نحو الابهام وعقد من ياقوت وأبريق عظيم من الحجر المائع الى غير ذلك من التحف ووجد خزانة كتب ليس في الاسلام لها نظير تشتمل على نحو الفي ألف مجلد منها بالخطوط المنسوبة مائة الف مجلد فاعطاها القاضى الفاضل وأخذ السلطان صلاح الدين في نصر السنة واشاعة الحق واهانة المبتدعة والانتقام من الروافض وكانوا بمصر كثيرين ثم تجردت همته الى الفرنج وغزوهم فكان من أمره معهم ماضافت به التواريخ واسترد منهم ما كانوا استولوا عليه من بلاد الاسلام بالشام من ذلك القدس الشريف ففتحه بعد أن كان في يد الفرنج وأجلى مابين الشام ومصر من الفرنج ثم افتتح الحجاز واليمن من يد متغلبيها وتسلم دمشق بعد موت نور الدين فصار سلطان مصر والشام واليمن والحجاز قال ابن السبكى في الطبقات الكبرى له من الفتوحات التي خلصها من يد الفرنج قلعة ايلا وطبرية عكا القدس الخليل الكرك الشويك نابلس عسقلان بيروت صيدا بيسان غزة لد حصا صنورية الغولة مغلبا الطور اسكندرية هفوس بامان أرسوف قيساريه جبل نبل معليكة عقربلا اللجون لسمة يافول مجدل بابابل الصافيه بيت نوبا الطرون الجب الكرسة بيت

لحم ريحاقرا واحصر الدير وبير فلفيلية صرير الزيت الوعر الهرمس تفليسا الغارزية تفرع الكرمك مجدل الحارغير في جبل عامله الشقيف وسيطلة يقال لها قبر زكرياوجبل وكوكب وانطرطوس واللاذقية ومكسرابيل صهيون جبله قلعة العبدقلعة الجماهرية بلاطنس الشغر مكاس وسمرسامية وبرويه ودرسال وبغراس وصفد وله مضافات يطول شرحها وافتتح كثيرا من بلاد النوبة من يد النصارى وكانت مملكته من المغرب الى تخوم العراق ومعها اليمن والحجاز فملك ديار مصر بأسرها مع ما انضم اليها من بلاد المغرب والشأم بأسرها مع حلب وما والاها وأكثر ديار ربيعة وبكر والحجاز بأسره واليمن بأسره ونشر العدل في الرعية وحكم بالقسط بين البرية وبني المدارس والخوانق وأجرى الارزاق على العلماء والصلحاء مع الدين المتين والورع والزهد والعلم وكان يحفظ القرآن والتنبيه والحماسة وهو الذى ابتنى قلعة القاهرة على جبل المقطم التي هي الآن دار السلاطين ولم يكن السلاطين يسكنون قبلها الا دار الوزارة بالقاهرة وفتح من بلاد المسلمين حران وسروحا والرها والرقة والبيرة وسنجاراً ونصيبين وآمد وملك حلبا والمواريخ وشهرزور وحاصر الموصل الى ان دخل صاحبها تحت طاعته وفتح عسكره طرابلس الغرب وبرقة من بلاد المغرب وكسر عسكر تونس وخطب بها لبني العباس ولو لم يقع الخلف بين عسكره الذين جهزهم الى المغرب لملك الغرب بأسره ولم يختلف عليه مع طول مدته أحد من عسكره على كثرتهم وكان الناس يأمنون ظلمه لعدله ويرجون رفده لكثرته ولم يكن لمبطل ولا لصاحب هزل عنده نصيب وكان اذا قال صدق واذا وعد وفا واذا عاهد لم يخن وكان رقيق القلب جداً ورحل الى الاسكندرية بولديه الافضل والعزيز لسماع الحديث من السلفي ولم يعهد ذلك لملك بعد هرون الرشيد فانه رحل بولديه الامين والمأمون الى الامام مالك لسماع الموطاء هذا كله كلام السبكي في الطبقات قال ومن الكتب والمراسيم عنه في النهى عن الخوض في الحرف والصوت وهو من انشاء القاضي الفاضل لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض الآية خرج أمرنا الى كل قائم في صف أو قاعد في أمام وخلف ان لا يتكلم في الحرف بصوت ولا في الصوت بحرف ومن تكلم بعدها كان الجدير بالتكليم فليحذر الذين يخالفون عن أمر ما ان تصيبهم فتنه أو يصيبهم عذاب أليم ويسئل النواب القبض على مخالفى هذا الخطاب وبسط العذاب ولا يسمع المنفقة في ذلك تحرير جواب ولا يقبل عن هذا الذنب متاب ومن رجع الى هذا الايراد بعد الاعلان وليس الخبر كالعيان رجع أخرس من ضعفه بنى غسان وليعلى بقراءة هذا الامر على المنابر وليعلم به الحاضر والبادى ليستوى فيه البادى والحاضر والله يقول الحق وهو يهدى السبيل (ومن) صنائع السلطان صلاح الدين انه أسقط المكوس والضرائب عن الحجاج بمكة وقد كان

يؤخذ منهم شيء كثير ومن عجز عن أدائه حبس فربما فاته الوقوف بعرفة وعوض أميرها ثمال اقطاعا بديار مصر يحمل اليه منه في كل سنة ثمانية آلاف أردب غلة فلتكن عونا له ولا تباعه وقرر للجاورين أيضاً غلات تحمل اليهم وصلاة فرحمة الله عليه في سائر الاوقات فلقد كان اماماً عادلا وسلطانا كاملا لم يل مصر بعد الصحابة مثله لاقبله ولا بعده (وقد) كان الخليفة المستضيء أرسل اليه في سنة أربع وسبعين خلعاً سنية جداً وزاد في القابه معز أمير المؤمنين ثم لما ولى الخليفة الناصر في سنة ست وسبعين أرسل اليه خلعة الاستمرار ثم أرسل اليه فى سنة اثنتين وثمانين يعاتبه في تلقيبه بالملك الناصر مع انه لقب أمير المؤمنين فأرسل يعتذر اليه بان ذلك كان من أيام الخليفة المستضيء وانه ان لقبه أمير المؤمنين يلقب فهو لايعدل عنه وتأدب مع الخليفة غاية الادب (قال العماد) وقد كان للمسلمين لصوص يدخلون الى خيام الفرنج فيسرقون فاتفق ان بعضهم أخذ صبياً رضيعاً من مهده ابن ثلاثة أشهر فوجدت عليه أمه وجداً شديداً واشتكت الى ملوكهم فقالوا لها ان سلطان المسلمين رحيم القلب فاذهبي اليه فجاءت الى السلطان صلاح الدين فبكت وشكت أمر ولدها فرق لها رقة شديدة ودمعت عيناه فأمر باحضار ولدها فاذا هو بيع في السوق فرسم بدفع ثمنه الى المشترى ولم يزل واقفاً حتي جيء بالغلام فدفعه الى أمه وحملها على فرس الى قومها مكرمة واستمر السلطان صلاح الدين على طريقته العظيمة من مثابرة الجهاد للكفار ونشر العدل وابطال المكوس والمظالم واجراء البر والمعروف الى ان أصيب به المسلمون وانتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى ليلة الاربعاء سادس عشرى صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائه وله من العمر سبع وخمسون سنة وعمل الشعراء فيه مراثي كثيرة من ذلك قصيده للعماد الكاتب مائتان وثلاثون بيتاً أولها

شمل الهدى والملك عم شتاته * والدهر ساء وأقلعت حسناته
بالله أين الناصر الملك الذى * لله خالصة صفت نياته
أين الذى مازال سلطانا لنا * يرجى نداه وتتقى سطواته
أين الذى شرف الزمان بفضله * وسمت على الفضلاء تشريفاته
أين الذى عنت الفرنج لبأسه * ذلا ومنها أدركت ناراته
أغلال أعناق العدى أسيافه * أطواق أجياد الورى حسناته

(قال العماد) وغيره لم يترك في خزانته من الذهب سوى جرم واحد صوريا وستة وثلاثين درهماً ولم يترك داراً ولا عقاراً ولا مزرعة ولا شيئاً من أنواع الاملاك وترك سبعة عشر ولداً ذكرا وابنة واحدة وكان متديناً في مأكله ومشربه ومركبه وملبسه فلا يلبس الا القطن والكتان والصوف وكان يواظب الصلاة في

الجماعة ويواظب سماع الحديث حتي أنه سمع في بعض المصافات جزأ وهو بين الصفين ويتجح بذلك وقال هذا موقف لم يسمع فيه احد حديثا وبالجملة فمناقبه الحميدة كثيرة لا تستقصى الا في المجلدات وقد افرد سيرته بالتصنيف جماعة من العلماء والزهاد والادباء وكان به عرج في رجله فقال فيه ابن عنين الشاعر

سلطاننا أعرج وكاتبه * ذو عمش والوزير منحدب

قال ابن فضل الله في المسالك ومن غرائب الاتفاق أن الشيخ علم الدين السخاوى مدح السلطان صلاح الدين ومدحه الاديب رشيد الدين الفارقي وبين وفاتيهما مائة سنة وذكر اليافعي في روض الرياحين ان السلطان صلاح الدين كان من الاولياء الثلثمائة وان السلطان محمودا كان من الاولياء الاربعين وقام بمصر من بعده ولده الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان وكان نائب أبيه بها في حياته مدة اشتغاله بفتح البلاد الشامية فاستقل بها بعد وفاته فسار سيرة حسنة بعفة عن الفرج والاموال حتي انه ضاق مابيده ولم يبق في الخزانة لادرهم ولا دينار فجاءه رجل يسعى في قضاء الصعيد بمال فامتنع وقال والله لابعت دماء المسلمين وأموالهم يملك الارض وسعى آخر في قضاء الاسكندرية بأربعين ألف دينار وحملها اليه فلم يقبلها ولم يزل الي أن مات في المحرم سنة خمس وتسعين وله سبع أو ثمان وعشرون سنه ودفن في قبة الامام الشافعى فأقيم ولده ناصر الدين محمد ولقب المنصور فاستمر الى رمضان سنة ست وتسعين ثم استفتي عم أبيه الملك العادل سيف الدين ابو بكر بن أيوب بن شاذى الفقهاء في عدم صحة مملكته لكونه صغيراً ابن عشر سنين فافتوا بأن ولايته لاتصح فنزع واقيم الملك العادل وقيل ان العادل أخذها من الافضل علي بن الساطان صلاح الدين وكان الافضل غلب عليها وانتزعها من المنصور وأرسل العادل الى الخليفه يطلب التقليد بمصر والشام فأرسله اليه مع الشهاب السهر وردى فكان يصيف بالشام ويشتي بمصر وينتقل في البلاد الى ان مات يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة ومن قول ابن عنين فيه

ان سلطاننا الذى نرتجيه * واسع المال ضيق الانفاق
هو سيف كما يقال ولكن * قاطع للرسوم والارزاق

(والعادل) أول من سكن قلعة الجبل بمصر من الملوك سكنها فى سنة أربعين وستمائة ونقل اليها اولاد العاضد واقاربه في بيت في صورة حبس وكان ابنه الملك الكامل ناصر الدين أبو المعالي محمد ينوب عنه بمصر في أيام غيبته فاستقل بها بعد وفاته وفي هذه السنة نزلت الفرنج على دمياط وأخذوا برج السلسلة وكان حصنا منيعا وهو قفل بلاد مصر وصفته انه في وسط جزيرة في النيل عند انتهائه الي البحر ومن هذا البرج الى دمياط وهي على شاطيء

البحر وحافة النيل سلسلة ومنه الي الجانب الآخر وعلى الجسر سلسلة أخرى ليمنع دخول المراكب من البحر الى النيل فلا يتمكن من البلاد فلما ملكت الفرنج هذا البرج شق ذلك على المسلمين بديار مصر وغيرها ووصل الخبر الي الملك العادل وهو بمرج الصفراء فتأوه تأوها شديداً ودق بيده على صدره أسفا وحزنا ومرض من ساعته مرض الموت ثم في سنة ست عشرة استحوذ الفرنج على دمياط وجعلوا الجامع كنيسة لهم وبعثوا بمنبره وبالربمات ورؤس القتلى الى الجزائر فانالله وانا اليه راجعون واستمرت بأيديهم الى سنة سبع عشرة وكان الكامل عرض عليهم ان يرد اليهم بيت المقدس وجميع ما كان صلاح الدين فتحه من بلاد السواحل ويتركوا دمياط فامتنعوا من ذلك فقدر الله انه ضاقت عليهم الاقوات فقدمت عليهم مراكب فيهاميرة فأخذها الاصطول البحرى وأرسلت المياه علي اراضى دمياط من كل ناحية فلم يمكنهم بعد ذلك ان يتصرفوا في أنفسهم وحصرهم المسلمون من الجهة الاخرى حتى اضطروهم الى اضيق الاماكن فعند ذلك أنابوا الى المصالحة بلا معاوضة وكان يوما مشهودا ووقع الصلح على ماأراد الكامل ومدسماطا عظيما وقال راجح الحلى فأنشد

هنيئا فان السعد أضحى مخلداً * وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا
حباناالله الحاق فتحا بدي لنا * مبينـا وانعـاماً وعزاً مؤيدا

الي أن قال

أعباد عيسى ان عيسي وحزبه * وموسى جميعا يخدمون محمدا

وكان حاضرا حينئذ الملك المعظم عيسى والملك الاشرف موسى ابناء الملك العادل قال أبو شامه وبلغني انه لما انشد هذا البيت أشار الي الملك المعظم عيسى والاشرف موسى والكامل محمد فكان ذلك من احسن شيء اتفق وتراجعت الفرنج الى عكا وغيرها من البلدان قال الحافظ شرف الدين الدمياطى في معجمه (أنشدنا) أبو زكريا يحيي بن يوسف الصرصري لنفسه ببغداد وقد ورد كتاب من ديار مصر الى الديوان بانتصار المسلمين على الروم وفتح ثغر دمياط

اتانا كتاب فيه نسخة نصرة * الخص معناها لذي فطن جـلد
يقول ابن ايوب المعظم حامـدا * لرب السماء الواحد الصمد الفرد
امرنا بحمد الله جـل ثناؤه * وعزاري دفر يس فى طالع السعد
تركنا من الاعلاج بالسيف مطعنا * ثلاثـين الفا للقشاعم والاسـد
ومنهـم الوف اربعون بأسرنا * فكم ملك في قبضنا صار كالعبد
ودمياط عادت مثـل مابدات لنا * ويافا ملكناها فيالك من جد

ونحن على ان نملك السيف كله * على ثقة ممن له خالص الحمد
الا يا ابن ايوب لقد نلت غاية * من النصر ضاهت مابلغت من المجد
قهرت فرنج الروم قهرا سماعه * يقسم ذل الرعب في الترك والسفد
وما نلت اسباب العلا عن كلالة * ولم يأتك المجد الموثل من بعد
ولكن ورثت الملك والفضل عن اب * جليل وعن عم نبيل وعن جد
لجأت الي ركن شديد ومعقل * منيع وكنز جامع جوهر المجد
الى فاتح باب الرشاد ببعثه * وخاتم ميثاق النبوة والعهد
الى الشافعي المنجي الوجيه محمد * فأحسنت في صدق التوجه والقصد
فمهما تجد من كيد ضد مضاغن * توجه به تظفر وتنصر على الضد
فلا صد عن عز سوابق مجدكم * كلال ولا غال الكلول شبا الحد
الى ان تذيق الروم في عقر دارهم * زعافا وتسقى المؤمنين جنا الشهد

( ولما تولى ) المستنصر الخلافة أرسل الى الكامل محيي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي ومعه كتاب عظيم فيه تقليده الملك وفيه أوامر كثيرة مليحة من انشاء الوزير نصير الدين احمد بن الناقد رأيت بخط قاضي القضاة عز الدين بن جماعة قال وقفت على نسخة تقليد من الخليفة المنصور ابن جعفر المستنصر بالله أمير المؤمنين بخط وزيره أبي الازهر أحمد بن الناقد في رجب سنة نيف وعشرين وستمائة للملك الكامل ( الحمد لله ) الذي اطمأنت القلوب بذكره ووجب على الخلائق جزيل حمده وشكره ووسعت كل شيء رحمته وظهرت في كل أمر حكمته ودل على واحدانيته بعجائب ما أحكم صنعاً وتدبيرا وخلق كل شيء فقدره تقديرا فمد الشاكرين بنعمائه التي لاتحصي عددا وعالم الغيب الذي لايظهر على غيبه أحدا لامعقب لحكمه في الابرام والنقض ولا يؤده حفظ السموات والارض تعالى أن يحيط به الضمير وجل أن يبلغ وصفه البيان والتفسير ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ( واحمد الله ) الذي أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وابتعثه هاديا للخلق وأوضح به مناهج الرشد وسبل الحق واصطفاه من أشرف الانساب وأعز القبائل وجعله أعظم الشفعاء وأقرب الوسائل فقذف صلى الله عليه وسلم بالحق على الباطل وحمل الناس بشريعته على المحجة البيضاء والسنن العادل حتى استقام اعوجاج كل زائغ ورجع الى الحق كل حائد عنه ومائل وسجد لله كل شيء تتفيؤ ظلا له عن اليمين والشمائل صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام الافاضل صلاة مستمرة بالغدوات والآصائل خصوصاً على عمه وصنو أبيه العباس بن عبد المطلب الذي اشتهرت مناقبه في المجامع والمحافل وردت

ببركة استسقائه اخلاف السحب الهواطل وفاز من تنصيص الرسول صلى الله عليه وسلم في الخلافة المعظمة بما لم يفز به أحد من الاوائل والحمد لله الذى حاز مواريث النبوة والامامة ووفر من جزيل الاقسام من الفضل والكرامة لعبده وخليفته ووارث نبيه ومحيي شريعته وسننه (ولما) وفق الله نصير الدين محمد بن سيف الدين أبي بكر بن أيوب من الطاعة المشهورة والخدم المشكورة أنعم عليه بتقليد شريف امامى فقلده على خيرة الله الرعاية والصلاة وأعمال الحرب والمعادن والاحداث والخراج والضياع والصدقات والجوالى وسائر وجوه الجبايات والقرض والعطاء والنفقة في الاولياء والمظالم والحسبة في بلاده وما يفتتحه ويستولى عليه من بلاد الفرنج الملاعين وبلاد من تبرز اليه الاوامر الشريفة بقصده من المارقين عن الاجماع المنعقد بين علماء المسلمين ومنه أمره بتقوى الله تعالى التي هي الجنة الواقية والنعمة الباقية والملجأ المنيع والعماد الرفيع والذخيرة النافعة في السر والنجوى والجدوة المقتبسة من قوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى وأن يدرع شعارها في جميع الاقوال ويهتدي بأنوارها من مشكلات الامور والاحوال وأن يعمل بها سراً وجهراً ويشرح للقيام بحدودها الواجبة صدراً قال الله تعالى ومن يتق الله يكفر عنه سيآته ويعظم له أجراً وأمره بتلاوة كتاب الله تعالى متدبراً غوامض عجائبه سالكا سبيل الرشاد والهداية في العمل به وان يجعله مثالا يتبعه ويقتفيه ودليلا يهتدى بمراشده الواضحة في أوامره ونواهيه فانه النقل الاعظم وسبب الله المحكم والدليل الذى يهدي للتي هى أقوم ضرب الله فيه لعباده جوامع الامثال وبين لهم بهداه مسالك الرشد والضلال وفرق بدلائله الواضحة ونواهيه الصادقة بين الحرام والحلال فقال عز من قائل هذا بيان للناس وهدي وموعظة للمتقين وقال تعالى كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب وأمره بالمحافظة على مفروض الصلوات والدخول فيها على أكمل هيئة من قوانين الخشوع والاخبات وان يكون نظره في موضع نجواه من الارض وأن يمثل لنفسه في ذلك موقفه بين يدى الله تعالى يوم العرض قال تعالى والذين هم في صلاتهم خاشعون وقال سبحانه ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وأن لا يشتغل بشاغل عن أداء فروضها الواجبة ولا يلهو بسبب عن اقامة سنتها الراتبة فانها عماد الدين التي سمت أعاليه ومهاد الشرع الذي رست قواعده ومبانيه قال تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطي وقوموا لله قانتين وقال تعالى ان الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر وأمره ان يسعى الى صلاة الجمع والاعياد ويقوم في ذلك بما فرضه الله عليه وعلى العباد وان يتوجه الى المساجد والجوامع متواضعاً ويبرز الى المصليات الضاحية في الاعياد خاشعاً وأن يحافظ في تشييد قواعد الاسلام على الواجب والمندوب

ويعظم باعتماده ذلك شعائر الله التي هى من تقوي القلوب وأن يشتمل بوافر اهتمامه واعتنائه وكمال نظره وأرعائه بيوت الله التي هى محال البركات وموطن العباداة والمساجد التي تأكد في تعظيمها واجلالها حكمه والبيوت التي أذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه وان يرتب لها من الخدم من يتبتل لازالة أدناسها ويتصدي لاذكاء مصابيحها في الظلام واياناسها ويقوم لها بما يحتاج اليه من أسباب الصلاح والعمارات ويحضر اليها مايليق من الدهن والكسوات وأمره باتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أوضح جددها وثقف عليه السلام أودها وان يعتمد فيها على الاسانيد التى نقلتها الثقات والاحاديث التى صحت بالطرق السليمة والروايات وان يقتدي بما جاءت به من مكارم الاخلاق التي ندب صلى الله عليه وسلم الي التمسك بسببها ورغب أمته في الاخذ بها والعمل بأدبها قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال سبحانه وتعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وأمره بمجالسة أهل العلم والدين وأولى الاخلاص فى طاعة الله واليقين والاستشارة بهم في عوارض الشك والالتباس والعمل بآرائهم في التمثيل والقياس فان في الاستشارة بهم عين الهداية وأمنا من الضلال والغواية ولا يلقح عقم الافهام والالباب ويقتدح زناد الرشد والصواب قال الله تعالى في الارشاد الى فضلها والامر في التمسك بحبلها وشاورهم في الامر وأمره بمراعاة أحوال الجند والعسكر في ثغوره وان يشملهم بحسن نظره وجميل تدبيره مستصلحاً شأنهم بادامة التلطف والتعهد مستوضحاً أحوالهم بمواصلة التفحص عنها والتفقد وأن يسومهم بسياسة تبعثهم على سلوك المنهج السليم ويهديهم في انتظامها واتساقها الى الصراط المستقيم ويحملهم على القيام بشرائط الخدم والتلزم بها بأقوي الاسباب وأمتن العصم ويدعوهم الى مصلحة التواصل والائتلاف ويصدهم عن موجبات التخاذل والاختلاف وأن يعتمد فيهم شرائط الحزم في الاعطاء والمنع وما تقضيه مصلحة أحوالهم من أسباب الخفض والرفع وأن يثيب المحسن منهم على احسانه ويسبل على المسيء ماوسعه العفو واحتمل الامر ذيل صفحة وامتنانه وان يأخذ برأى ذوى التجارب منهم والحنكة ويجتني بمشاورتهم ثمر البركه اذ في ذلك أمن من خطأ الانفراد وتزخرح عن مقام الزيغ والاستبداد وامره بالتبتل لما يليه من البلاد ويتصل بنواحيه من ثغور أولى الشرك والعناد وان يصرف مجامع الالتفات اليها ويخصها بوفور الاهتمام بها والمتطلع عليها وأن يشمل ما ببلاده من الحصون والمعاقل بالاحكام والاتقان وينتهى في اسباب مصالحها الى غاية الوسع والامكان وان يشحنها بالميرة الكثيرة والذخائر ويمدها من الاسلحة والآلات بالعدد المستصلح الوافر وان يخير لحراستها من الامناء الثقات ويسدها بمن ينتخبه من الشجعان الكمات

وان يؤكد عليهم في استعمال أسباب الحيطة والاستظهار ويوقظهم الى الاحتراس من غوائل الغفلة والاغترار وأن يكون المشار اليهم ممن تربوا في ممارسة الحروب على مكافحة الشدائد وتدربوا في نصب الحبائل للمشركين والاخذ عليهم بالمراصد وأن يعتمد هذا القبيل بمواصلة المدد وكثرة العدد والتوسعة في النفقة والعطا والعمل معهم بما يقتضيه حالهم وتفاوتهم في التقصير والغنا اذ في ذلك حسم لمادة الاطماع في بلاد الاسلام ورد لكثير المعاندين من عبدة الاصنام فمعلوم ان هذا الفرض أولى ماوجهت اليه العنايات وصرفت وأحق ما قصرت عليه الهمم ووقفت فان الله تعالى جعله من أهم الفروض التى لزم القيام فيها بحقه وأكبر الواجبات التى كتب العمل بها علي خلقه فقال سبحانه وتعالي هادياً في ذلك الى سبيل الرشاد ومحرضا لعباده على قيامهم له بفرض الجهاد ذلك بأنهم لايصيبهم ظمأ ولا نصب الي قوله تعالى ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون وقال تعالى واقتلوهم حيث ثقفتموهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم من نزل منزل يخيف فيه المشركون ويخيفونه كان له كاجر ساجد لايرفع رأسه الي يوم القيامة واجر قائم لايقعد الي يوم القيامة وأجر صائم لايفطر وقال صلى الله عليه وسلم وغدوة في سبيل الله او روحة خير مما طلعت عليه الشمس هذا قوله صلى الله عليه وسلم فى حق من سمع هذه المقالة فوقف لديها فكيف بمن كان قال عليه السلام ألا أخبركم بخير الناس ممسك بعنان فرسه في سبيل الله كلما سمع هيعة طار اليها وامره باقتفاء اوامر الله تعالى في رعاياه والاهتداء الى رعاية العدل والانصاف والاحسان بمراشده الواضحة ووصاياه وان يسلك في السياسة بهم سبيل الصلاح ويشملهم بلين الكنف وخفض الجناح ويمد ظل رعايتهم على مسلمهم ومعاهدهم ويزحزح الاقذاء والشوائب عن مناهلهم في العدل وموارهم وينظر في مصالحهم نظرا يساوى فيه بين الضعيف والقوى ويقوم بأودهم قياماً تهتدي به ويهديهم الي الصراط السوي قال الله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية وأمره باعتماد أسباب الاستظهار والامنة واستقصاء الطاقة المستطاعة والقدرة الممكنة في المساعدة على قضاء تفث حجاج بيت الله الحرام وزوار نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام وان يمدهم بالاعانة في ذلك على تحقيق الرجاء وبلوغ المرام ويحرسهم من التخطف والاذي في حالتي الظعن والمقام فان الحج أحد أركان الدين المشيدة وفروضه الواجبة المأكدة قال تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وأمره بتقوية أيدي العالمين بحكم الشرع في الرعايا وتنفيذ مايصدر عنهم من الاحكام والقضايا والعمل بأقوالهم فيما يثبت لذوي الاستحقاق والشد على أيديهم فيما يرونه من المنع والاطلاق وانه متي تأخر أحد الخصمين عن اجابة داعي الحكم أو تقاعس في ذلك لما يلزم من الاداء والغرم

جذبه بعنان القسر الى مجلس الشرع واضطره بقوة الانصار الى الاداء بعد المنع وان يتوخى عمال الوقوف التى تقرب المتقربون بها واستمسكوا في ظل ثواب الله بمتين سببها وان يمدهم بجميل المعاونة والمساعدة وحسن المؤازرة والمعاضدة في الاسباب التي توزن بالعمارة والاستنماء ويعود عليها بالمصلحة والاستخلاص والاستيفاء قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وأمره ان يخير من أولي الكفاية والنزاهة من يستخلصه للخدم والاعمال والقيام بالواجب من أداء الامانة والحراسة والتمييز لبيت المال وان يكونوا من ذوى الاطلاع بشرائط الخدم المعينة وأمورها والمهتدين الى مسالك صلاحها [ قال الصلاح الصفدى ] فى تاريخه حكي صاحب كتاب الاشعار بما للملوك من النوادر والاشعار قال كان الملك الكامل ليلة جالساً فدخل عليه مظفر الاعمى فقال له اجز يا مظفر

* قد بلغ الشوق منتهاه * فقال مظفر * وما درى العاذلون ماهو * فقال السلطان * ولى حبيب رأى هواني * فقال مظفر * وما تغيرت عن هواه * فقال السلطان * رياضة النفس في احتمال * فقال مظفر * وروضة الحسن في حلاه * فقال السلطان * أسمر لدن القوام المى * فقال مظفر * يعشقه كل من يراه * فقال السلطان * وريقه كلها مدام * فقال مظفر * ختامها المسك من لماه * فقال السلطان * ليلته كلها رقاد * فقال مظفر * وليلتي كلها انتباه * فقال السلطان * وما يرى ان أكون عبداً * فقام مظفر على قدميه وقال * بالملك الكامل احتماه *

العالم العامل الذي * في كل صلاة ترى اياه
ليث وغيث وبدر تم * ومنصب جل مرتقاه

قال الحافظ عبد العظيم المنذري انشاء الملك الكامل دار الحديث بالقاهرة وعمر القبة على ضريح الشافعي وأجرى الماء من بركة الحبش الي حوض السبيل والسقاية على باب القبة المذكورة ووقف غير ذلك من الوقوف على أنواع البر وله المواقف المشهودة بدمياط وكان معظما للسنة واهلها قال الذهبي وكانت له اجازة من السلفي وخرج له ابو القاسم بن الصفراوى أربعين حديثاً سمعها من جماعة وقال ابن خلكان اتسعت المملكة للملك الكامل حتى قال خطيب مكة مرة عند الدعاء له سلطان مكة وعبيدها واليمن وزبيدها ومصر وصعيدها والشام وصناديدها والجزيرة ووليدها سلطان القبلتين ورب العلامتين وخادم الحرمين الشريفين الملك الكامل أبو المعالي ناصر الدين محمد خليل أمير المؤمنين وكانت وفاته بدمشق يوم الاربعاء حادي عشرى رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة وأقيم بعده ولده الملك العادل أبو بكر وكان نائب ابيه بمصر مدة غيبته فبلغ ذلك أخاه الاكبر الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل صاحب حصن كيفا فقدم وبرز

العادل الي بلبيس قاصداً للقتال فاختلفت عليه الامراء فقيدوه واعتقلوه وارسلوا الى الصالح أيوب فوصل اليهم فملكوه وذلك في صفر سنة سبع وثلاثين فأقام في الملك عشر سنين الا أربعة أشهر وكان مهيبا جدا دبر المملكة على أحسن وجه وبني المدارس الاربعة بين القصرين وعمر قلعة بالروضة واشترى ألف مملوك وأسكنهم بها وسماهم البحرية وهو الذي أكثر من شراء الترك وعتقهم وتأميرهم ولم يكن ذلك قبله فقام الشيخ عز الدين ابن عبد السلام القومة الكبري في بيع أولئك الامراء وصرف ثمنهم في مصالح المسلمين وقال بعض الشعراء

الصالح المرتضى أيوب أكثر من * ترك بدولته ياشر مجلوب
قد آخذ الله أيوبا بفعلته * فالناس كلهم في ضر ايوب

(ولما تولى) الخليفة المستعصم نفد الصالح اليه رسوله يطلب تقليداً بمصر والشام فجاءه التشريف والطوق الذهب والمركوب فلبس التشريف الاسود والعمامة والجبة وركب الفرس وكان يوما مشهودا فلما كان سنة سبع واربعين هجمت الفرنج على دمياط فهرب من كان فيها واستحوذوا عليها والملك الصالح مقيم بالمنصورة لقتالهم فأدركه أجله ومرض ومات بها ليلة النصف من شعبان فاخفت جاريته شجرة الدر موته وبقيت تعلم بعلامته سواء وأعلمت أعيان الامراء فأرسلوا الى ابنه الملك المعظم توران شاه وهو بحصن كيفا فقدم في ذى القعدة وملكوه فركب في عصائب الملك وقاتل الفرنج وكسرهم وقتل منهم ثلاثين الفاً ولله الحمد وكان في عسكر المسلمين الشيخ عز الدين بن عبد السلام وكانت النصرة أولا للفرنج وقويت الريح على المسلمين فقال الشيخ عز الدين بأعلى صوته مشيرا بيده الى الريح ياريح خذيهم عدة مرار فعادت الريح على مراكب الفرنج فكسرتها وكان الفتح وغرق أكثر الفرنج وصرخ من المسلمين صارخ الحمد لله الذى أرانا في امة محمد صلى الله عليه و وسلم رجلا سخر له الريح وكان ذلك في يوم الاربعاء ثالث المحرم واسر الفرنسيس ملك الفرنج وحبس مقيدا بدار ابن لقمان ووكل بحفظه طواشى يقال له صبيح ثم نفرت قلوب العسكر من المعظم لكونه قرب مماليكه وأبعد مماليك ابيه فقتلوه في يوم الاثنين سابع عشر المحرم وداسوه بأرجلهم وكانت مملكته شهرين قال ابن كثير وقد رؤى أبوه الصالح في النوم بعد قتل ابنه وهو يقول

قتلوه شر قتله * صار للعالم مثله
لم يرا عوافيه الا * لا ولا من كان قبله
ستراهم عن قريب * لاقل الناس أكله

فكان كذلك وقع بعد ذلك قتال بين المصريين والشاميين وعدم من المصريين

طائفة كثيرة واتفقوا بعد قتل المعظم على تولية شجرة الدر ام خليل جارية الملك الصالح فملكوها وخطب لها على المنابر فكان الخطباء يقولون بعد الدعاء للخليفة واحفظ اللهم الحجة الصالحة ملكة المسلمين عصمة الدنيا والدين أم خليل المستعصمة صاحبة السلطان الملك الصالح ونقش اسمها على الدينار والدرهم وكانت تعلم على المناشير وتكتب والدة خليل ولم يل مصر امرأة في الاسلام قبلها ولما وليت تكلم الشيخ عز الدين بن عبد السلام في بعض تصانيفه على ما اذا ابتلى المسلمين بولاية امرأة وارسل الخليفة المستعصم يعاتب اهل مصر في ذلك ويقول ان كان ما بقي عندكم رجل تولونه فقولوا لنا نرسل اليكم رجلا ثم اتفقت شجرة الدر والامراء على اطلاق الفرنسيس بشرط ان يردوا دمياط الى المسلمين ويعطوا ثمانمائة ألف دينار عوضا عما كان بدمياط من الحواصل ويطلقوا أسرى المسلمين فأطلق على هذا الشرط فلما سار الى بلاده أخذ في الاستعداد والعود الى دمياط فندمت الامراء على اطلاقه وقال الصاحب جمال الدين بن مطروح وكتب بها اليه

قل للفرنسيس اذا جئته * مقال صدق من قؤول نصيح
آجرك الله على ماجرى * من قتل عباد بشرع المسيح
أتيت مصرا تبتغي ملكها * تحسب ان الزمر بالطبل ريح
فساقك الجبن الى أدهم * ضاق بها عن ناظريك الفسيح
وكل أصحابك أودعتهم * بحسن تدبيرك بطن الضريح
تسعين ألفاً لاتري منهم * الا قتيلا أو أسيرا جريح
وفقك الله لامثالها * لعل عيسى منكم يستريح
ان كان بابكم بذا راضياً * فرب غش قد أتي من نصيح
وقل لهم ان أضمروا عودة * لاخذ ثار أو لعقد صحيح
دار ابن لقمان على حالها * والقيد باق والطواشي صبيح

فلم ينشب الفرنسيس ان أهلكه الله وكفى المسلمين شره وأقامت شجرة الدر في المملكة ثلاثة أشهر ثم عزلت نفسها واتفقوا على ان يملكوا الملك الاشرف موسى بن صلاح الدين يوسف بن المسعود بن الملك الكامل فملكوه وله ثمان سنين وذلك في يوم الاربعاء ثالث جمادي الاولى سنة ثمان وأربعين وجعل عز الدين ايبك التركماني مملوك الصالح أتابكه وخطب لهما وضربت السكة باسمهما وعظم شأن الاتراك من يومئذ ومدوا أيديهم الى العامة وأحدث وزيره الاسعد الفائزي ظلامات ومكوسا كثيرة ثم ان عز الدين خلع الملك الاشرف واستقل بالسلطنة في سنة اثنتين وخمسين ولقب الملك المعز وهو أول من

ملك مصر من الاتراك وممن جري عليه الرق فلم يرض الناس بذلك حتى أرضى الجند بالعطايا الجزيلة وأما أهل مصر فلم يرضوا بذلك ولم يزالوا يسمعونه مايكره اذا ركب ويقولون لانريد الا سلطانا رئيساً ولد على الفطرة وكان المعز تزوج شجرة الدر ثم انه خطب ابنة صاحب الموصل فغارت شجرة الدر فقتلته في أواخر ربيع الاول سنة خمس وخمسين وأقيم بعده ولده على ولقب المنصور وعمره نحو خمس عشرة سنة فأقام سنتين وثمانية أشهر وفي أيامه أخذ التتار بغداد وقتل الخليفة ثم ان الامير سيف الدين قطز مملوك المعز قبض على المنصور واعتقله في أواخر ذي القعدة سنة سبع وخمسين وتملك مكانه ولقب بالملك المظفر بعد ان جمع الامراء والعلماء والاعيان وافتوا بان المنصور صبي لايصلح للملك لاسيما في هذا الزمان مصعب الذي يحتاج الى ملك شهم مطاع لاجل اقامة الجهاد والتتار قد وصلوا البلاد الشامية وجاء أهلها الى مصر يطلبون النجدة وأراد قطران يأخذ من الناس شيئاً ليستعين به على قتالهم فجمع العلماء فحضر الشيخ عز الدين بن عبد السلام فقال لايجوز ان يؤخذ من الرعية شيء حتى لايبقى في بيت المال شيء وتبيعون مالكم من الحوائص في الآلات ويقتصر كل منكم على فرسه وسلاحه وينساووا في ذلك هم والعامة وأما أخذ أموال العامة مع بقاء مافي أيدي الجند من الاموال والآلات الفاخرة فلا ولم يكن قطز هذا مرقوق الاصل ولا من أولاد الكفر قال الجزري في تاريخه كان قطز في رق ابن الزعيم فضربه أستاذه فبكي فقيل له تبكي من لطمة فقال انما أبكي من لعنة أبي وجدي وهما خير منه فقيل من أبوك واحد كافر قال ماأنا الا مسلم بن مسلم أنا محمود بن ممدود بن أخت خوارزم شاه من أولاد الملوك وخرج المظفر بالجيوش في شعبان سنة ثمان وخمسين متوجهاً الى الشام لقتال التتار وشاوره ركن الدين بيبرس البندقداري فالتقوهم والتتار عند عين جالوت ووقع المصاف يوم الجمعة خامس عشرى رمضان فهزم التتار شر هزيمة وانتصر المسلمون ولله الحمد وجاء كتاب المظفر الى دمشق بالنصر فطار الناس فرحا ثم دخل المظفر الى دمشق مؤيداً منصورا فأحبه الخلق غاية المحبة وقال بعض الشعراء في ذلك

هلك الكفر في الشام جميعاً * واستمد الاسلام بعد دحوضه
بالمليك المظفر الملك الاروع سيف الدين عند دحوضه

وقال الامام أبو شامة رحمه الله في ذلك شعرا

غلب التتار الى البلاد فجاءهم * من مصر تركي يجود بنفسه
بالشام أهلكهم وبدد شملهم * ولكل شيء آفة من جنسه

وساق بيبرس وراء التتار الى حلب وطردهم عن البلاد ووعده السلطان بحلب ثم رجع

عن ذلك فتأثر بيبرس ووقعت الوحشة بينهما فاضمر كل لصاحبه الشر فاتفق بيبرس مع جماعة من الامراء على قتل المظفر فقتلوه في الطريق في سادس عشر ذى القعدة سنة ثمان وخمسين بين الفراتي والصالحية وتسلطن بيبرس ولقب بالملك القاهر ودخل مصر وأزال عن أهلها ماكان المظفر أحدثه عليهم من المظالم وأشار عليه الوزير زين الدين ان يغير هذا اللقب وقال ما تلقب به أحد فأفلح فأبطل السلطان هذا اللقب وتلقب بالملك الظاهر وقد نظم الاديب جمال الدين المصري المعروف بالجزار الشاعر المشهور أرجوزة سماها العقود الدريه في الامراء المصرية ضمنها أمراء مصر من عمرو بن العاصى الى الملك الظاهر هذا فقال

الحمد لله العلى ذكره * ومن يفوق كل أمر أمره
أحمده وهو ولى الحمد * على توالى بره والرفد
ثم الصلاة بعد هذا كله * على أجل خلقه ورسله
محمد خير بني عدنان * ومن أتاه الوحي بالتبيان
دامت عليه صلوات ربه * ثم على عترته وصحبه
ياسائلى عن أمراء مصر * منذ حياها عمر لعمرو
خذ من جوابي مايزيل اللبسا * واحفظه حفظ ذاكر لاينسى
أول من كان اليه الامر * مفوضاً بعد الفتوح عمر
وابن أبي سرح تولى أمرها * وقيس ساس نفعها وضرها
ثم تولى النخع الأشتر * وابن أبي بكر كما قد ذكروا
ثم أعيدت بعده لعمرو * ثانية وعتبة في الاثر
وعقبة ثم الامير مسلمه * وابن يزيد وهو نجل علقمه
ثم تولى الامر عبد الرحمن * وبعده تأمر ابن مروان
اذ كان ولاهاله أبوه * وهو بمصر حوله ذووه
ثم لعبد الله تعزي الامره * وبعده نجل شريك قره
ثم تولى بعده عبد الملك * نقلا صحيحاً غير نقل مؤتفك
وابن شرحبيل الامير أيوب * وبشر فالامر اليه منسوب
ثم أخوا بشر الامير حنظله * ثم غدا محمد والامر له
والحر نجل يوسف وحفص * من بعده جاء بذاك النص
ثم فتى رفاعة عبد الملك * ثم الوليد صنوه كل ملك
ثم ابن خالد يزيد تاليه * ثم ابن صفوان تولى ثانيه

وحفص قد عاد اليها والياً * وقام حسان الامـــير تاليا
ثم تولى حفص وهى الثالثة * وابن سهيل جاء فيها وارثه
وابن عبيد واسمه المغـــيره * دبراً قليا غدا أميـــره
ثم ابن مروا ولى لحـــم * وكان للدولة أى ختم
وصالح أول مـــن تولى * ثم ابن عون وهو نعم المولى
ثم أعيـــد صالح لمصر * ثانيـــة بنيـــه والامر
ثم أبو عـون لها أعيـد * ثانيـــة وأدرك المقصودا
وجاء موسي بعـده ابن كعب * محكما في سلمها والحرب
ثم أتي محمـد ابن الاشعث * فاسمع لما حدثته وحدث
ثم حميـد وهو ابن قحطبة * ثم يزيد نال أيضاً منصبه
وقام عبـد الله فيها يحمـد * ثم أخوه بعـــده محمد
ثم غدا الامير موسى بن على * وبعده عيسى بن لقمان ولي
وواضح وكان مولى المنصور * وبعد ذاك ابن يزيد منصور
وجاء يحيي بعده ابن ممدود * وسالم في الامراء مغـدود
وبعده ابراهيم نجل صالح * ولم يزل ينظـر في المصالح
وجاء موسي وهو نجل مصعب * وبعـــده اسامة بها حبي
والفضل نجل صالح أيضاً ولي * وبعـده نجـل سليمان على
ثم حوى موسى بن عيسى حرمه * ثم تولاها بن يحيي مسلمه
وابن زهـير واسمه محمـد * وجاء داود وهـــذا مسند
وجاء موسي نجل عيسى ثانيه * ونال في أمرتها أمانيـــه
كذاك ابراهيم أيضاً ولى * فيها كما قد قيل بعد العزل
وحاز عبـد الله منها لافاق * وابن سليمان المسمى اسحق
ثم أتى هرثمـة وهـو الملك * وبعـده ابن صالح عبد الملك
ثم عبيـد الله نجـل المهدى * وكان رب حلها والعـقد
وبعده موسى بن عيسي ثالثه * حتى رأى من دهر حوادثه
ثم عبـد الله نجل المهدى * ثانيـة في حلها والعـقد
وجاء اسمعيل نجل صالح * يأمر في الغادى بها والرائح
وبعـده سمية بن عيسى * تحدوا اليه القاصدون العيسا
ثم تولي الليث نجل الفضل * وأحمد من بعده ذو الفضل

وجاء عبد الله يقفو جنده * ثم الحسين ابن جميل بعده
ثم تولى ملك ثم الحسن * كلاهما أوضح في العدد السنن
ثم غدا الامير فيها حاتم * وجابر بالامر فيها قائم
ثم لعباد غدت تنتسب * وبعده أميرها المطلب
ثم تولي امرها العباس * وفوض الامر اليه الناس
ثم أعيد الامر للمطلب * ثانية ثم السري فاعجب
ثم سليمان له الامر حصل * ثم السري بعد ما كان انفصل
ثم تولى ابن السرى الامرا * وطال ماساء بها وسرا
ثم عبيد الله وهو ابن السري * وبعده ابن طاهر فحرر
وبعده عيسى فتي يزيد * ثم عمير من بني الوليد
قد كان ولاها له لما قدم * على البلاد ابن الرشيد المعتصم
وعاد عيسي وهو فيها والى * وعبدويه ذو المحل العالى
وقد تولى بعده ابن منصور * عيسى وهذا الامر أمر مشهور
وعند ذاك قدم المأمون * لمصر والدنيا له تدين
في سنة تعد سبع عشره * ومائتين بعد عام الهجرة
ثم تولى نصر وهو كيدر * ثم تولاها ابنه المظفر
ثم تولى ابن أبي العباس * موسي بلاشك والالتباس
ومالك بن كيدر ثم على * وبعده عيسى بن منصور ولى
وبعده هرثمة بن النضر * وحاكم وكان رب الامر
ثم على نجل يحيي ثانيه * وجاء اسحق بن يحي تاليه
وبعده الامير عبد الواحد * وهو ابن يحي فارض بالفوائد
ويعده عنبسة بن اسحق * ثم يزيد حاز منها الآفاق
ثم تولى امرها مزاحم * ثم ابنه أحمد فيها القائم
ونال أرجور بها ما يقصد * ثم ابن طولون الامير أحمد
ثم أبو الجيش ابنه من بعده * ثم أتي جيش ولي عهده
ثم تولي بعده هرون * وبعده من جده طولون
وبعده عيسى فتي محمد * ثم تكين صار رب السودد
ثم تولاها ذكاء الاعور * ثم تكين وهو وقت آخر
ثم هلال وهو ابن بدر * أصبح فيها وهو رب الامر

ثم تولى أحمد بن كيفلغ * ثم تكين اذله الامر بلغ
ثم اتي محمد بن طغج * وأحمد ثانيه في النهج
ثم تولاها ابن طغج ثانيه * ثم أبو القاسم جاء تاليه
ثم أتي الاخشيد من بعد على * وبعد ذاك الامر كافور ولى
وبعد كافور تولى احمد * ثم أتى جوهر وهو أيد
ثم تولاها المعز اذ أتي * ثم العزيز نجله خير فتى
ثم ابنه الحاكم ثم الظاهر * وكلهم بالمأثرات باهر
ثم تولى امرها المستنصر * وهو لعمرى يقظ مستبصر
ثم تولى امرها المستعلى * وكان رب عقدها والحل
وبعد ذاك قد حواها الآمر * ولم تكد تعصى له أوامر
ثم تولاها الامام الحافظ * وهو على تدبيرها محافظ
وجاء اسماعيل وهو الظافر * ثم ابنه الفائز وهو الآخر
أعني بمن قلت الامام العاضدا * محرراً فاغتنم الفوائدا
وشيركوه مدة يسيرة * تناهز الشهرين منه السيرة
ثم تولاها الصلاح يوسف * ثم العزيز وابنه مستضعف
ثم أتى الافضل نور الدين * وبعده العادل ذو التمكين
ثم ابنه الكامل ثم العادل * كلاهما بالحكم فيها عادل
ثم اتي الصالح وهو الاعظم * ثم تولاها ابنه المعظم
وبعده ام خليل ملكت * وطابت الافعال فيها وزكت
والملك الاشرف كان طفلا * فلم يدبر عقدها والحلا
ثم استبد الملك المعز * ثم ابنه ووافقته الغز
ثم حواها الملك المظفر * وحظه من نصره موفر
ثم حوى الامر المليك الظاهر * لازال للاعداء وهو قاهر

## ذكر من قام بمصر من الخلفاء العباسية

كان لانقراض الخلافة ببغداد وما جري على المسلمين بتلك البلاد مقدمات نبه عليها العلماء منها انه في يوم الثلاثاء ثامن عشر ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وستمائة هبت ريح عاصفة شديدة بمكة فألقت ستارة الكعبة المشرفة فما سكنت الريح الا والكعبة عريانة قد زال عنها شعار السواد ومكثت احدى وعشرين يوما ليس عليها كسوة وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير وكان هذا فالا على زوال دولة بني العباس، ومنذرا بما سيقع بعد

هذا من كائنة التتار لعنهم الله ومنها قال ابن كثير في سنة سبع وأربعين طغي الماء ببغداد حتى أتلف شيئاً كثيراً من المحال والدور الشهيرة وتعذرت اقامة الجمعة بسبب ذلك وفي هـذه السنة هجمت الفرنج على دمياط فاستحوذوا عليها وقتلوا خلقاً من المسلمين وفي سنة خمسين وقع حريق بحلب احترق بسببه ستمائة دار فيقال ان الفرنج لعنهـم الله ألقوه فيها قصداً وفي سـنة اثنتـين وخمسين قال سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان وردت الاخبار من مكة شرفها الله بان نار أظهرت فى أرض عدن في بعض جبالها بحيث انه يطـير شررها الي البحر في الليـل ويصعد منها دخان عظيم فى أثناء النهار فتاب الناس واقلعوا عما كانوا عليه من المظالم والفساد وشرعوا في أفعال الخير والصدقات وفى سنة أربع وخمسين زادت دجـلة زيادة مهولة فغرق خلق كثير من أهل بغداد ومات خلق تحت الهـدم وركب الناس في المراكب واستغاثوا بالله وعاينوا التلف ودخل المـاء من أسوار البلاد وانهدمت دار الوزير وثلثمائة وثمـانون داراً وانهدم مخزن الخليفة وهلك شئ كثير من خزانة السلاح قال ابن السبكي في الطبقات الكبرى وكان ذلك من جـملة الامور التي هي مقدمة لواقعة التتار وفي هذه السنة في يوم الاثنين مستهل جمادي الآخرة وقع بالمدينة الشريفة صوت ينبه صوت الرعد البعيد تارة وتارة وأقام على هذه الحـالة يومين فلما كان ليلة الاربعاء تعقب الصوت زلزلة عظيمة رجفت منها الارض والحيطان واضطرب المنبر الشريف واستمرت تزلزل ساعة بعد ساعة الي يوم الجمعة خامس الشهر ظهر من الحرة نار عظيمة وسالت أودية منها مسيل المـاء وسالت الجبال ناراً وسارت نحو طريق الحاج العراقي فوقفت وأخذت تأكل الارض أكلا ولها كل يوم صوت عظيم من آخر الليل الى الضحوة واستغاث الناس بنبيهم صلى الله عليه وسلم واقلعوا عن المعاصى واستمرت النار فوق الشهر وخسف القمر ليلة الاثنين منتصف الشهر وكسفت الشمس في غدوه وبقيت أياما متغيرة اللون ضعيفة النور واشتد فزع الناس وصعد علماء البلد الى الامير يعظونه فطرح المكس ورد على الناس ما كان تحت يده من أموالهـم وقال سيف الدين على بن عمر بن قذل المشد في هذه النار

الا سلما عنى على خير مرسـل * ومن فضله كالسيل يخط من عل
وأشرف من شدت اليه رحالنا * لتورد هيم الشوق أعذب منهل
تحملن منا كل أشـعث أغـبر * فياعجبا من رحلها المتحمـل
الى سـيد جاءت بعالي محـله * ومعجزة آى الكتاب المـنزل
نبي هـــدانا للهدى بأدلة * فهمنا معـانيها بحسن التأول
محمـد المبعوث والـنى مظلم * فأصبح وجه الرشد مثل السجنجل

وقولا له اني اليـــك لشيق * عسى الله يدني من محلك محمل
فتخمد أشواقي وتسكن لوعتي * وأصبح عن كل الغرام بمعزل
ولما نفي عني الكرى خبر التي * أضاءت باذن ثم رضوى ويذبل
ولاح سناها من جبال قريظة * لسكان تيما فاللوى فالعقنقل
وأخبرت عنها في زمانك منذراً * بيوم عبوس قمطرير مطول
فقلت كلاماً لايدين لقائل * سواك ولا يستطيعه رب مقول
ستظهر نار بالحجاز مضيئة * كأعناق عيس نحو بصرى لخيل
فكانت كما قد قلت حقاً بلامري * صدقت وكم كذبت كل معطل
لها شرر كالبرق لكن شهيقها * فكالرعد عند السامع المتأمل
واصبح وجه الشمس كالليل كاسفاً * وبدر الدجي في ظلمة ليس تجلى
وغابت نجوم الجو قبل غروبها * وكدرها دور الدخان المسلسل
وهبت سموم كالحميم فاذبلت * من الباسقات الشم كل مذلل
وأبدت من الآيات كل عجيبة * وزلزلت الارضون أي تزلزل
وأيقن كل الناس ان عذابهم * تعجل في الدنيا بغير تمهل
وأعولت الاطفال مع أمهاتها * فيانفس جودي يامدامع اهملي
جزعت قيام الناس حولي واقبلوا * يقولون لاتهلك أسي وتحمل
لعل اله الخلق يرحم ضعفهم * وما أظهروه من عظيم التذلل
وتاب الوري واستغفروا لذنوبهم * ولاذوا بمنوال الكريم المبجل
شفعت لهم عند الاله فأصبحوا * من النار في أمن وبر معجل
أغاثهم الرحمن منك بنفحة * ألذ وأشهي من جنى ومعسل
طفا النار نور من ضريحك ساطع * فعادت سلاما لاتضر بمصطلى
وعاش رجاء الناس بعد مماتهم * فيالك من يوم أغر محجل
فياراحلا عن طيبة ان طيبة * هي الغاية القصوى لكل مؤمل
قفا نبك ذكراها فان الذى بها * أجل حبيب وهي أشرف منزل
دخلت اليها محرماً وملبيا * واضربت عن سقط الدخول فحومل
مواقف أما تربها فهي عنبر * وأما كلاها فهو نبت القرنفل
يفوح شذاها ثم يعقب نشرها * لمارا وحتها من جنوب وشمأل
فياخير مبعوث وأكرم شافع * وأنجح مأمول وأفضل موئل
عليك سلام الله بعد صلاته * كما شفع المسك العبق بمندل

( وقال بعضهم في ذلك )

يا كاشف الضر صفحا عن جرائمنا * لقد أحاطت بنا يارب بأساء
نشكوا اليك خطوبا لا نطيق لها * حملا ونحن بها حقاً أحقاء
زلازلا تخشع الصم الصلاب لها * وكيف يقوى على الزلزال شماء
أقام سبعا ترج الارض فانصدعت * عن منظر منه عين الشمس عشواء
بحر من النار تجرى فوقه سفن * من الهضاب لها في الارض ارساء
كانما فوقه الاجبال طافئة * موج عليه لفرط الهيج عشاء
ترى لها شررا كالقصر طائشة * كأنها ديمة تنصب هطلاء
تنشق منها قلوب الصخر ان ظفرت * رعباً وترعد مثل السعف أصواء
منها تكاثف في الجو الدخان الى * ان عادت الشمس منه وهى دهماء
قد أثرت سفعة في البدر لفحتها * قليلة التم بعد النور ليلاء

وقال آخر فى هذه النار وغرق بغداد

سبحان من أصبحت مشيئته * جارية في الورى بمقدار
أغرق بغداد في المياه كما * أحرق أرض الحجاز بالنار

قال أبو شامة والصواب ان يقال

فى سنة أغرق العراق وقد * أحرق أرض الحجاز بالنار

وذكر ابن الساعى ان النجاب لما جاء الى بغداد بخبر هذه النار قال له الوزير الى أى الجهات ترمى شررها قال الى جهة الشرق قال أبو شامة وفى ليلة الجمعة مستهل رمضان من هذه السنة احترق المسجد الشريف النبوى ابتداء حريقه من زوايته الغربية من الشمال وكان دخل أحد القومة الى خزانة ثم ومعه نار فعلقت فى الآلات واتصلت بالسقف سرعة ثم دبت فى السقوف فاعجلت النار عن قطعها فما كان الاساعة حتى احترقت سقوف المسجد أجمع ووقعت بعض أساطينه وذاب رصاصها واحترق سقف الحجرة النبوية الشريفة واحترق المنبر الذى كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب عليه قال أبو شامة وعد ماوقع من تلك النار الخارجة وحريق المسجد من الآيات وكأنها كانت منذرة بما يعقبها في السنة الآتية من الكائنات وقال أبو شامة فى ذلك

نار أرض الحجاز مع حرق المسجد مع تفريق دار السلام
بعد ست من المائين وخمسين لدى أربع جرى في العام
ثم أخذ التتار بغداد في أول * عام من بعد ذاك وعام
لم يعن أهلها وللكفر اعوا * ن عليهم باضيعة الاسلام

وانقضت دولة الخلافة منها * صار مستعصم بغير اعتصام
فخانا على الحجاز ومصر * وسلاماً على بلاد الشام

وفي تاريخ ابن كثير عن الشيخ عفيف الدين يوسف بن البقال أحد الزهاد قال كنت بمصر فبلغني ماوقع ببغداد من القتل الذريع فأنكرته بقلبي وقلت يارب كيف هذا وفيهم الاطفال ومن لاذنب له فرأيت في المنام رجلا وفي يده كتاب فأخذته فاذا فيه

دع الاعتراض فما الامر لك * ولا الحكم في حركات الفلك
ولا تسأل الله عن فعله * فمن خاض لجة بحر هلك

قلت أجرى الله تعالى عادته ان العامة اذ زاد فسادها وانتهكوا حرمات الله ولم تقم عليهم الحدود أرسل الله عليهم آية في أثر آية فان لم ينجع ذلك فيهم أتاهم بعذاب من عنده وسلط عليهم من لا يستطيعون له دفاعاً وقد وقع في هذه السنين ما يشبه الآيات الواقعة في مقدمات واقعة القتال وأنا خائف من عقبي ذلك فاللهم سلم سلم فأول ما وقع في سنة ثلاث وثمانين حصول قحط عظيم بأرض الحجاز وفي سنة خمس وثمانين لم يزد النيل القدر الذي يحصل به الري ولا ثبت المدة التي يحتاج الى ثبوته فيها فاعقب ذلك غلاء الاسعار في كل شئ وفي سنة ست وثمانين في سابع عشر المحرم زلزلت مصر زلزلة منكرة لها دوي شديد وقع بسببها قطعة من المدرسة الصالحية على قاضي الحنفية شمس الدين بن عيد وكان من خيار عباد الله فقتلته وفي ليلة ثالث عشر رمضان من هذه السنة نزلت صاعقة من السماء على المسجد الشريف النبوي فأحرقته بأسره وما فيه من خزائن وكتب وأحرقت الحجرة الشريفة والمنبر والسقوف ولم يبق سوي الجدران واحترقت فيه جماعة من أهل الفضل والخير وكان أمراً مهولا وفي هذه السنة وقع بالغربية برد كبار بحيث قتل كثير من الطير وقيل ان وزن البردة سبعون درهماً وفي سنة سبع وثمانين ورد الخبر بأن صاعقة نزلت بحلب وبان الفناء وقع ببغداد وبلاد الشرق عظيما جداً حتي قيل انه عد ببغداد من تأخر من الرجال فكانوا مائتين واثنين وأربعين نفساً وفي ذى الحجة وردت الاخبار بأنه حصل بمكة في يوم الاربعاء رابع عشر ذى القعدة سيل عظيم بحيث دخل البيت الشريف فكان فيه اقامة وأخرب بيوتاً كثيرة وهدم جملة من أساطين الحرم ووجد في المسجد من الغرقاء سبعون انساناً وخارج المسجد خمسمائة نفس واستمر الماء في المسجد الي يوم السبت ولم تصل الجمعة وكتب القاضي برهان الدين بن ظهيرة الى مصر كتاباً بذلك يقول فيه أن هذا السيل لم يعهد مثله لافي جاهلية ولا فى اسلام وانه ذرع موضع وصوله في المسجد فكان سبع أذرع وثلث ذراع وقد قلت في ذلك هذه الابيات

في عام ست أتي المدينة في الـ * ـمسجد نار أفنته بالحرق
وعام سبع أتي لمكة في الـ * ـمسجد سيل قد عم بالغرق
وقبلها القحط بالحجاز فشا * ومصر قد زلزلت من الفرق
وانهبط النيـل غير منتفع * به وضاقت معايش الفرق
فهـذه جملة أتت نذراً * مستوجبات للخوف والقلق
فليحذر الناس أن يحل بهم * ماحل بالاولين من حنق

ولما أخذ التتار بغداد وقتل الخليفة وجرى ماجرى أقامت الدنيا بلا خليفـة ثلاث سنين ونصف سنة وذلك من يوم الاربعاء رابع عشر صفر سنة ست وخمسين وهو يوم قتل الخليفة المستعصم رحمه الله الى أثناء سنة تسع وخمسمائة فلما كان في رجب من هذه السنة قدم أبو القاسم أحمد بن أمير المؤمنين الظاهر بأمر الله وهو عم الخليفـة المستعصم وأخو المستنصر وقد كان معتقلا ببغداد ثم أطلق فكان مع جماعة الاعراب بالعراق ثم قصد الملك الظاهر حين بلغه ملكه فقدم عليه الديار المصرية صحبة جماعة من أمراء الاعراب عشرة منهم الامير ناصر الدين مهنا وكان دخوله الي القاهرة في ثاني رجب فخرج السلطان للقائه ومعـه القاضى تاج الدين والوزير والعلماء والاعيان والشهود والمـؤذنون فتلقوه وكان يوما مشهوداً وخرج اليهود بتوراتهم والنصارى بانجيلهم ودخـل من باب النصر بأبهة عظيمة فلما كان يوم الاثنين ثالث عشر رجب جلس السلطان والخليفة فى الايوان بقلعة الجبل والقاضى والوزير والامراء على طبقاتهم وأثبت نسب الخليفة على القـاضى تاج الدين فلما ثبت قام قاضي القضاة قائمـاً وأشهد على نفسه بثبوت النسبة الشريفة ثم كان أول من بايعه شيخ الاسلام عز الدين بن عبدالسلام ثم السـلطان الملك الظاهر ثم القاضى تاج الدين ثم الامراء والدولة وركب في دست الخلافة بمصر والامراء بين يديه والناس حوله وشق القاهرة وكان يوما مشهوداً ولقب المستنصر بالله بلقب أخيه وخطب على المنابر وضرب اسمه على السكة وكتبت بيعته الي الآفاق وأنزل بقلعـة الجبـل هو وحشمه وخدمه فلما كان يوم الجمعة سابع عشر رجب ركب في أبهـة السواد وجاء الي الجامع بالقلعة فصعد المنبر وخطب خطبة ذكر فيها شرف بنى العباس ودعا للسلطان ثم نزل فصلى بالناس وكان وقتاً حسناً ويوماً مشهودا ثم في يوم الاثنين رابع شعبان ركب الخليفة والسلطان والقاضى والوزراء والامراء وأهل الحل والعقد الى خيمة عظيمة قد ضربت ظاهر القاهرة فألبس الخليفة السلطان بيده خلعة سوداء وعمامة سوداء وطوقا في عنقه من ذهب وقيداً من ذهب في رجليه وفوض اليه الامور فى البلاد الاسـلامية وما سيفتحه من بلاد الكفر ولقبه بقسيم أمير المؤمنين وصـعد فخر الدين بن لقمان

رئيس الكتاب منبرا فقرأ عليه تقليد السلطان وهو من انشائه وصورته (الحمد لله) الذي أخفى على الاسلام ملابس الشرف وأظهر بهجة دره وكانت خافية بما استحكم عليها من الصدف وشيد ما وهى من علائه حتي أنسى به ذكر من سلف وقيض لنصره ملوكا اتفق عليهم من اختلف (أحمده) على نعمه التي وقعت الاعين منها في الروض الانف وألطافه التي وقف الشاكر عليها فليس له عنها منصرف وأشهد أن لا اله الاالله وحده لاشريك له شهادة توجب من المخاوف أمنا وتسهل من الامور ما كان حزنا وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله الذى جبر من الدين وهنا ورسوله الذي اظهر من المكارم فنوناً لافنا صلى الله عليه وعلي آله الذين اضحت مناقبهم باقية لاتفني واصحابه الذين احسنوا في الدين فاستحقوا الزيادة بالحسني وبعد فان اولى الاولياء بتقديم ذكره وأحقهم ان يصبح القلم راكعاً وساجداً لتسطير مناقبه وبره من سعي فأضحى سعيه للحمد متقدما ودعا الى طاعته فأجاب من كان منجداً ومتهماً وما بدت يد في المكرمات الا كان لها زنداً ومعصماً ولااستباح بسيفه حمى وغي الا اضرم منه ناراً واجرى منه دما ولما كانت هذه المناقب الشريفة مختصة بالمقام العالى المولوى السلطاني الملكى الظاهري الركني شرفه الله وأعلاه ذكره الديوان العزيز النبوى الامامى المستنصري أعز الله سلطانه تنويهاً بشريف قدره واعترافا بصنيعه الذى تنفذ العبارة المسهبة ولا تقوم بشكره وكيف لا وقد أقام الدولة العباسية بعد ان أقعدتها زمانة الزمان وأذهبت ما كان لها من محاسن واحسان وعتب دهرها المسيئ لها فأعتب وأرضى عنها زمنها وقد كان صال عليها صولة مغضب فأعاده لها سلماً بعد أن كان عليها حرباً وصرف اليها اهتمامه فرجع كل متضايق من أمورها واسعاً رحبا ومنح أمير المؤمنين عند القدوم عليه حنواً وعطفا وأظهر من الولاء رغبة في ثواب الله مالايخفى وأبدي من الاهتمام بأمر الشريعة والبيعة أمراً لو رامه غيره لامتنع عليه ولو تمسك بحبله متمسك لانقطع به قبل وصوله اليه ولكن الله ادخر هذه الحسنة ليثقل بها ميزان ثوابه ويخفف بها يوم القيامة حسابه والسعيد من خفف من حسابه فهذه منقبة أبى الله الا أن يخلدها في صحيفة صنعه ومكرمة تضمنت لهذا البيت الشريف لجمعه بعد ان حصل الاياس من جمعه وأمير المؤمنين يشكر لك هذه الصنائع ويعترف انه لولا اهتمامك لاتسع الخرق على الراقع وقد قلدك الديار المصرية والبلاد الشامية والديار البكرية والحجازية واليمنية والفراتية وما يجدد من الفتوحات غورا ونجدا وفوض أمرها جندها ورعاياها اليك حتى أصبحت بالمكارم فردا ولا جعل منها بلداً من البلاد ولا حصناً من الحصون يستثني ولا جهة من الجهات تعدو في الاعلى ولا فى الادني فلا حظ أمور الامة فقد أصبحت لها حاملا وخلص نفسك من التبعات اليوم فغى غدتكون

مسئولا لاسائلا ودع الاغترار بأمر الدنيا فما نال أحد منها طائلا وما رآها أحد بعين الحق الا رآها حائلا زائلا فالسعيد من قطع منها آماله الموصولة وقدم لنفسه زاد التقوى فتقدمه غير التقوى مردودة لا مقبولة وأبسط يدك بالاحسان والعدل فقد أمر الله بالعدل وحث على الاحسان وكرر ذكره في مواضع القرآن وكفر به عن المرء ذنوبا كتبت عليه وآثاما وجعل يوما واحداً منها كعبادة العابد ستين عاما وما سلك أحد سبيل العدل الا واجتنيت ثماره من أفنان ورجع الامر به بعد بعد تداعى أركانه وهو مشيد الاركان وتحصن به من حوادث زمانه والسعيد من تحصن من حوادث الزمان وكانت أيامه في الايام أبهى من الاعياد وأحسن في العيون من الغرر في أوجه الجياد وأحلى من العقود اذا حلى بها عاطل الاجياد وهذه الاقاليم المنوطة بك تحتاج الى نواب وحكام وأصحاب رأي من أصحاب السيوف والاقلام فاذا استعنت بأحدهم في أمورك فتقب عليه تنقيباً واجعل عليه في تصرفاته رقيباً واسأل عن أحواله ففي يوم القيامة تكون عنه مسؤولا وبما اجترم مطلوباً ولا تول منهم الا من تكون مساعيه حسنات لك لاذنوبا وأمرهم بالأناءة في الامور والرفق ومخالفة الهوى اذا ظهرت أدلة الحق وان يقابلو الضعفاء في حوائجهم بالثغر الباسم والوجه الطلق وان لايعاملوا أحدا على الاحسان والاساءة الا بما يستحق وان يكونوا لمن تحت أيديهم من الرعايا اخوانا وان يوسعوهم براً واحساناً وان لايستحلوا حرماتهم اذا استحل الزمان لهم حرماناً فالمسلم أخو المسلم ولو كان أميرا عليه وسلطانا والسعيد من نسج ولاته في الخير على منواله واستسنوا بسنته في تصرفاته وأحواله وتحملوا عنه ماتعجز قدرته عن حمل أثقاله ومما يؤمرون به ان يمحي ما احدث من سيئ السنن وجدد من المظالم التي هى من اعظم المحن وان يشتري بابطالها المحامد فان المحامد رخيصة بأغلى ثمن ومهما جبي بها من الاموال فانما هي باقية في الذم حاصلة واحياد الخزائن وان اضحت بها حالية فانما هى على الحقيقة منها عاطلة وهل اشقى ممن احتقب اثماً واكتسب بالمساعى الذميمة ذماً وجعل السواد الاعظم له يوم القيامة خصماً وتحمل ظلم الناس فيما صدر عنه من أعماله وقد خاب من حمل ظلماً وحقيق بالمقام الشريف المولوي السلطان الملكي الظاهرى الركني ان تكون ظلامات الانام مردودة بعدله وعزائمه تخفف ثقلا لاطاقة له بحمله فقد أضحى على الاحسان قادراً وصنعت له الايام مالم تصنعه لغيره ممن تقدم من الملوك وان جاء أخرا فاحمد الله على ان وصل الى جانبك امام هدى أوجب لك مزية التعظيم ونبه الخلائق على مافضل الله به من هذا الفضل العظيم وهذه أمور يجب ان تلاحظ وترعي وان يوالى عليها حمداً لله فان الحمد يجب عليها عقلا وشرعاً وقد تبين أنك صرت في الامور أصلا وصار غيرك فرعاً ومما يجب أيضاً تقديم ذكره أمر الجهاد الذى

أضحي على الامة فرضاً وهو العمل الذى يرجع به مسود الصحائف مبيضاً وقد وعدالله المجاهدين بالاجر العظيم وأعد لهم عنده المقام الكريم وخصهم بالجنة التي لالغو فيها ولا تأثيم وقد تقدمت لها في الجهاد يد بيضاء أسرعت في سواد الجهاد وعرفت منك عزيمة هي أمضى ممن تجنه ضمائر الاغماد واشهى الى القلوب من الاعياد وبك صان الله حمى الاسلام من ان يبتذل وبعزمك حفظ على المسلمين نظام هذه الدول وسيفك أثر فى قلوب الكافرين قروحاً لاتندمل وبك يرجى ان يرجع من الخلافة ما كان عليه في الايام الاول فأيقظ لنصرة الاسلام جفناً ما كان غافياً ولا هاجعاً وكن في مجاهدة أعداء الله اماماً متبوعاً لاتابعاً وأيد كلمة التوحيد فما تجد في تأييدها الا مطيعاً متابعاً ولا تخل الثغور من اهتمام بأمرها تبسم لك الثغور واحتفال ببدل مادجى من ظلماتها بالنور واجعل أمرها على الامور مقدماً وشيد منها كل ماغادره العدو منهدماً فهذه حصون بها يحصل الانتفاع وهى على العدو داعية افتراق الاجتماع وأولاها بالا اهتمام ما كان البحر له مجاورا والعدو له ملتفتاً ناظرا لاسيما ثغور الديار المصرية فان العدو وصل اليها وأتي وراح خاسرا واستأصلهم الله فيها حتي ما أقال منهم عاثرا وكذلك أمر الاسطول الذى يرجى خيله كالاهلة وركائب مسابقه بغير سابق مستقلة وهو أخو الجيش السليماني فان ذاك غدت الرياح له حاملة وهذا تكفلت بحمله المياه السائلة واذا لحظها جارية في البحر كانت كالاعلام واذا شبهها قال هذه ليال تقلع بالايام وقد ساق الله لك من السعادة كل مطلب وآتاك من اصالة الرأى الذى يريك الغيب وبسط بعد القبض منك الامل ونشط بالسعادة ما كان من كسل وهداك الى مناهج الحق وما زلت مهتديا اليها وألزمك المراشد ولا تحتاج الي تنبيه عليها والله يمدك بأسباب نصره ويوزعك شكر نعمه فان النعمة تستتم بشكره ثم ركب السلطان بهذه الابهة والقيد في رجليه والطوق في عنقه والوزير بين يديه على رأسه لتقليد الامراء والدولة مشاة سوى القاضى والوزير فشق القاهرة وقد زينت له وكان يوما عظيما ثم طلب الخليفة من السلطان أن يجهزه الى بغداد فرتب له جندا وأقام له كل مايحتاج اليه وعزم عليه الف الف دينار وسار السلطان صحبته الى دمشق فدخلاها يوم الاثنين سابع ذي القعدة وصليا فيها الجمعة ثم رجع السلطان الى مصر وسار الخليفة ومعه ملوك الشرق ففتح الحديث ثم هيت فجاءه عسكر من التتار فتصافوا فقتل من المسلمين جماعة وعدم الخليفة فلا يدرى أقتل أم هرب وذلك في ثالث المحرم سنة ستين فكانت خلافته دون ستة أشهر وكان ممن شهد الوقعة معه وهرب فيمن هرب أبو العباس أحمد بن الامير أبي على الحسن القبي بن الامير على بن الامير أبي بكر بن أمير المؤمنين المسترشد بالله فقصد الرحبة وجاء الى عيسى بن مهنا فكاتب فيه الملك الظاهر فطلبه فقدم القاهرة ومعه ولده

وجماعة فدخلها في سابع عشرى ربيع الآخر فتلقاه السلطان وأظهر السرور به وأنزله بقلعة الجبل وأغدق عليه واستمر بقية العام بلا مبايعة والسكة تضرب باسم المستنصر المقتول أول العام فلما كان يوم الخميس ثامن المحرم سنة احدى وستين جلس السلطان مجلساً عاماً وجاء أبو العباس المذكور راكباً الى الايوان الكبير وجلس مع السلطان وذلك بعد ثبوت نسبه فقرئ نسبه على الناس ثم أقبل عليه السلطان وبايعه بامرة المؤمنين ثم أقبل هو على السلطان وقلده الامور ثم بايعه الناس على طبقاتهم ولقب الحاكم بأمر الله وكان يوماً مشهودا فلما كان من الغد يوم الجمعة خطب الخليفة بالناس فقال في خطبته (الحمد لله) الذي أقام لآل العباس ركناً وظهيرا وجعل لهم من لدنه سلطانا نصيرا أحمده على السراء والضراء واستعينه على شكر ما أسبغ من النعماء وأستنصره على الاعداء وأشهد أن لااله الا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه نجوم الاهتداء وأئمة الاقتداء الاربعة الخلفاء وعلى العباس عمه وكاشف غمه وعلى السادة الخلفاء الراشدين والائمة المهديين وعلى بقية الصحابة والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين (أيها الناس) اعلموا ان الامامة فرض من فروض الاسلام والجهاد محتوم على جميع الانام ولا يقوم علم الجهاد الا باجتماع كلمة العباد ولا سبيت الحرم الا بانتهاك المحارم ولا سفكت الدماء الا بارتكاب المآثم فلو شاهدتم أهل الاسلام حين دخلوا دار السلام واستباحوا الدماء والاموال وقتلوا الرجال والاطفال وهتكوا حرم الخلافة والحريم وأذاقوا من استبقوا العذاب الاليم فارتفعت الاصوات بالبكاء والعويل وعلت الضجات من هول ذلك اليوم الطويل فكم من شيخ خضبت شيبته بدمائه وكم من طفل بكى فلم يرحم لبكائه فشمروا ساق الاجتهاد في أحياء فرض الجهاد (فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وانفقوا خيراً لانفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) فلم تبق معذرة في القعود عن أعداء الدين والمحامات عن المسلمين وهذا السلطان الملك الظاهر السيد الاجل العالم العادل المجاهد والمؤيد ركن الدنيا والدين قد قام بنصر الامامة عند قلة الانصار وشرد جيوش الكفر بعد ان جاسوا خلال الديار فأصبحت البيعة باهتمامه منتظمة العقود والدولة العباسية به متكاثرة الجنود فبادروا عباد الله الى شكر هذه النعمة وأخلصوا نياتكم تنصروا وقاتلوا أولياء الشيطان تظفروا ولا يرد عنكم ماجرى فالحرب سجال والعاقبة للمتقين والدهر يومان والآخر للمؤمنين جمع الله على التقوى أمركم وأعز بالايمان نصركم وأستغفر الله العظيم لى ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم ثم خطب الثانية ونزل فصلى بالناس وكتب بيعته الى الآفاق ليخطب له وتكتب السكة باسمه قال أبو شامة فخطب له بجامع دمشق وبسائر الجوامع يوم الجمعة سادس عشر المحرم قال ابن فضل الله

ونقش اسمه على السكة وضرب بها الدينار والدرهم قال ثم خاف الظاهر عاقبة أمره فاسكنه عنده في القلعة وعند حريمه وخدمه وغلمانه موسعاً عليه في النفقات والكساوى يتردد اليه العلماء والقراء على أكمل مايكون من أنواع الاكرام وملاحظة جانب الاجلال والمهابة ممنوعاً من اجتماع أحد من أهل الدولة ثم أسقط اسمه من سكة النقود وأبقاه على المنابر ثم لاحظه الملك الاشرف خليل بن قلاوون أتم من تلك الملاحظة ورعى لود نعمة الخلافة فيه حقها من جميل المحافظة انتهى قال غيره وقد خطب بالقلعة مرة ثانية يوم الجمعة رابع شوال سنة تسعين بسؤال الملك الاشرف له في ذلك وذكر في خطبة توليته السلطنة للاشراف ثم خطب مرة ثالثة بالمنصورية بحضرة السلطان والقضاة وحض على غزو التتار واستنقاذ بلاد العراق من أيديهم وذلك في ذي القعدة سنة تسعين ثم خطب مرة رابعة في التاسع والعشرين من ربيع الاول سنة احدى وتسعين وحث على الجهاد والنفير وصلى بالناس الجمعة وجهر بالبسملة قال الذهبي في العبر آخر خليفة خطب يوم الجمعة الراضى بالله ولم يخطب بعده خليفة الى الحاكم العباسى هذا فانه خطب في خلافته انتهى قال ابن فضل الله ثم لما ملك (المنصور لاجين) زاد في اكرامه وصرفه في الركوب والنزول فبرز الى قصر الكبش وسكن به ثم انه حج في سنة سبع وتسعين فاعطاه المنصور لاجين سبعمائة الف درهم ورجع من الحج فأقام بمنزله الى ان مات ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الاولى سنة احدى وسبعمائة ودفن بجوار السيدة نفيسة في قبة بنيت له وهو أول خليفة مات بها من بنى العباس وأرسل نائب السلطنة الامير سلار خلف كل من في البلد من الامراء والقضاة والعلماء والصوفية ومشايخ الزوايا والربط وغيرهم حتى حضروا الصلاة عليه وولى الخلافة بعده بعهد منه ولده أبو الربيع سليمان ولقب المستكفي بالله وخطب له على المنابر بالبلاد المصرية والشامية وسارت البشارة بذلك الى جميع الاقطار والممالك الاسلامية قال ابن كثير قدم البريد من القاهرة سادس جمادى الآخرة فأخبر بوفاة أمير المؤمنين الحاكم ومبايعة المستكفى وانه حضر جنازته الناس كلهم مشاة فخطب يوم الجمعة تاسع جمادى الآخرة للخليفة المستكفى بجامع دمشق وكتب له بتقليد بالخلافة وقرئ بحضرة السلطان والدولة يوم الاحد العشرين من ذى الحجة ولم يكن السلطان أمضى له عهد والده حتى سأل الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد وهو قاضى القضاة يومئذ هل يصلح للخلافة أم لا فقال الشيخ تقى الدين نعم يصلح وانما احتيج الى ذلك لانه كان صغير السن لم يبلغ عشرين سنة فان مولده في أربع وثمانين وستمائة وكان له ابن أخ اسن منه فكان ينازعه الامر فلما أشار الشيخ باستخلافه امضى عهد والده وهذه صورة العهد (الحمد لله) الذى رفع المستكفي به لما انتصب بشريف همته للمحل الاسمى ومنح الامة به ربيع خفض العيش وجزم

أمرهم على الصلاح والتوفيق جزماً وأدام الأئمة من قريش ونظم لآلئ حكم أحكامهم في جيد الزمان نظماً وجعل الناس تبعاً لهم في هذا الامر فغيرهم بالخلافة المعظمة لايدعي ولا يسمي فالحاكم الحسن المسترشد المستظهر بدخيرة الدين القائم بأمر الله القادر المقتدر المعتضد الموفق المتوكل المعتصم الرشيد المهدي الكامل من اقتفى لسنن سنتهم رسما استودع الخلافة في بني العباس الذى كان لنبيه الكريم عما وفرج عنه ليلة العقبة بمبايعة الانصار كربة وغماً فبشره بأن الخلافة في عقبه فعمه بالسرور عما فلما انتهى ذلك السر في العوالم الى الحاكم قيل وقد انكست هيبة الخلافة عن معرفة حقوقها العظيم من كل عظيم فما (ففهمناها سليمان وكلاً) آتيناه حكماً وعلماً أحمده حمد من لم يثن عن طاعته وطاعة رسوله وأولى الامر عزماً وموزها من يشاء من خلقه اختياراً ورغماً وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي دعا الى مودة أولى القربي ومن أفضل من قرابته زكاة وأقرب رحماً صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وخلفائه وعترته الذين هم أعدل البرية حكماً وبعد فان الملك السلام منذ سجد لآدم ملائكته الكرام في سالف الزمان قدما جعل طاعة خلفائه في بلاده على سائر عباده حتما كيف لا وبهم يعمر الوجود وتقام الحدود وتهدم أركان الجحود هدما فبحياتهم تأمن البلاد وربما صادف قرب وفاتهم ان لبس القمر ليلة التم حلة السواد واخفى جرما ولما كان سنة من تقدم من الأئمة الخلفاء اذا خاف أن يهجم عليه الحمام هجماً أو تهدي اليه الايام ألما وسقماً تفويض الامر بولاية العهد على الخلق لخير ذويه وبنيه نجدة وحزما أشهد على نفسه الشريفة مولانا الامام الحاكم الحاكم عليه تقواه المراقب لله في سره ونجواه الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين ابن عم سيد المرسلين وارث الخلفاء الراشدين أبو العباس أحمد بن الامير الحسن بن الامير ابي بكر بن الامير علي القبي بن امير المؤمنين الراشد بالله بن أمير المؤمنين المسترشد بالله أبي منصور الفضل بن أمير المؤمنين المستظهر بالله أبي العباس أحمد بن أمير المؤمنين أبي القاسم عبد الله بن المرحوم الذخيرة للدين ولى عهد المسلمين محمد بن الامام القائم بأمر الله أبي عبد الله محمد بن القادر بالله ابي العباس أحمد بن أمير المؤمنين أبي الفضل جعفر المقتدر بالله بن أمير المؤمنين المعتضد بالله أبي العباس بن الامير محمد الموفق بالله أبي طلحة ولى عهد المسلمين بن أمير المؤمنين جعفر المتوكل بن أمير المؤمنين ابى اسحق محمد المعتصم بن هرون الرشيد ابن أمير المؤمنين محمد المهدى بن أمير المؤمنين عبد الله المنصور بن محمد الكامل بن على السجاد ابن عبد الله حبر الامة ابن العباس بن عبد المطلب عم النبي صلي الله عليه وسلم أعز الله به الدين وامتع ببقاء نسله الشريف الاسلام والمسلمين وهو في حالة يسوغ معها الشهادة عليه ويرجع في الامور المفرطة للخلافة الشريفة اليه أنه عهد الى ولده لصلبه الامام

المستكفى بالله أبي الربيع سليمان شيد الله به أركان الايمان ونصر ببركة سلفه العصابة المحمدية على أهل الكفر والطغيان وجعله ولى عهده واستخلفه من بعده لما علمه من أهليته وعدالته وكفالته وصلاحه لذلك وكفايته وشخصه لشهود هذا المكتوب الشريف ونبه على استحقاقه لذلك ومحله العالى المنيف عهداً صحيحاً شرعياً معتبراً تاما مرعياً وفوض اليه أمر الخلافة المعظمة تفويضاً شرعياً صريحاً وعقد له عقد ولاية العهد على الامة عقداً صحيحاً وقبل ذلك منه القبول الشرعي المعتبر المرضى فالله تعالى يجمع به كلمة الاسلام ويصحبه في خلافته الشريفة رأياً موفقاً ويقمع ببركة سلفه الكرام أهل الطغيان ويهيئ له من أمره مرفقاً بمنه وكرمه آمين والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيد المرسلين نبيه وآله وصحبه أجمعين وبه شهد في اليوم المبارك السابع عشر من جمادى الاولى سنة احدي وسبعمائة أحسن الله العقبي في ختامها وأجرى الخيرات فيما بقى من شهورها وأيامها وشهد عليه بذلك أربعة شهود ورسموا خطوطهم تحت نسخة العهد بما نصه أشهدني مولانا الامام جامع كلمة الايمان ناظم شمل الاسلام سيد الخلفاء الاعلام امام المسلمين والمناضل عن شريعة سيد المرسلين الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين أعز الله به الدين وامتع ببقائه الاسلام والمسلمين على نفسه الزكية الشريفة وهو علي الحالة التي يسوغ معها تحمل الشهادة عليه بما نسب اليه اعلاه وشخص لى مولانا وسيدنا الامام المستكفي بالله أمير المؤمنين في التاريخ المذكور فيه وثبت هذا العهد علي قاضى القضاة شمس الدين الحنفى وكتب صورة الاسجال بما نصه ثبت اشهاد مولانا الامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين سليل الأئمة المهديين بركة الاسلام والمسلمين المتظم به عقد جواهر زواهر أحكام الدين ابن عم سيد المرسلين أبى العباس بن أحمد الراقي همة شرفه أعالى الدرجات المنقول رحمة الله ومنه وحسن سيرته الي روضات الجنات المشار اليه بأعاليه قرن الله بمن خلفه خلفه تأييداً وتسديداً وتوفيقاً وقرب له الى مشاهدة ابن عمه والخلفاء الراشدين في دار كرامته طريقاً مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً واشهاد ولده لصلبه ولى عهده المختار للخلافة الشريفة المعظمة من بعده مولانا الامام المستكفي بالله أبي الربيع سليمان ثبت الله به أركان الايمان وسلك به مسالك الخلفاء الراشدين وآبائه الطاهرين التابعين لهم باحسان وبارك للامة المحمدية فيه ونصرهم ببركة سلفه على أهل الطغيان على أنفسهما الشريفة المكرمة الطاهرة الزكية المعظمة بجميع مانسب اليهما في كتاب العهد الشريف المسطر بأعاليه على مانص وشرح فيه المؤرخ بالسابع عشر من جمادى الاولى سنة تاريخ هذا الاسجال ثبوتا صحيحاً شرعياً معتبراً تاما مرعياً عند سيدنا ومولانا العبد الفقير الي الله تعالى الكريم الحامد فيض

فضله العميم قاضي القضاة حاكم الحكام مفتي الآنام حجة الاسلام عمدة العلماء الاعلام شمس الدين خالصة أمير المؤمنين أبي العباس أحمد بن الشيخ الصالح الورع الزاهد برهان الدين أبي اسحق ابراهيم بن عبدالغني الحنفي عامله الله بلطفه الخفي الناظر في الحكم بالقاهرة ومصر المحروستين وسائر أعمال الديار المصرية بالتولية الصحيحة الشرعية أدام الله أيامه الزاهرة وجمع له بين خيرى الدنيا والآخرة وذلك بشهادة الشهود المعلم لهم بالاداء أعلاه بعد ان اقام كل واحد منهم شهادته بذلك بشروط الاداء المعتبرة وذلك انه شهد على مولانا الامام الحاكم بأمر الله المشار اليه تغمده الله بالرحمة والرضوان واسكنه فسيح الجنان وهو على الحالة التى تسوغ معها الشهادة عليه أحسن الله في آخرته اليه فقبل ذلك منه واعلم له ماجرت به العادة من علامة الاداء والقبول على الرسم المعهود في مثله وحكم مولانا قاضى القضاة شمس الدين الحاكم المذكور وقاه الله كل محذور بذلك كله الحكم الشرعى المعتبر المرعي واجاز ذلك وامضاه واختاره وارتضاه والزم ماقتضاه مقتضاه بسؤال من جازت مسئلته وسوغت في الشريعة المطهرة اجابته وذلك بعد استيفاء الشرائط الشرعية والقواعد المحررة المرعية وتقدم الدعوى المعتبرة المرضية وتقدم هذا الحاكم وفقه الله لمراضيه واعانه على ماهو متوليه بكتابة هذا الاسجال فكتب عن اذنه الكريم على هذا المنوال بعد قراءته وقراءة مايحتاج الى قراءته من كتابة العهد الشريف المسطر اعلاه على شهود هذا الاسجال وهو وهم يستمعون لذلك في اليوم المبارك من العشر الاخير من جمادى الاولى سنة احدى وسبعمائة احسن الله تقضيها في خير وعافية وبايعه السلطان والقضاة والاعيان وألبس جبة سوداء وطرحة سوداء وخلع على اولاد اخيه خلع الامراء واشهد عليه انه ولى الملك الناصر جميع ماولاه والده وفوضه اليه ثم نزل الى داره بالكبش ونقش اسمه على سكة الدينار والدرهم ثم رسم السلطان في جمادى الآخرة بأن ينتقل الخليفة واولاده وجميع من يلوذ به الى القلعة كراما لهم فنزلوا في دارين واجري عليهم الرواتب الكثيرة واستمر دهراً طويلا وهو والسلطان كالاخوين يلعبان بالاكرة ويخرجان الى السرحات وسافرا معا الى غزوة التتار نوبة غازيان حتى وشي الواشي بينهما فتغير خاطر الناصر منه وذلك فى سنة ست وثلاثين فأمره ان ينتقل من القلعة الي مناظر الكبش حيث كان ابوه ساكناً ثم امره ان يخرج الى قوص فيقيم بها وذلك فى ثامن عشر ذى الحجة سنة سبع وثلاثين فخرج اليها هو وأولاده وأهله وهم قريب من مائة نفس ورتب له على واصل المكارم أكثر مما كان له بمصر وتوجع الناس لذلك كثيراً قال الحافظ ابن حجر وكان بطول مدته يخطب له على المنابر حتي في مدة اقامته بقوص واستمر بها الى ان مات في شعبان سنة اربعين وسبعمائة

ودفن بها وقد عهد بالخلافة الى ابنه احمد واشهد عليه اربعين عـدلا واثبت ذلك على قاضى قوص فلما بلغ الناصر ذلك لم يلتفت الى ذلك العهـد وطلب ابن اخي المستكفى ابراهيم بن ولي العهد المستمسك بالله ابى عبدالله محمد بن الحاكم بأمر الله ابي العباس احمد وكان جده الحاكم عهد الى ابنه محمد ولقبه المستمسك بالله فمـات فى حياته فعهد الى ابنه ابراهيم هذا ظناً انه يصلح للخلافة فرآه غير صالح لمـا هو فيه من الانهمـاك فى اللعب ومعاشرة الارذال فنزل عنه وعهد الى ولد صلبـه المستكفى وهو عم ابراهـيم وكان ابراهيم قد نازعـه لمـا مات الحاكم فلم يلتفت الى منازعته اعتماداً على قول الشيخ تقى الدين بن دقيـق العيد فأقام على ضغينته حتي كان هو السبب في الوقيعة بين عمه وبين الناصر وجرى ماجرى فلم يمض الناصر عهد المستكفى لولده وبايع ابراهيم هذا في يوم الاثنـين ثالث رمضان ولقب الواثق بالله وراجع الناس السلطان في أمره ووسـموه بسوء السـيرة خصوصاً قاضى القضاة عز الدين بن جماعة فانه جهد كل الجهد في صرف السلطان عنه فـلم يفعل وما زال بهم حتى بايعوه ثم ان الله فجع الناصر بموت أعز أولاده الامـير أنوك فكان ذلك أول عقـوباته ولم يمتع بالملك بعـد وفاة المستكفى فأقام بعـده سـنة وأياماً وأهلكه الله وقد قيل ان وفاة المستكفى كانت سـنة احدى وأربعين فعلى هذا لم يتم الحول على الناصر حتي مات بعد ثلاثة أشهر سنة الله فيمن مس أحدا من الخلفاء بسوء فان الله يقصمه عاجلا ومايدخره له في الآخرة من العذاب أشد ثم ان الله انتقم من الناصر فى أولاده فسلط عليهم الخلع والحبس والتشريد في البـلاد والقتل فجميع من تولى الملك من ذريته اما ان يخلع عاجلا واما ان يقتل فأول ولد تولى بعـده عوجل بخلعه ونفيه الى قوص حيث كان سير الخليفة ثم قتل بها وغالب من تولى من ذريته لم تطل مدته كما سيأتى وقد أقام الناصر في السلطنة نيفاً وأربعين سنة وتولى من ذريتـه اثنا عشر نفراً لم يتموا هذه المدة بل عجلوا واحداً في أثر واحد فما شبههم الا بملوك الفرس حيث قال الكاهن لكسرى لمـا سقطت من ايوانه أربع عشرة شرافـة ليلة ولد النبي صلى الله عليه وسلم يملك منكم أربعة عشر ملكا ثم يذهب الملك منكم فقال كسرى الى ان يمضى أربعة عشر ملكا يكون أمور وأمور فانقرضوا في أقصر مدة وكان آخرهم في زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه ثم ان الله نزع الملك من ولد قلاوون وأعطاه بعض مماليكهم ولم يعد اليهـم الى وقتنا هذا وبعض ذريته أحياء الى الآن في أسوأ حال ديناً ودنيا ومن تأمـل بدائع صنع الله رأى العجب العجاب ولكن أكثر الناس لايعلمون وانما يتذكروا أولوا الالباب ولمـا حضر الناصر الوفاة ندم على مافعـل من مبايعة ابراهيم فأوصى الامر برد العهد الي ولي عهد المستكفى فلما تسلط ولده ابوبكر المنصور

عقد مجلساً يوم الخميس حادى عشر ذى الحجة وطلب الواثق ابراهيم وولى العهد احمد ابن المستكفي والقضاة وقال من يستحق الخلافة شرعا فقال ابن جماعة ان الخليفة المستكفى المتوفي بمدينة قوص أوصى بالخلافة من بعده لولده أحمد وأشهد عليه أربعين عدلا بمدينة قوص وثبت ذلك عندى بعد ثبوته على نائبي بمدينة قوص فخلع السلطان الواثق حينئذ وبايع أحمد وبايعه القضاة قال الحافظ ابن حجر ولقب أولا المستنصر ثم لقب الحاكم بأمر الله لقب جده وكتب له ابن فضل الله صورة المبايعة وهى هذه بسم الله الرحمن الرحيم ان الذين يبايعونك انما يباعون الله الى قوله عظيما هذه بيعة رضوان وبيعة احسان وبيعة رضي يشهدها الجماعة ويشهد عليها الرحمن بيعة يلزم طائرها العنق ويحرم سائرها وكل أنبأها البراري والبحار مشحونة الطرق بيعته يصلح الله بها الامة ويمنح بسببها النعمه ويتجازى الرفاق ويسرى الهنا في الآفاق ويتزاحم زهر الكواكب على حوض المجرة الدقاق بيعة سعيدة ميمونة بها السلامة في الدين والدنيا مضمونة بيعة صحيحة شرعية بيعة ملحوظة مرعية تسابق اليها كل نية وتطاوع كل طوية ويجمع عليها شتات البرية بيعة يستهل بها العام ويتهلل البدر التمام بيعة متفق على الاجماع عليها والاجماع يبسط الايدى اليها انعقد عليها الاجماع فاعتقد صحتها من سمع الله وأطاع وبذل في تمامها كل امرء ما استطاع حصل عليها اتفاق الابصار والاسماع وصل بها الحق الى مستحقه وأقر الخصم وانقطع النزاع تضمنها كتاب مرقوم يشهده المقربون وتلقاه الأئمة الاقربون الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله ذلك من فضل الله علينا وعلي الناس والينا بحمد الله والى بني العباس أجمع على هذه البيعة أرباب العقد والحل من أصحاب الكلام فيما قل وجل وولاة الامور والحكام وأرباب المناصب والاحكام وحملة العلم والاعلام وحماة السيوف والاقلام وأكابر بني عبد مناف ومن انخفض قدره وأناف وسرات قريش ووجوه بنى هاشم والبقية الطاهرة من بنى العباس وخاصة الائمة وعامة الناس بيعة ترى بالحرمين خيامها ويخفق بالمأزمين أعلامها ويتعرف عرفات بركاتها وتعرف بمني ويؤمن عليها يوم الحج الاكبر ويوم مابين الركن والمقام والمنبر ولا يبتغى بها الا وجه الله الكريم بيعة لايحل عقدها ولا ينبذ عهدها لازمة جازمة دائبة دائمة تامة عامة شاملة كاملة صحيحة صريحة متعبة مريحة ولا من يوصف بعلم ولا قضاء ولا من يرجع اليه فى اتفاق ولا امضاء ولا امام مسجد ولا خطيب ولا ذى فتوى يسئل فيجيب ولا من حمى المساجد ولا من صمهم أجنحة المحاريب ولا من يجتهد في رأى فيخطئ أو يصيب ولا مجادل بحديث ولا متكلم فى قديم وحديث ولا معرفة بدين وصلاح ولا فرسان حرب وكفاح ولا راشق بسهام ولا

طاعن برماح ولا ضارب بصفاح ولا ساع بقدم ولا طائر بجناح ولا مخالط الناس ولا قاعد في عزله ولا جمع تكثير ولا قلة ولا من يستقل بالجوز ألواوه ولا من يقل فوق الفرقد نواوه ولا باد ولا حاضر ولا مقيم ولا سائر ولا أول ولا آخر ولا مسر في باطن ولا معلن في ظاهر ولا عرب ولا عجم ولا راعي ابل ولا غنم ولا صاحب أناة ولا بدار ولا ساكن في حضر وبادية بدار ولا صاحب عهد ولا جدار ولا ملجج في البحار الزاخرة والبرارى القفار ولا من تعوقل صهوات الخيل ولا من يسبل على العجاجة الذيل ولا من تطلع عليه شمس النهار ونجوم الليل ولا من تظله السماء وتقله الارض ولا من تدل عليه الاسماء على اختلافها وترفع درجات بعضهم على بعض حتى آمن بهذه البيعة وأمن عليها و آمن بها ومن الله عليه وهداه اليها وأقر بها وصدق وخفض لها بصره خاشعاً وأطرق ومد اليها يده بالمبايعة ومعتقده بالمتابعة ورضي بها وارتضاها وأجاز حكمها على نفسه وأمضاها ودخل تحت طاعتها وعمل بمقتضاها وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وانه لما استأثر الله بعبده سليمان أبي الربيع الامام المستكفي بالله أمير المؤمنين كرم الله مثواه وعوضه عن دار السلام بدار السلام ونقله مزكي به عن شهادة الاسلام بشهادة الاسلام حيث آثره بقربه ومهد لجنبه واقدمه على ما قدمه من مرجو عمله وكسبه وحازله في جواره فريقاً وأنزله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً الله أكبر ليومه لولا مخلفه كانت تضيق الارض بما رحبت وتجزى كل نفس بما كسبت وتنبئ كل سريرة ماادخرت وما خبئت لقد اضطرم سعر الا أنه في الجوانح لقد اضطرب منبر وسرير لولا خلفه الصالح لقد اضطرب مأمور وأمير لولا الفكر بعده في عاقبة المصالح ولم يكن في النسب العباسي ولا في البيت المسترشدى ولا في غيره من بيوت الخلفاء من بقايا آبائهم وجدود ولا من تلده أخرى الليالى وهي عاقر غير ولود من تسلم اليه أمة محمد عقد نياتها وسرطوياتها الا واحد وأين ذاك الواحد هو والله من انحصر فيه استحقاق ميراث آبائه الاطهار وتراث اجداده ولا شيء هو الا ما اشتملت عليه رداء الليل والنهار وهو ولد المنتقل الي ربه وولد الامام الذاهب لصلبه المجمع على انه في الايام فرد الانام وواحد وهكذا في الوجود الامام وانه الحائز لما زرت عليه جيوب المشارق والمغارب والفائز لملك ما بين المشارق والمغارب الرامي في صفيح السماء هذه الدرة المنيفة الراقي بعد الأئمة الماضيين ونعم الخليفة المجتمع فيه شروط الامامة المتضع لله وهو ابن بيت لايزال الملك فيهم الى يوم القيامة الذى يفضح السحاب نائله والذى لا يغره عاذره ولا يغيره عاذله والذى ما ارتقى صهوة المنبر بحضرة سلطان زمان الا قال ناصره وقام قائمه ولا قعد على سرير الخلافة الا وعرف انه ماخاب مستكفيه ولا عاب

حاكمه نائب الله في أرضه والقائم مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته وابن عمه وتابع علمه الصالح ووارث علمه سيدنا ومولانا عبد الله ووليه أبو العباس الامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين أيد الله ببقائه الدين وطوق سيفه رقاب الملحدين وكبت تحت لوائه المعتدين وكتب له النصر الى يوم الدين وكب بجهاده على الاذقان طوائف المفسدين وأعاذ به الارض ممن لايدين بدين وأعاد بعدله أيام آبائه الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون وعمله كانوا يعملون ونصر أنصاره وقدر اقتداره وأسكن في القلوب سكينته ووقاره ومكن له في الجود وجمع له أقطاره ولما انتقل الي الله ذلك السيد ولقى اسلافه ونقل الى سرير الجنة عن سرير الخلافة وخلا العصر من امام يمسك مابقي من نهاره وخليفة يغالب مريد الليل بأنواره ووارث نبي بمثله ومثل آبائه استغنى بعد ابن عمه خاتم الانبياء عن نبي يقفى آثاره ومضى ولم يعهد فلم يبقى اذ لم يوجد النص الا الاجماع وعليه كانت الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولانزاع اقتضت المصلحة الجامعة عقد مجلس كل طرف منه معقود وعقد بيعة عليها الله والملائكة شهود وجمع الناس له وذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود فحضر من لم يعبأ بعده بمن تخلف ولم ير بايعه وقد مد يده طائعاً لمريدها وقد تكلف وأجمعوا على رأى واحد استخاروا الله فيه فخار وأخذ يمين تمد لها الايمان ويشد بها الايمان ويعطي عليها المواثيق وتعرض أمانتها على كل فريق حتي تقلد كل من حضر فى عنقه هذه الامانة وحط على المصحف الكريم يده وحلف بالله وأتم ايمانه ولم يقطع ولا استثنى ولا تردد ومن قطع عن غير قصد أعاد وجدد وقد نوي كل من حلف ان النية في تمنيه نية من عقدت له هذه البيعة ونية من حلف له وتذمم بالوفاء له في ذمته وتكفله على عادة ايمان البيعة وشروطها وأحكامها المرددة وأقسامها المؤكدة بان يبذل لهذا الامام المفترض الطاعة الطاعة ولا يفارق الجمهور ولا يظهر عن الجماعة الجماعة وغيرذلك مما تضمنته نسخ الايمان المكتتب فيها أسماء من حلف عليها مما هو مكتوب بخطوط من يكتب منهم وخطوط العدول الثقات عمن لم يكتبوا وأذنوا أن يكتب عنهم حسبما يشهد به بعضهم على بعض وتتصادق عليه أهل السماء و الارض بيعة تم بمشيئة الله تمامها وعلم بالصواب المغدق غمامها وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ووهب لنا الحسن ثم الحمد لله الكافي عبده الوافي لمن تضاعف على كل موهبه حمده ثم الحمد لله على نعمه برغبة أمير المؤمنين في ازديادها ويرهب الا ان يقاتل أعداء الله بأمدادها ويراب بها من أثر في بر مماله مابان من مبانيه أضدادها نحمده والحمد لله ثم الحمد لله كلة لايمل من ترددها ولا تخل بما نبعت السهام من سدادها ولا تبطل الا على

مايوجب تكثير أعدادها وتكبير أقدار أهل ودادها وتصغير التحقير لا التخييب لانتدادها ونشهد أن لااله الا الله وحده لاشريك له شهادة تتقايس بدماء الشهداء وامداد مدادها وتتنافس طور الشباب وغرر السحاب على استمدادها وتجانس رقومها المدلجة وما تلبسه الدولة العباسية من شعارها والليالي من دثارها والاعداء من حدادها صلى الله عليه وعلى جماعة أهله ومن سلف من أبنائها وسلف من أجدادها ورضى الله عن الصحابة أجمعين والتابعين لهم باحسان الي يوم الدين وبعد فان أمير المؤمنين لما ألبسه الله من ميراث النبوة ما كان لجده ووهب من الملك السليماني مالاينبغي لاحد من بعده وعلمه منطق الطير بما يتحمد خاتم النطائق من بدائع البيان وسخر له من البريد على متون الخيل ماسخره من الريح لسليمان وأتاه من خاتم الانبياء ماامتد به أبوه لسليمان وتصوف وأعطاه من الفخار به ماأطاعه كل مخلوق ولم يتخلف وجعل له من لباس العباس مايقضي سواده بسودد الاجداد وينقص على ظل الحرب مافضل عن سويداء القلب وسواد البصر من السواد ويمد ظله على الارض وكل مكان دار ملك وكل مدينة بغداد وهو في ليلة السجاد وفي نهاره العسكري وفي كرمه جعفر وهو الجواد نديم الابتهال الي الله في توفيقه والابتهاج بما يغص كل عدو بريقه ونبدأ يوم المبايعة بماهو الاهم من مصالح الاسلام وصالح الاعمال فيما ينجلي به الامام ويقدم التقوى اما ـه ويقرر عليها أحكامه ويتبع الشرع الشريف ويقف عنده ويوقف الناس ومن لا يحمل أمره طائعا على العين يحمله غصباً على الرأس ويعجل أمير المؤمنين بما استقر به النفوس ويرد به كيد الشيطان انه يؤوس ويأخذ بقلوب الرعايا وهو غني عن هذا ولكنه يسوس وأمير المؤمنين يشهد الله وخلقه عليه انه أقر ولى كل أمر من ولاة أمور الاسلام على حاله واستمر به في مقيله تحت كنف ظلاله على اختلاف طبقات ولاة الامور وطرقات الممالك والثغور برا وبحرا سهلا ووعراً شرقا وغربا بعدا وقربا وكل جليل وحقير وقليل وكثير وصغير وكبير وملك ومملك وأمير وجندي يرى له سيف شهير ورمح ظهير ومع من هؤلاء من وزراء وقضاة وكتاب ومن له تدقيق في انشاء وتحقيق في حساب ومن يتحدث في بريد واخراج ومن يحتاج اليه ومن لايحتاج ومن في التدريس والمدارس والربط والزواياوالخوانق ومن له اعظم التعلقات وادني العلائق وسائر ارباب المراتب واصحاب الرواتب ومن له من الله رزق مقسوم وحق مجهول او معلوم استمرار الكل امرء على ماهو عليه حتى يستخير الله وتتبين له مابين يديه فمن ازداد تأهيله زاد تفضيله والا فالامير لايريد الا وجه الله ولا يحابي احدا في دين الله ولا يحابي حقا في حق فان المحاباة في الحق مداجاة على المسلمين ولا حكما هو مستمر

الي الآن مستقر على حكم الله فيما فهمه الله له فهمه سليمان لايغير أمير المؤمنين في ذلك ولا في بعضه مغيرا شكر الله على نعمه وهكذا يجازى من شكر ولا يكدر على أحد موردا نزه الله نعمه الصافية عن الكدر ولا يتأول فى ذلك متأول الا من جحد النعمة او كفر ولا يتعلل متعلل فان أمير المؤمنين يعوذ بالله ويعيذ أيامه من الغير وأمر المؤمنين أعلا الله أمره ان يعلن الخطباء بذكره وذكر سلطان زمانه على المنابر فى الآفاق وان يضرب باسمهما النقود ويسير بالاطلاق ويرشح بالدعاء لهما عطف الليل والنهار ويصرح منه بما يشرق وجه الدرهم والدينار وقد أسمع أمير المؤمنين في هذا المجمع المشهود مايتناقله كل خطيب ويتداوله كل بعيد وقريب ومختصره ان الله أمر بأوامر ونهي عن نواه وهو رقيب وستفرغ لها الاولياء السجايا ويقرع الخطباء لها شعوب الوصايا وتتصل بها لمزايا ويخرج من المشايخ الخبايا من الزوايا وتستمر به السمار ويرتم الحادى والملاح ويرق سحرها في الليل المقمر ويرقم على جبين الصباح ويعظ بها مكة بطحاها ويحيي نجدها فتاه ويلقنها كل أب فهمه ابنه ويسأل كل ابن نجيب أباه وهو لكم أيها الناس من أمير المؤمنين من سدد عليكم بينه واليكم مادعاكم به الى سبيل ربه من الحكمة والموعظة الحسنة ولامير المؤمنين عليكم الطاعة ولولا قيام الرعايا ماقبل الله أعمالها ولا أمسك بها البحر ودحي الارض وأرسي جبالها ولا انفقت الاراء على من يستحق وجاءت اليه الخلافة تجر أذيالها وأخذها دون بنى أبيه * ولم تكن تصلح الاله * ولم يك يصلح الا لها * وقد كفاكم أمير المؤمنين السؤل بما فتح لكم من أبواب الارزاق وأسباب الارتزاق وآجركم على وفاقكم وعملكم مكارم الاخلاق وأجراكم على عوائدكم ولم يمسك خشية الانفاق ولم يبق لكم على أمير المؤمنين الا ان يسير فيكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويعمل بما يبعث به من يجيء أطال الله بقاء أمير المؤمنين من بعده ويزيد على من تقدم ويقيم فروض الحج والجهاد ويقيم الرعايا بعدله الشامل فى مهاد وأمير المؤمنين يقيم على عادة أبائه موسم الحج في كل عام ويشمل بره سكان الحرمين الشريفين وسدنة بيت الله الحرام ويجهز السبيل على حالته ويرجو ان يعود على حاله الاول في سالف الايام ويتدفق في هذين المسجدين بحره الزاخر ويرسل الى ثالثهما في البيت المقدس ساكب الغمام ويقيم معونة قبور الانبياء صلى الله عليهم وسلم أينما كانوا وأكثرهم في الشام والجمع والجماعات هي فيكم على قديم سنتها وقويم سنتها وستزيد في أيام أمير المؤمنين لمن يضم اليه وفيما يتسلم من بلاد الكفر ويسلم منهم على يديه وأما الجهاد فكفى باجتهاد القائم عن أمير المؤمنين بأموره المقلد عنه جميع ماوراء سريره وأمير المؤمنين قد وكل منه خلد الله ملكه وسلطانه عيناً لاتنام وقلد سيفاً لو أغفت بوارقه ليلة واحدة عن

الاعداء سلت خياله عليهم الاحلام وسيؤكد أمير المؤمنين في ارتجاع ماغلب عليه المعرى وقد قدم الوصية بان يوالى غزو العدو والمخذول براً وبحراً ولا يكف عمن ظفر به منهم قتلا ولا أسرا ولا يفك اغلالا ولا اصرا ولا ينفك يرسل عليهم في البر من الخيل عقبانا وفي البحر غربانا يحل كل منهما من كل فارس صقرا ويحمي الممالك مما يخرق أطرافها باقدام ويحول أكنافها بأقدام وينظر في مصالح الفلاع والحصون والثغور وما يحتاج اليه من آلات القتال وأمهات الممالك التي هي مرابط البنود ومرابض الاسود والامراء والعساكر والجنود وترتيبهم في الميمنة والميسرة والجناح الممدود ويتفقد أحوالهم بالعرض بما لهم من خيل لعقد مابين السماء والارض وما لهم من زر وموضون وبيض منها ذائب ذهب فكانت كأنها بيض مكنون وسيوف قواضب ورماح وأنها من الدما خواضب وسهام تواصل القسى وتفارقها فتحن حنين مفارق ويزمجر القوس زمجرة مغاضب وهذه جملة أراد بها امير المؤمنين أطابة قلوبكم واطالة ذيل التطويل على مطلوبكم ودماؤكم وأموالكم وأعراضكم في حماية الا ماأباح الشرع المطهر ويزيد الاحسان اليكم على مقدار مايخفى منكم ويظهر وأما جزئيات الامور فقد علمتم بان من يعد عن أمير المؤمنين غنى عن مثل هذه الذكرى وأنتم على تفاوت مقاديركم وديعة أمير المؤمنين وكلكم سواء فى الحق عند أمير المؤمنين وله عليكم أداء النصيحة وابداء الطاعة بسريرة صحيحة فقد دخل كل منكم في كنف أمير المؤمنين وتحت رقه ولزمه حكم بيعته وألزم طائره في عنقه ويستعمل كل منكم في الوفاء بما أصبح به عليما ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما هذا قول أمير المؤمنين وقال وهو يعمل في ذلك كله بما تحمد عاقبته من الاعمال وعلى هذا عهد اليه وبه يعهد وما سوى ذلك فجور لايشهد به عليه ولا يشهد وأمير المؤمنين يستغفر الله على كل حال ويستعيذ به من الاهمال ويسأله ان يمده لما يجب من الامهال ولا يمد له حبل الاهمال ويختم أمير المؤمنين قوله بما أمر الله به من العدل والاحسان والحمد لله وهو من الخالق أحمد وقد آتاه الله ملك سليمان والله يمتع أمير المؤمنين بما وهبه ويملكه أقطار الارض ويورثه بعد العمر الطويل عقبه فلايزال على سدة العلياء قعوده ولدست الخلافة به أبهة الجلالة كأنه مامات منصوره ولا أودى مهديه ولا رشيده ومن قصيدة ابن فضل الله التى سماها حسن الوفاء بمشاهير الخلفاء

وطار منهم نحو مصر قشعم * قد جاءها كما يجئ الطائر
قال أخي مستنصر ووالدى * ووالده وهو الامام الظاهر
فلقبوه مثله مستنصرا * وذاك ان جد هذا الناصر
وكان منه الظاهر السلطان ذا * خوف ومن بأسائه يجاذر

فبايعوا الحاكم بعد ان أتي * وفر فالتفت به العشائر
وهو أبو العباس احمد الرضى * من ولد الراشد نجم زاهر
وقام مستكف كفاه ربه * جميع مايخاف ناه آمر
وبعده الواثق ابراهيم لا * عاد ولا دارت له الدوائر
والحاكم الآن امام عصرنا * بشري لنا اناله ننا صر

ثم في يوم الاثنين ثاني محرم سنة اثنتين وأربعين حضر الخليفة الحاكم والسلطان المنصور والقضاة بدار العدل فجلس الخليفة على الدرجة العلياء وعليه خلعة خضراء وفوق عمامته طرحة سوداء مرقومة بالذهب وجلس السلطان دونه فقام الخليفة وخطب خطبة افتتحها بقوله * ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية وبقوله وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم الآية ثم أوصى الامراء بالرفق بالرعية واقامة الحق وتعظيم شعائر الاسلام ونصرة الدين ثم قال فوضت اليك جميع أحكام المسلمين وقلدتك جميع ماتقلدته من أمور الدين فمن نكث فانما ينكث على نفسه وقرأ الآية وجلس ثم جيء بخلعة سوداء ألبسها الخليفة السلطان بيده ثم قلده سيفاً عربياً ثم أخذ علاء الدين بن فضل الله كاتب السر في قراءة عهد الخليفة للسلطان حتى فرغ منه ثم قدمه الى الخليفة فكتب عليه ثم كتب بعده القضاة الاربعة بالشهادة عليه واستمر الخليفة في منصبه الشريف الي ان مات بالطاعون شهيدا في منتصف سنة ثلاث وخمسين ولم يعهد بالخلافة لاحد فجمع الامراء شيخو ورفقته القضاة وطلب جماعة من بني العباس فوقع الاختيار على أخيه أبي بكر بن المستكفي فبايعوه ولقب المعتضد بالله وكني أبا الفتح وضم اليه نظر المشهد النفيسي فأقام الى ان مات ليلة الاربعاء ثامن عشر جمادى الاولى سنة ثلاث وستين قال بدر الدين بن حبيب في ترجمته * أمير المؤمنين وقائد المذعنين وامام الائمة وقدوة المتكلمين في براءة الذمة علت أركانه وبسقت أغصانه وتجملت به ديار مصره وصغت الى رأيه ملوك عصره رأس وساد ومنح وأفاد ورفل في حلل النعيم وهدى الى سلوك الطريق المستقيم واعتضد بالله في أموره ولم يختف عن الناس بحجبه ولا ستوره واستمر سائرا في منهاج عزه وبقائه الى ان لحق بعد عشرة أعوام بالخلفاء الكرام من آبائه وعهد بالخلافة لولده أبي عبدالله محمد فقام بعده ولقب المتوكل على الله ( هذه ) صورة العهد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى ميز أبناء الخلفاء برتب العدالة والبس من نشاء منهم على ستر العفاف خلعها المدالة ورفع قدره على أقرانه حين سلك سبل الرشاد التي أوضحها له ( احمده ) على نعمه التي هي على عبده منها له وأشكره شكرا استزيد به نعمه وافضاله واشهد أن لااله الاالله وحده لاشريك له شهادة امرء أخلص بها نيته ومقاله وأشهد ان محمدا عبده ورسوله

المخصوص بعموم الرسالة والمبعوث بأوضح حجة ودلالة والصادق الامين الذى أخلص لله أقواله وأفعاله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه اولى الصدر والاصالة والمفاخر الباهرة والجلالة وسلم تسليما كثيرا ورضى الله عن أول الخلفاء بعد نبينا محمد المصطفي الذى صحبه بوفاء شيخ الوقار ومعدن الجود والافتخار وأنيس سيد المرسلين في الغار ذى الكرم العريق والرأى الوثيق والاخلاص والتصديق السابق للنبوة والرسالة بالتصديق المكنى بعتيق هو الامام أبو بكر الصديق وعن عمى نبيه حمزة والعباس المطهرين من الدنس والارجاس (وبعد) فالخلافة أشرف ملابس أهل الديانة وأزهي حلل الصيانة وهي أصل كل سيادة يتوصل اليها ورياسة جل الاعتماد عليها اذ هى أجل المناصب وانماها وأشرفها وأرفعها وأسناها وأنفسها وأعلاها وأغلاها ومن لوازمها ان لا يؤتي تقليدها الا من اتصف بصفاتها المرضيه وتحلى بحلاها المرعيه ورقي بجميل سيرته الى مراتبها العليه ولما كان من يأتي اسمه في هذا المكتوب ممن هو حقيق بها الا محالة وجدير بان يبلغه حسن الظن منها آماله اذا كان متصفاً بصفاتها الحميدة متقيدا بأرائها السديدة وقد لاحت عليه أنوار الخلافة وظهرت وذاعت محامده واشتهرت وقامت الادلة بأهليته لتقليدها وانه كفؤ لتناول طريفها وتليدها استخار الله سيدنا ومولانا الامام المعتضد بالله المستمسك بتقواه المراقب له في سره ونجواه أمير المؤمنين خليفة رب العالمين ابن عم سيد المرسلين أبو الفتح أبو بكر بن سيدنا ومولانا المستكفي بالله أبي الربيع سليمان أمير المؤمنين أعز الله به الدين وأمتع ببقائه الاسلام والمسلمين وأشهد على نفسه الكريمة أسبغ الله عليه نعمه العميمة انه عهد الى ولده لصلبه الامام المتوكل على الله أبي عبد الله محمد نصر الله به الاسلام وأيد ونفع به نفعاً مستمراً مؤبد وجعله ولي عهده ورضيه خليفة على الرعية من بعده لما علم من ديانته وعدالته وكفالته وكفايته ومروءته وحسن قصده عهداً صحيحا شرعياً تاما معتبرا مرضياً وفوض اليه أمر الخلافة تفويضاً صريحاً وعقد له ولاية العهد على الرعية عقداً صحيحاً وقبل ذلك قبولا شرعياً جعله الله لشريعة نبيه محمد ناصرا مؤيداً وجمع به كلمة الاسلام وصدر الاشهاد بذلك في اليوم المبارك يوم الثلاثاء الثالث عشر من ربيع الاول سنة ثلاث وستين وسبعمائة فاستمر الى ان قتل الاشرف شعبان واقيم ولد المنصور على وكان اينبك البدرى مدبر دولته وقد حقد على المتوكل أموراً فطلب نجم الدين زكريا بن ابراهيم بن ولى العهد المستمسك بن الخليفة الحاكم يوم الاثنين رابع ربيع الاول سنة تسع وسبعين فخلع عليه واستقر خليفة بغير مبايعة ولا اجماع ولقب المعتصم بالله ثم في العشرين من الشهر كلم الامراء أينبك فيما فعله مع المتوكل ورغبوه في اعادته الى الخلافة فأعاده وخلع زكريا فكانت خلافته خمسة عشر

يوما ثم لم يتم الشهر على اينبك حتي اتفق العساكر على خلافه والخروج عليه فهرب ثم ظفر به في تاسع ربيع الآخر فقيد وسجن بالاسكندرية وكان آخر العهد به وقال فيه الاديب شهاب الدين بن العطار

من بعد عز أذل اينبكا * وانحط بعد السمو متفتكا
وراح يبكي الدماء منفرداً * والناس لايعرفون أين بكا

واستمر المتوكل في الخلافة الى رجب سنة خمس وثمانين فبلغ الظاهر برقوق انه واطأ جماعة ان يقتلوه اذا لعب الاكرة ويقوموا بنصرة الخليفة واستبداده بالامر وان الخليفة ذكر انه مافوض اليه السلطنة الا كرها وانه لم يسر في ملكه بالعدل فاستدعى برقوق بالقضاة ليفتوه في الخليفة بشيء فامتنعوا وقاموا عنه فخلع هو الخليفة بقوته وسجنه بالقلعة ثم طلب عمر بن ابراهيم بن المستمسك بن الحاكم وبايعه بالخلافة ولقب الواثق بالله ثم في ذى القعدة من السنة أخرج المتوكل من السجن وأقام بداره مكرما واستمر الواثق في الخلافة الى ان مات يوم الاربعاء تاسع عشرى شوال سنة ثمان وثمانين فكلم الناس برقوقا في اعادة المتوكل فأبي وأحضر أخا عمر زكريا الذى كان أينبك ولاه تلك الايام اليسيرة فبايعه ولقب المعتصم بالله فاستمر الى يوم الخميس ثاني جمادى الاولى سنة احدى وتسعين فندم برقوق على ماصنع بالمتوكل فخلع زكريا وأعاد المتوكل الي الخلافة وحلف القضاة كلا من الخليفه والسلطان للآخر على الموالاة والمناصحة وأقام زكريا بداره الى ان مات مخلوعا في جمادي الاولى سنة احدى وثمانمائة وقرئ تقليد المتوكل بالمشهد النفيسى فى ثامن عشر الشهر بحضرة القضاة والامراء وقرر له السلطان داراً بالقلعة يسكنها ويركب الى داره بالمدينة متى شاء واستمر المتوكل في خلافته هذه الى ان مات ليلة الثلاثاء ثامن عشرى رجب سنة ثمان وثمانمائة قال المقريزى وهو أول من أثري من خلفاء مصر وكثر ماله ورزق أولادا كثيرة يقال انه جاء له مائة ولد مابين مولود وسقط ومات عن عدة أولاد ذكور وأناث ولى الخلافة منهم خمسة ولا نظير لذلك واكثر اخوته ولوا الخلافة فيما تقدم اربعة واتفق المتوكل هذا انه عاد الي الخلافة بعد خلعه مرتين ولم يقع ذلك لاحد فيما تقدم الا للمقتدر فقط ورأيت في تاريخ عالم حلب المحب أبي الوليد بن الشحنة انه في سنة سبع وتسعين وسبعمائة أرسل أبو يزيد بن عثمان الى الخليفة المتوكل بهدايا وتحف في طلب تشريف منه بان يكون سلطان الروم فجهز له ذلك وذكر الحافظ ابن حجر في ابناء الغمر أن مولد المتوكل هذا في سنة نيف وأربعين وسبعمائة وانه لما تسلطن برقوق المرة الاولى حسن له جماعة من أهل الدولة وغيرهم طلب الملك فكاتب الامراء والعربان مصرا وشاما

وعراقا وبث الدعاة في الآفاق فبلغ ذلك برقوق فخلعه وسجنه فخرج يلبغا الناصرى على برقوق بسبب ذلك فافرج عنـه برقوق وأعاد الى الخلافة وفرح الناس به فرحاً كثـيراً فلما انتصر الناصرى وزالت دولة برقوق قال الناصري للخليفة بمحضر من الامراء يامولانا أمير المؤمنين ماضربت بسيفي هذا الا في نصرتك وبالغ في تعظيمه وتجليله فتبرم المتوكل من الدخول في الملك وأشار باعادة حاجى بن شعبان وكان المتوكل عهد بالخلافة لولده أحمد ولقبه المعتمد على الله ثم خلعه وعهد الى ابنه أبي الفضل العباسي فاستقر فى الخلافة بعده ولقب المستعين بالله فأقام الى ان خرج شيخ على الناصر فرج وظفر به وذلك في المحرم سنة خمس عشرة وثمانمائة فاشهد على الخليفة بخلع الناصر من الملك لما ثبت عليه من الكفريات والانحلال والزندقـة وحكم ناصر الدين بن العديم بسفك دمه واتفق راى الامراء على سلطنة الخليفة واستقلاله بالامر فلم يوافقهم الخليفة الا بعد شدة وتوثق منهم بالايمان فبايعه الامراء كلهم وحلفوا له على الوفاء ولم يغير لقبه وجلس على كرسى الملك وقام الكل بين يديه وذلك بالشأم وقرر بكتمرجلق في نيابة الشام وقرقماس في نيابة حلب وسودون الجلب في نيابة طرابلس وشيخ ونوروز في ركابه يدبران الامر ونادى منادى الخليفة الا ان فرج ابن برقوق قدخلع من السلطنة ومن حضر الى أمير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين فهو آمن فتسلل الناس من الناصر وكتب المستعين الي القاهرة باجتماع الكلمة له وعزل الجلال البلقينى عن قضاة الشافعية وولى بدله شهاب الدين الباعوني فحقدها عليه البلقيني حتى فعل معه بعد ذلك مافعل ثم أرسل المستعين كتاباً ثانياً الى من بالقاهرة من الاعيان فأرسل الى الجامع الطولوني فقرأه خطيبه ابن النقاش على المنبر ثم أرسل الجامع الازهر فقرأه خطيبه الحافظ ابن حجر على المنبر ثم فر الناصر الى حلب فقام ناس على الاسواق فنادوا نصر الله أمير المؤمنين فلما سمع الرماة ذلك تخوفوا على أنفسهم ولم يغيبوه ثم قبض على الناصر وقتل بحكم ابن العديم ثم ان المستعين صرف بكتمرجلق عن نيابة الشأم وقرر فيها نوروز وقـرر بكتمر أميراً كبيراً بالقاهرة وصدرت الكتب من المستعين الى امراء التركمان والعربان والعشـير ومفتتحها من عبد الله ووليه الامام المستعين بالله أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين وابن عم سيد المرسلين المفترضة طاعته علي الخلق أجمعين أعز الله ببقائة الدين الى فلان ثم توجه هو والعسكر الي القاهرة فدخلوا في يوم الثلاثاء ثانى ربيع الآخر بعد ان تلقاهم الناس الى قطيا والى الصالحية والي بلبيس وحصل للناس من الفـرج بذلك مالا مزيد عليه ونادى فى الناس برفع المظالم والمكوس وعمل الحافظ أبو الفضل بن حجر في المستعين قصيدته المشهورة وهى

الملك أصبح ثابت الاساس * بالمستعين العادل العباسى
رجعت مكانة آل عم المصطفى * لمحلها من بعد طول تناسى
ثانى ربيع الآخر الميمون في * يوم الثلاثا حف بالاعراس
بقدوم مهدى الانام أمينهم * مأمون غيب طاهر الانفاس
ذوالبيت طاف به الرجاء فهل يرى * من قاصد متردد في الياس
فرع نمى من هاشم فى روضة * زاكي المنابت طيب الاغراس
بالمرتضى والمجتبي والمشترى * للحمد للحالى به والكاسى
من أسرة أسروا الخطوب وطهروا * مما يغيرهم من الادناس
أسداذاحضروا الوغي واذاخافوا * كانوا بمجلسهم ظباء كناس
مثل الكواكب نورهم مابينهم * كالبدر أشرق في دجى الاغلاس
ويكفه عند العلامة آية * فلم يضيء اضاءة المقياس
فلبشره للوافدين ببأسم * يدعي وللاجلال بالعباسى
فالحمد لله المعز لدينه ..... * من بعد ماقد كان في ابلاسى
بالسادة الابرار أركان العلا * من بعد مدرك ثاره ومواسي
نهضوا بأعباء المناقب وارتقوا * في منصب العلياء ثم كراسى
تركوالعدى صرعي بمترك الردى * فالله يحرسهم من الوسواس
وامامهم بجلاله متقدم * تقديم بسم الله في القرطاس
لولا نظام الملك في تدبيره * لم يستقم في الملك حال الناس
كم من أمير قبله خطب العلا * وبجهده رجعته بالافلاس
حتي اذا جاء المعالى كفؤها * خضعت له من بعد فرط شماس
طاعت له أيدى الملوك واذعنت * من نيل مصر أصابع المقياس
فهو الذى قد ردعنا البؤس فى * دهره لا وأكل الباس
وأزال ظلما عم كل معمم * من سائر الانواع والاجناس
بالخاذل المدعو ضد فعاله * بالناصر المتناقض الايناس
كم نعمة لله كانت عنده * فكانها في غربة وتناسى
مازال سر الشر بين ضلوعه * كالنار أو صحبته للارماسى
كم سن سيئة عليه اثامها * حتى القيمة ماله من آسى
مكرا بني أركانه لكنها * للغدر قد بنيت بغير أساسى
كل امرء ينسى ويذكر تارة * لكنه للشر ليس بناسى

أمـلي له رب الورى حتى اذا * أحسده لم يفلته مر الكاس
واذالنا منـه المليـك بمالك * أيامـه صـدرت بغير قيـاس
فاستبشرت أم القرى والارض من * شرق وغرب كالعذيب وفاس
آيات جحد لايحاول جحدها * في الناس غير الجاهل الخناس
ومناقب العباس لم تجمع سوى * لحفيـده ملك الورى العباسى
لا تنكروا للمستعين رياسـة * في الملك من بعد الجحود النامي
فبنو أميـة قد أتي من بعدهم * في سالف الدنيا بنو العباس
وأتي أشج بني اميـة ناشرا * للعدل من بعد المبير الخاسى
مولاي عبدك قد اتى لك راجيا * منك القبول فلا ترى من باس
لولا المهابة طولت امـداحه * لكنهـا جاءته بالقسـطاس
فأدام رب الناس عزك دائماً * بالحـق محروساً برب الناس
وبقيت تستمع المديح لخادم * لولاك كان من الهموم يقاسى
عبد صفا ودا وزمزم حاديا * وسعى على العينين قبل الراس
امداحه فى آل بيت محمـد * بين الورى مسكية الانفاس

ولما دخل الخليفة القاهرة شقها والامراء بين يديه فاستمر الى القلعة فنزل بها ونزل شيخ الاصطبل بباب السلسلة ثم في ثامن ربيع الآخر صعد شيخ والامراء الى القصر وجلس الخليفة على تخت الملك فخلع على شيخ خلعة عظيمة بطراز لم يعهد مثلها وفوض اليه امر المملكة بالديار المصرية في جميع الامور وكتب له ان يولي ويعزل من غير مراجعة واشهد عليه بذلك ولقب نظام الملك فكانت الامراء اذا فرغوا من الخدمة بالقصر نزلوا في خدمة شيخ الى الاصطبل فاعيدت الخدمة عنده ويقع عنـده الابرام والنقض ثم يتوجه دواداره الى المستعين فيعلم على المناشير والتواقيع ثم انه يقدم اليه بان لايمكن الخليفة من كتابة العلامة الا بعد عرضها عليه فاستوحش الخليفة عليه وضاق صدره وكثر قلقـه فلما كان في شعبان سأل شيخ الخليفة ان يفوض اليه السلطنة على العادة فأجاب بشرط ان ينزل من القلعة الى بيته فلم يوافقه شيخ على النزول بل استنظره اياما ثم انه نقل المستعين من القصر الى دار من دور القلعة ومعه اهله ووكل به من يمنعه الاجتماع بالناس فبلغ ذلك نوروز فجمع القضاة والعلماء في سابع ذى القعدة واستفتاهم عما صنعه شيخ بالخليفة فأفتوه بعدم جواز ذلك فاجمع على قتال شيخ واستمر المستعين في القلعة الى ذي الحجة سنه ست عشرة وهو باق على الخلافة فلما عزم شيخ الى الشام خشى من غائلته وأراد خلعه فراجع البقلينى في ذلك وكان في نفسه من المستعين شيء

لكونه عزله فرتب له دعوى شرعية وحكم بخلعه من الخلافة وبايع بالخلافة أخاه أبا الفتح داود ولقب المعتضد بالله وسير المستعين الى الاسكندرية فأقام بها الى ان مات شهيداً بالطاعون في جمادى الآخر سنة ثلاث وثلاثين واستقرت الخلافة باسم المعتضد وكان من سروات الخلفاء نبيلا ذكيا فاضلا يجالسه العلماء والفضلاء ويستفيد منهم ويشاركهم فيما هم فيه جواداً سمحاً وطالت مدته في الخلافة نحو ثلاثين سنة فلما حضرته الوفاة عهد بالخلافة الى شقيقه أبي الربيع سليمان ولقب المستكفي بالله وكان والدى خصيصاً به فكتب له العهد بيده وهذه صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أشهد على نفسه الشريفة حرسها الله وحماها وصانها من الاكدار ورعاها سيدنا ومولانا المواقف الشريفة الطاهرة الزكية الامامية الاعظمية العباسية النبوية المعتضدية أمير المؤمنين وابن عم سيد المرسلين ووارث الخلفاء الراشدين المعتضد بالله تعالى أبو الفتح داود أعز الله به الدين وأمتع ببقائه الاسلام والمسلمين انه عهد الى شقيقه المقر العالى المولوى الاصيلى العريقى الحسيبي النسيبي السلبى سيدى أبي الربيع سليمان المستكفي بالله عظم الله شأنه بالخلافة المعظمة وجعله خليفة بعده ونصبه اماماً على المسلمين عهداً شرعيا معتبراً مرضيا نصيحة للمسلمين ووفاء بما يجب عليه من مراعاة مصالح الموحدين واقتداء بسنة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين وذلك لما علم من دينه وخيره وعدالته وكفالته وأهليته واستحقاقه بحكم انه اختبر حاله وعلم طويته وانه الذى يدين الله به انه اتقى الله ممن رآه وانه لا يعلم صدر منه ما ينافي استحقاقه لذلك وانه ان ترك الامر هملا من غير تفويض للمشار اليه ادخل إذ ذاك المشقة على أهل الحل والعقد في اختيار من ينصبونه للامامة ويرتضونه لهذا الشان فبادر الى هذا العدل شفقة عليهم وقصد البراءة ذمتهم ووصول الامر الى من هو أهله لعلمه ان العهد كان غير محوج الى رضى سائر أهله ووجب على من سمعه وتحمل ذلك منه ان يعلم به ويأمر بطاعته عند الحاجة اليه ويدعو الناس الى الانقياد له فسجل ذلك على من حضره حسب اذنه الشريف وسطر عن أمره قبل ذلك سيد المستكفي أبو الربيع سليمان المسمى فيه عظم الله شأنه قبولا شرعيا ومات المعتضد يوم الاحد رابع ربيع الاولى سنة خمس وأربعين واستقر المستكفى وكان من صلحاء الخلفاء وعبادهم صالحا دينا عابدا كثير التعبد والصلاة والتلاوة كثير الصمت حسن السيرة وكان الظاهر جقمق يعتقده ويعرف له حقه وقام الى ان مات ليلة الجمعة سابع ذى الحجة سنة أربع وخمسين ولم يعهد بالخلافة لاحد وكان والدى خصيصا به جدا فلم يعش بعده الا أربعين يوما ومشى السلطان في جنازة المستكفى الى تربته وحمل نعشه بنفسه وبايع بعده بالخلافة أخاه أبا البقا حمزة ولقب القائم بأمر الله وكان سهماً صار

ماأقام لهة الخلافة قليلا ثم ان الجند خرجوا على الاشرف اينال فقام معهم وحدثته نفسه بطلب الملك فانهزم الجند ولم يحصل من يدهم شيء فغضب عليه الاشرف وطلبه الى القلعة وعاتبه في ذلك فحكى ان الخليفة قال خلعت نفسي وعزلتك وكان غلطة منه فقال شيخنا قاضي القضاة علم الدين البلقيني وكان حريصاً على جر الخلافة الى أخي الخليفة يوسف لكونه زوج ابنته فقال قد بدا بخلع نفسه فانخلع وثني بخلع السلطان وهو غير خليفة فلم ينفذ عزله وحكم بصحة خلعه وذلك في جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين وبايع أخاه أبا المحاسن يوسف ولقب المستنجد بالله وسير القائم الي الاسكندرية الي ان مات بها سنة ثلاث وستين ودفن عند شقيقة المستعين ومن الاتفاق الغريب أنهما شقيقان كل منهما رام السلطنة وكل منهما خلع وسكن الاسكندرية ودفنا معا وحكم بخلعهما قاضيان اخوان ذلك خلعه الجلال البلقيني وهذا أخوه العلم البلقيني واستمر المستنجد في الخلافة ساكناً بمنزل اخوته الى ان توفي الظاهر خشقدم فدعاه الى ان يسكن عنده في القلعة واستمر ساكنا بها الى ان مات يوم السبت رابع عشرى المحرم سنة أربع وثمانين وثمانمائة وعهد بالخلافة الى ابن أخيه سيدى عبد العزيز أبي العز يعقوب بن المتوكل على الله فلما كان يوم الاثنين سادس عشرى المحرم طلع الى القلعة وحضر القضاة والاعيان فأمضوا عهد عمه ولبس تشريف الخلافة ونزل الى داره والقضاة والاعيان بين يديه وكان يوما مشهودا وكان أراد أن يتلقب بالمستمز بالله ثم وقع التردد بينه وبين المستعين أو المتوكل واستقر الحال على ان لقب المتوكل على الله وهو الآن عين بني العباس وشامتهم لم يزل مشارا اليه محبوبا في صدور الناس وله اشتغال على والدى وغيره من المشايخ وأجاز له باستدعائى جماعة من المسندين وقد خرجت له عنهم جزأ حدث به والفت برسمه كتاب الاساس في فضل بني العباس وكتاب رفع الباس عن بني العباس أبقاه الله بقاء جميلا وأدامه على رياع المسلمين ظلا ظليلا وتعفف عن أخذما يحصل من مشهد السيدة نفيسه من النذور من شمع وزيت وغيرها وصرفه الى مصالح المكان من عمارة وغيرها وكان الخلفاء قبله يأخذون لانفسهم غالبه والباقي يفرقونه على من شاؤا من الزامهم فرفع ذلك من أصله

( فصل ) قال ابن فضل الله في المسالك ان قاعدة الخلافة أول ما كانت المدينة شرفها الله مدة أبي بكر وعمر وعثمان فلما انتهت الخلافة الي على انتقل من المدينة الي الكوفة واتخذها قاعدة خلافته وربما استوطن البصرة وجاء ابنه الحسن والكوفة قاعدة خلافته على ما كان عليه أبوه فلما ولى معاوية انتقلت قاعدة الخلافة الى دمشق واستقرت قاعدة لبني أمية وان كان هشام قد سكن الرصافة وعمر بن عبد العزيز خناصره فانهما

لم يكونا قاعدتي خلافة لانهما سكناهما غير مفارقين لدمشق بل هي القاعدة والمعتمدة بأنها مستقر الخلافة ولم تزل كذلك الى آخر الدولة الاموية فلما ملك السفاح سكن الانبار فلما ولى المنصور بني الهاشمية وسكنها ثم بغداد فصارت قاعدة الخلافة له ولبنيه الي المعتصم فبني سر من رأى فانتقلت قاعدة الخلافة اليها ثم بني ابنه هرون الواثق الى جانبها الهارونية فانتقلت قاعدة الخلافة اليها ثم بنى أخوه جعفر المتوكل الى جانبها الجعفرية فانتقلت قاعدة الخلافة اليها ثم عادت قاعدة الخلافة الى بغداد في زمن المعتمد الى المستعصم الذى قتلته التتار فانتقلت قاعدة الخلافة الى مصر قال فانظر كيف تنقلت قواعد الخلافة من بلد الي بلد بتنقل الزمان وقد كانت بخارى قاعدة السلطنة زمن بني ساسان ثم صارت غزنة مكان محمود بن سبكتكين وبنيه ثم همدان زمان الدولة السلجوقية ثم خوارزم مكان الملوك الخوارزمية ثم دمشق زمان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ثم مصر من زمن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب والى اليوم واذا اعتبرت احوال البلاد تجد السعادة قد نظرت هذه مرة ثم تلك أخرى كما قال الشاعر

واذا نظرت الى البقاع رأيتها * تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

واعلم ان مصر من حين صارت دار الخلافة عظم أمرها وكثرت شعائر الاسلام فيها وعلت فيها السنة وعفت منها البدعة وصارت محل سكن العلماء ومحط رجال الفضلاء وهذا سر من أسرار الله أودعه في الخلافة النبوية حيث ما كان يكون معها الايمان والكتاب كما أخرج

هكذا وجد بياض باصله

دل هذا الحديث على ان الايمان والعلم يكونان مع الخلافة أينما كانت فكان أولا بالمدينة زمن الخلفاء الراشدين ثم انتقلا الى الشام زمن خلفاء بنى أمية ثم انتقلا الى بغداد زمن خلفاء بني العباس ثم انتقلا الى مصر حين سكنها خلفاء بنى العباس ولا يظن ان ذلك بسبب الملوك فقد كانت ملوك بني أيوب أجل قدراً وأعظم خطراً من ملوك جاءت بعدهم بكثير ولم تكن مصر في زمنهم كبغداد وفي أقطار الارض الآن من الملوك من هو أشد بأساً وأكثر جنداً من ملوك مصر كالعجم والعراق والروم والهند والمغرب وليس الدين قائماً ببلادهم كقيامه بمصر ولا شعائر للاسلام في أقطارهم ظاهرة كظهورها في مصر ولا نشرت السنة والحديث والعلم فيها كما في مصر بل البدع عندهم فاشية والفلسفة بينهم مشهورة والسنة والاحاديث دائرة والمعاصى والخمور واللواط متكاثره

## ذكر سلاطين مصر الذين فوض اليهم خلفاء مصر العباسيون

فاستبدوا بالامر دونهم أولهم الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس البندقداري ولما فوض اليه خليفة مصر لقبه قسيم أمير المؤمنين وهو أول من لقب بها وكان الملوك قديماً يكتب أحدهم من جهة الخليفة مولى أمير المؤمنين أى عتيقه ويكتب هو الى الخليفة خادم أمير المومنين فان زيد في تعظيمه لقب ولى أمير المؤمنين ثم صاحب أمير المؤمنين ثم خليل أمير المؤمنين وهو أعلى ما لقب به ملوك بني أيوب فلقب الظاهر هذا قسيم أمير المؤمنين وهو أجل من تلك الالقاب وكان في الظاهر محاسن وغيرها وظلم أهل الشأم غير مرة وأفتاه جماعة بموافقة هواه فقام الشيخ محيي الدين النووي في وجهه وأنكر عليه وقال أفتوك بالباطل وكان بمصر منقمعاً تحت كلمة الشيخ عز الدين بن عبد السلام لا يستطيع أن يخرج عن أمره حتي انه قال لما مات الشيخ ما استقر ملكى الا الآن ومن محاسنه ما حكاه ابن كثير في تاريخه انه حضر في يوم الثلاثاء تاسع رجب سنة ستين الى دار العدل في محاكمة فى بئر بين يدى القاضى تاج الدين بن بنت الاعز فقام الناس سوي القاضي فانه أشار اليه أن لا يقوم فقام هو وغريمه بين يدي القاضى وتداعيا وكان الحق بيد السلطان وله بينة عادلة به فانتزعت البئر من يد الغريم وهو أحد الامراء والظاهر هو الذي أكمل عمارة المسجد النبوي من الحريق وكان الخليفة المستعصم شرع فيه بعد أن احترق فقتل قبل أن يتم فجهز الظاهر في رمضان سنة احدي وستين صناعا وأخشابا وآلات وطيف بها بالديار المصرية فرحة بها وتعظيما لشأنها ثم ساروا بها الي المدينة الشريفة وارسل منبرا فنصب هناك وحج في سنة سبع وستين فغسل الكعبة بيده بماء الورد وزار المدينة الشريفة فرأي الناس يلتصقون بالقبر النبوي فقاس ماحوله بيده وأرسل في العام الذي يليه دارابزيا من خشب فأدير حول القبر الشريف وللظاهر فتوحات كثيرة وملك الروم وجلس بقيسارية على تخت آل سلجوق ولبس التاج وضرب باسمه الدينار والدرهم وهو الذي جعل القضاة اربعة من كل مذهب قاض ولم يعهد ذلك قبله في ملة الاسلام وهو الذي جدد صلاة الجمعة بالجامع الازهر وبجامع الحاكم وكانا مهجورين من زمن العبيديين فأساء في ذلك كل الاساءة كما سنبينه بعد هذا وامر في ايامه باراقة الخمور وابطال المفسدات والخواطئ واسقاط المكوس المرتبة عليها فأحسن فى ذلك كل الاحسان وفى ايامه طيف بالمحمل وبكسوة الكعبة المشرفة بالقاهرة وذلك فى سنة خمس وسبعين وكان يوما مشهودا وهو اول من فعل ذلك بالديار المصرية وكان له صدقات كثيرة من ذلك كل سنة عشرة آلاف اردب قمح للفقراء والمساكين وارباب الزوايا وكان يخرج كل سنة جملة مستكثرة يستفك

بها من حبس القاضي من المفلسين وكان يرتب في اول رمضان مطابخ لانواع الاطعمة برسم الفقراء والمساكين ووقف وقفاً على تكفين اموات الغرباء واجري على اهل الحرمين وطرق الحجاز ما كان انقطع في ايام غيره من الملوك وله انواع من المعروف واوقاف البر نقلت من خط شيخنا الامام تقي الدين الشمني قال نقلت من خط الشيخ كمال الدين الدميري نقل من خط الشيخ جمال الدين بن هشام قال من غريب ما رأيت على كراريس من تسهيل الفوائد بخط الشيخ جمال الدين بن مالك في اواخرها صورة قصة رفعها الفقير الي رحمة ربه محمد بن مالك يقبل الارض وينهي الي السلطان ايد الله جنوده وابد سعوده انه اعرف اهل زمانه بعلوم القراآت والنحو واللغة وفنون الادب وأمله ان يعينه نفوداً من سيد السلاطين ومبيد الشياطين خلد الله ملكه وجعل المشارق والمغارب ملكه على ماهو بصدده من افادة المستفيدين وافادة المسترشدين بصدقة تكفيه هم عياله وتغنيه عن التسبب في صلاح حاله فقد كان في الدولة الناصرية عناية يتيسر بها الكفاية مع ان الدولة من الدولة الظاهرية كجدول من البحر المحيط والخلاصة من الوسيط والبسيط وقد نفع الله بهذه الدولة الظاهرية الناصرية خصوصاً وعموماً وكشف بها عن الناس أجمعين غموماً ولم بها من شعث الدين مالم يكن ملموما فمن العجائب كون المملوك من مرتد خيراتها وعن يمين عنايتها غائباً محروما مع انه من ألزم المخلصين للدعاء بدوامها وأقوم الموالين بمراعات زمامها لا برحت أنوارها زاهرة وسيوف أنصارها قاهرة ظاهرة وأياديها مبذولة موفورة وأعاديها مخذولة مقهورة بمحمد وآله وكان الشيخ محيي الدين النووي يكثر المكاتبات اليه ويعظه في أمور المسلمين قال الشيخ علاء الدين بن العطار كتب الشيخ محيي الدين ورقه الي الظاهر بيبرس تتضمن العدل في الرعية وازالة المكوس وكتب فيها معه جماعة ووضعها في ورقة كتبها الى الامير بدر الدين بيلبك الخزندار بايصال ورقة العلماء الى السلطان وصورتها بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله يحيي النووي سلام الله تعالى ورحمته وبركاته على المولى المحسن ملك الامراء بدر الدين أدام الله الكريم له الخيرات وتولاه بالحسنات وبلغه من أقصى الآخرة والاولى كل آماله وبارك له في جميع أحواله آمين وينهي الى العلوم الشريفة ان اهل الشام في هذه السنة في ضيق عيش وضعف حال بسبب قلة الامطار وغلاء الاسعار وقلة الغلات والنبات وهلاك المواشي وغير ذلك وأنتم تعلمون انه تجب الشفقة على الرعية ونصيحته في مصلحته ومصلحتهم فان الدين النصيحة وقد كتب خدمة الشرع الناصحون للسلطان المحبوبون له كتابا يذكره النظر في أحوال رعيته والرفق بهم وليس فيه ضرر بل هو نصيحة محضة وشفقة وذكري لاؤلى الالباب والمسؤل من

الامير أيده الله تعالي تقديمه الي السلطان أدام الله له الخيرات ويتكلم عنده من الاشارة بالرفق بالرعية بما يجده مدخراً له عند الله تعالي يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امداً بعيداً ويحذركم الله نفسه وهذا الكتاب ارسله العلماء امانة ونصيحة للسلطان أعز الله انصاره ويجب عليكم ايصاله السلطان أعز الله انصاره وأنتم مسؤلون عن هذه الامانة ولا عذر لكم في التأخر عنها ولا حجة لكم في التقصير عنها عند الله تعالي وتسئلون عنها يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون يوم يفر المرء من أخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه وأنتم بحمد الله تحبون الخير وتحرصون عليه وتسارعون اليه وهذا من اهم الخيرات وأفضل الطاعات وقد اهلتم له وساقه الله اليكم وهو فضل من الله ونحن خائفون ان يزداد الامر شدة ان لم يحصل النظر في الرفق بهم قال الله تعالي ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقال الله تعالي وما تفعلوا من خير فان الله به عليم والجماعة الكاتبون منتظرون ثمرة هذا فاذا فعلتم هذا فأجركم علي الله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته فلما وصلت الورقتان اليه أوقف عليهما السلطان فرد جوابهما رداً عنيفاً مؤلماً فتكدرت خواطر الجماعة الكاتبين فكتب رضي الله عنه جوابا لذلك الجواب وهذه صورته بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آل محمد من عبد الله يحيي النووي ينهى ان خدمة الشرع كانوا كتبوا ما بلغ السلطان أعز الله أنصاره فجاء الجواب بالانكار والتوبيخ والتهديد وفهمنا منه ان الجهاد ذكر في الجواب على خلاف حكم الشرع وقد أوجب الله أيضاً الكلام عند الحكام عند الحاجة اليه فقال تعالي واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فوجب علينا حينئذ بيانه وحرم علينا السكوت وقال تعالي ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم وذكر في الجواب ان الجهاد ليس مختصاً بالاجناد وهذا أمر لم ندعه وكان الجهاد فرض كفاية فاذا قرر السلطان له أجنادا مخصوصين ولهم أخبار معلومة من بيت المال كما هو الواقع تفرغ باقي الرعية لمصالحهم ومصالح السلطان والاجناد وغيرهم من الزراعة والصنائع وغيرها مما يحتاج الناس كلهم اليه فجهاد الاجناد مقابل بالاخباز المقررة لهم ولا يحل ان يؤخذ من الرعية شئ مادام في بيت المال شئ من نقد أو متاع أو أرض أو ضياع تباع أو غير ذلك وهؤلاء علماء المسلمين في بلاد السلطان أعز الله أنصاره متفقون على هذا وبيت المال بحمد الله معمور زاده الله عمارة وسعة وخيرا وبركة في حياة السلطان المقرونة بكمال السعادة والتوفيق والتسديد والظهور

على أعداء الدين وما النصر الا من عند الله وانما يستعان في الجهاد وغيره بالافتقار الى الله تعالى واتباع آثار النبي صلى الله عليه وسلم وملازمه أحكام الشرع وجميع ما كتبناه أولا وثانياً هو النصيحة التي تعتدها وندين الله بها ونسأل الله الدوام عليها حتى نلقاه السلطان يعلم انها نصيحة له وللرعية وليس فيها مايلام عليه ولم نكتب هذا للسلطان الا لعلمنا انه يحب الشرع ومتابعة أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في الرفق بالرعية والشفقة عليهم واكرامه لآثار النبي صلى الله عليه وسلم وكل ناصح للسلطان موافق على هذا الذى كتبناه وأما ماذكر في الجواب من كوننا لم ننكر على الكفار كيف كانوا في البلاد فكيف يقاس ملوك الاسلام وأهل الايمان والقرآن بطغاة الكفار وبأي شيء كنا نذكر طغاة الكفار وهم لا يعتقدون شيئاً من ديننا وأما تهديد الرعية بسبب نصيحتنا وتهديد طائفة العلماء فليس هو المرجو من عدل السلطان وحلمه وأى حيلة لضعفاء المسلمين الناصحين نصيحة للسلطان ولهم ولا علم لهم به وكيف يؤاخذون به لو كان فيه مايلام عليه وأما أنا في نفسى فلا يضرني التهديد ولا أكثر منه ولا يمنعنى ذلك من نصيحة السلطان فاني أعتقد ان هذا واجب على وعلى غيرى وما ترتب على الواجب فهو خير وزيادة عند الله تعالى انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نقول الحق حيث ما كنا وان لانخاف في الله لومة لائم ونحن نحب السلطان في كل الاحوال وما ينفعه في آخرته ودنياه ويكون سببا لدوام الخيرات له ويبقي ذكره على ممر الايام ويخلد به في الجنة ويجد نفسه يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وأما ماذكر من تمهيد السلطان البلاد وادامته الجهاد وفتوح الحصون وقهر الاعداء فهذا بحمد الله من الامور الشائعة التي اشترك في العلم بها الخاصة والعامة وطارت في أقطار الارض فلله الحمد وثواب ذلك مدخر للسلطان الى يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا ولا حجة لنا عند الله تعالى اذا تركنا هذه النصيحة الواجبة علينا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وكتب الى الملك الظاهر لما احتيط على املاك دمشق بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى وذكر فان الذكر تنفع المؤمنين وقال الله تعالى واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتو الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان وقد اوجب الله على المكلفين نصيحة السلطان اعز الله أنصاره ونصيحة عامة المسلمين ففى الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الدين النصيحة لله وكتابه وأئمة المسلمين وعامتهم ومن نصيحة السلطان وفقه الله تعالى لطاعته واولاه كرامته ان ننهي اليه الاحكام اذا جرت على خلاف قواعد الاسلام وأوجب الله تعالى الشفقه على

الرعية والاهتمام بالضعفة وازالة الضرر عنهم قال الله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين وفى الحديث الصحيح انما تنصرون وترزقون بضعفائكم وقال صلى الله عليه وسلم من كشف عن مسلم كربة من كرب الدنيا كشف الله عنه كربة من كرب يوم القيامة والله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه وقال صلى الله عليه وسلم من ولى من امر أمتى شيئاً فرفق بهم فارفق اللهم به ومن شق عليهم فأشقق اللهم عليه وقال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته وقال صلى الله عليه وسلم ان المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن الذين يعدلون في حكمهم وأهلهم وماولوا وقد أنعم الله علينا وعلى سائر المسلمين بالسلطان أعز الله أنصاره فقد أقامه لنصرة الدين والذب عن المسلمين وأذل له الاعداء من جميع الطوائف وفتح عليه الفتوحات المشهورة في المدة اليسيرة وأوقع الرعب منه في قلوب أعداء الدين وسائر المارين ومهد له البلاد والعباد وقمع بسيفه أهل الزيغ والفساد وأمده بالاعانة واللطف والسداد فلله الحمد على هذه النعم المتظاهرة والخيرات المتكاثرة ونسأل الله الكريم دوامها لنا وللمسلمين وزيادتها في خير وعافية آمين وقد أوجب الله شكر نعمه ووعد الزيادة للشاكرين فقال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وقد لحق المسلمين بسبب هذه الحوطة على املاكهم أنواع من الضرر لايمكن التعبير عنها وطلب منهم اثبات مالا يلزمهم فهذه الحوطة لاتحل عند أحد من علماء المسلمين بل من في يده شيء فهو ملكه لايحل الاعتراض عليه ولا يكلف باثبات وقد اشتهر من سيرة السلطان أنه يحب العمل بالشرع فيوصى نوابه فهو أولى من عمل به والمسؤل اطلاق الناس من هذه الحوطة والافراج عن جميعهم فاطلقهم أطلقك الله من مكروه فهم ضعفة وفيهم الايتام والارامل والمساكين والضعفة والصالحون وبهم تنصرون تغاثون وترزقون وهم سكان الشام المبارك جيران الانبياء صلاة الله وسلامه عليهم وسكان ديارهم فلهم حرمات من جهات ولو رأى السلطان مايلحق الناس من الشدائد لاشتد حزنه عليهم وأطلقهم في الحال ولم يؤخرهم ولكن لاتنهي اليه الامور على جهتها فبالله أغث المسلمين يغثك الله وأرفق يرفق الله بك وعجل لهم الافراج قبل وقوع الامطار وتلف غلاتهم فان أكثرهم ورثوا هذه الاملاك عن أسلافهم ولا يمكنهم تحصيل كتب شرا وقد نهبت كتبهم واذا رفق السلطان بهم حصل له دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن رفق بأمته ونصره على أعدائه فقد قال الله تعالى أن تنصروا الله ينصركم ويتوفر له من رعيته الدعوات وتظهر في مملكته البركات ويبارك له في جميع مايقصده من الخيرات وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة ونسأل الله الكريم أن يوفق السلطان

للسنن الحسنة التي يذكر بها الى يوم القيامة ويحميه من السنن السيئة فهذه نصيحتنا الواجبة علينا للسلطان ونرجوا من فضل الله تعالي أن يلهمه فيها القبول والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وكتب اليه لما رسم بأن الفقيه لايكون منزلا في أكثر من مدرسة واحدة ( بسم الله الرحمن الرحيم ) خدمة الشرع ينهون أن الله تعالى أمر بالتعاون على البر والتقوى ونصيحة ولاة الامور وعامة المسلمين وأخذ على العلماء العهد وتبليغ أحكام الدين ومناصحة المسلمين وحث على تعظيم حرماته واعظام شعائر الدين واكرام العلماء وأتباعهم وقد بلغ الفقهاء انه رسم في حقهم بأن يغيروا عن وظائفهم ويقطعوا عن بعض مدارسهم فتنكدت بذلك أحوالهم وتضرروا بهذا التضييق عليهم وهم محتاجون ولهم عيال وفيهم الصالحون والمشتغلون بالعلوم وان كان فيهم طائفة لايلحقون مراتب غيرهم فهم منتسبون الى العلم ويشاركون فيه ولا يخفى مراتب أهل العلم وثناء الله تعالى عليهم وبيانه مزيتهم على غيرهم وانهم ورثة الانبياء صلوات الله عليهم فان الملائكة عليهم السلام تضع أجنحتها لهم ويستغفر لهم كل شئ حتي الحوت في الماء واللائق بالجناب العالى اكرام هذه الطائفة والاحسان اليهم ومعاضدتهم ورفع المكروهات عنهم والنظر بما فيه من الرفق بهم فقد ثبت في صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اللهم من ولي من أمراء أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به وروى أبو عيسى الترمذى باسناده عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه انه كان يقول لطلبة العلم مرحباً بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان رجالا يأتونكم يتفقهون فاستوصوا بهم خيرا والمسؤول أن لايغير على هذه الطائفة شئ ويستجلب دعوتهم لهذه الدولة القاهرة وقد ثبت في صحيح البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل تنصرون وترزقون الا بضعفائكم وقد أحاطت العلوم بما أجاب به الوزير نظام الملك حين أنكر عليه السلطان صرفه الاموال الكثيرة في جهة طلب العلم فقال أقمت لك جندا لاترد سهامهم بالاسحار فاستصوب فعله وساعده عليه والله الكريم يوفق الجناب دائماً لمرضاته والمسارعة الي طاعته والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وقال بعضهم لما خرج الظاهر بيبرس الي قتال التتار بالشام أخذ فتاوى العلماء بأنه يجوز له أخذ مال من الرعية ليستنصر به على قتال العدو فكتب له فقهاء الشام بذلك فقال هل بقي أحد فقيل نعم بقى الشيخ محي الدين النووي فطلبه فحضر فقال اكتب خطك مع الفقهاء فامتنع فقال ماسبب امتناعك فقال أنا أعرف انك كنت في الرق للامير بندقدار وليس لك مال ثم من الله عليك وجعلك ملكا وسمعت أن عندك ألف مملوك كل مملوك له حياصة من ذهب وعندك مائتا جارية لكل جارية حق من الحلي

فاذا أنفقت ذلك كله وبقيت مماليكك بالبنود الصوف بدلا عن الحوائص وبقيت الجوار بثيابهن دون الحلى أفتيتك بأخذ المال من الرعية فغضب الظاهر من كلامه وقال اخرج من بلدي يعني دمشق فقال السمع والطاعة وخرج الى نوى فقال الفقهاء ان هذا من كبار علمائنا وصلحائنا وممن يقتدى به فأعده الى دمشق فرسم برجوعه فامتنع الشيخ وقال لا أدخلها والظاهر بها فمات الظاهر بعد شهر قال الذهبي كان الظاهر خليقا للملك لولا ماكان فيه من الظلم قال والله يرحمه ويغفر له فان له أياما بيضاء في الاسلام ومواقف مشهودة وفتوحات معدودة واستمر الملك الظاهر الى أن مات يوم الخميس سابع عشرى المحرم سنة ست وسبعين وستمائة بدمشق وقام بعده في الملك ولده الملك السعيد ناصر الدين أبو المعالى محمد وسنه ثمان عشرة سنة وكان أبوه عقد له في حياته ولقبه هذا اللقب واستنابه على مصر أيام سفره فاستقل بالسلطنة من يوم موته واستمر الى سنة ثمان وسبعين فاختلف عليه الامراء وقاتلوه فخلع نفسه من السلطنة وأشهد على نفسه بذلك وذلك في يوم سابع عشر ربيع الآخر وأقيم مكانه أخوه بدر الدين شلامش ولقب الملك العادل وعمره سبع سنين وجعل أتابكه الامير سيف الدين قلاوون الصالحى الالفى سمي بذلك لانه اشترى بألف دينار وضربت السكة باسمه على وجه وباسم أتابكه على وجه ودعي لهما معا في الخطبة فأقام الى يوم الثلاثاء حادى عشر شهر رجب من هذه السنة فاجتمع الامراء بالقلعة وخلعوا العادل قال صاحب السكردان وهو السادس من دولة الاتراك فان أولهم المعز ايبك وكل سادس من الخلفاء والملوك لابد انه يخلع وأقاموا بعده قلاوون الصالحى ففوض اليه الخليفة ولقب الملك المنصور وكتب له تقليد هذه صورته من انشاء القاضى محيي الدين عبد الظاهر الحمد لله الذى جعل آية السيف ناسخة لكثير من الآيات وناسخة لعقود أولي الشك والشبهات الذى رفع بعض الخلق على بعض درجات وأهل لامور البلاد والعباد من جاءت خوارق تملكه بالذى ان لم يكن من المعجزات فمن الكرامات ثم الحمد لله الذى جعل الخلافة العباسية بعد القطوب حسنة الابتسام وبعد الشجوب جميلة الاتسام وبعد التشريد لها دار سلام أعظم من دار السلام والحمد لله على ان أشهدها مصارع أعدائها وأحمد لها عواقب اعادة نصرتها وابدائها ورد شبيتها بعد ان ظن كل أحد ان شعارها الاسود مابقى منه الا ماأصابته العيون في جفونها والقلوب في سويدائها ونشهد ان لا له الا الله وحده لاشريك له شهادة يتلذذ بذكرها اللسان وتتعطر بنفحاتها الافواه والآذان وتتلقاها ملائكة القبول فترفعها الى أعلى مكان ونشهد ان محمداً عبده ورسوله الذى أكرمنا به وشرف لنا الانساب وأعزنا به حتي نزل فينا محكم الكتاب صلى الله عليه وعلى آله الذين انجاب الدين منهم عن انجاب ورضى الله عن صحابته الذين هم أعز صحاب

صلاة توفي قائلها أجره بغير حساب يوم الحساب وبعد حمد الله على ان أحمد عواقب الامور وأظهر الاسلام سلطانا اشتدت به من الامة الظهور وشفيت الصدور وأقام الخلافة العباسية في هذا الزمن المنصور كما أقامها فيما مضى بالمنصور واختار لاعلان دعوتها من يحيي معالمها بعد العفاء ورسومها بعد الدثور وجمع لها الآن ما كان جمع عليها فيما قبل من خلاف كل ناجم ومنحها ما كانت تبشرها به الملاحم وأنفذ كلمتها في ممالك الدولة العلوية بخير سيف مشحوذ ماضي الغرائم وما زج بين طاعتهما في القلوب وذكرهما في اللسان وكيف لا والمنصور هو الحاكم وأخرج لحياطة الامة المحمدية ملكا تنقسم البركات من يمينه وتقسم السعادات بنور جبينه ويقهر الاعداء بفتكاته وتمهر عقائل المعاقل بصفر راياته ذى السعد الذي مازال سعده يشف حتى ظهر ومفخره يرف الى ان بهر وجوهره ينتقل من جيد الى جيد حتى يملأ الجبين وسره يكمن في كل قلب حتى علم العلم اليقين والحمد لله الذى جعل بنا تمكينه في الارض بعد حين فاختاره الله على علم واصطفاه من بين عباده بما جبله الله عليه من كرم وشجاعة وحلم وأتي الله به الامة المحمدية في وقت الاحتياج غوثا وفي أبان الاستمطار غيثاً وفي حين عبث الاشبال في غير وقت الافتراش ليثا فوجب على كل من له فى أعناق المحمدية بيعة الرضوان وعند ايمانهم مصافحة الايمان ومن حيث وجبت البيعة باستحقاقه لميراث منصب النبوة ومن تصح به كل رسمية شرعية يؤخذ لنا بها قوة ومن هو خليفة الزمان والعصر ومن بدعواته تنزل عليكم معاشر كماة المسلمين ملائكة النصر ومن نسبه بنسب نبيكم صلى الله عليه وسلم منتسج وحسبه بحسبه ممتزج ان يفوض له مافوض الله اليه من أمر الخلق ليقوم عنه بفرض الجهاد والعمل بالحق وان يوليه ولاية شرعية تصح بها الاحكام وتنضبط أمور الاسلام وتأتي هذه العصبة الاسلامية يوم تأتى كل أمة بامامها من طاعة خليفتها بخير امام وخرج أمر مولانا أمير المؤمنين شرفه الله ان يكون المقر العالى المولوى السلطاني الملكى المنصورى أجله الله ونصره وأظفره وأقدره وأيده وأبده كلما فوضه مولانا أمير المؤمنين من حكم في الوجود وفي البهائم والنجود وفى الجيوش والجنود وفي الخزائن والمدائن وفي الظواهر والبواطن وفيما فتحه الله وفيما سيفتحه وفيما فسد بالكفر والرجاء من الله انه سيصلحه وفي كل جود ومن وكل عطاء وفي كل هبة وتمليك وفي كل تفرد بالنظر في أمور المسلمين بغير شريك وفي كل تعاهد ونبذ وفي كل عطاء وأخذ وفي كل عزل وتولية وفي كل تسليم وتخلية وفى كل ارفاق وانفاق وفي كل وانعام واطلاق وفي كل استرقاق واعتاق وفي كل تقليل وتكثير وفى كل تأثيل وتأثير وفى كل تقليد وتفويض وفي كل تجديد وتعويض وفي كل حمد وتقريض ولاية تامة محكمة منضدة منظمة لا يعقبها نسخ من خلفها ولا من بين يديها ولا يعتريها

فسخ يطرأ عليها يزيدها مر الليالي جـدة يعقبها حسن شـباب ولا ينتهى عن الاعوام والاحقاب ونعم تنتهى الى مانصبه الله تعالى للارشاد ومن سنة وكتاب وذلك من شرع الله أقامه للهداية علماً وجعله الى اختيار الثواب سلما فالواجب ان يعـمل بجزئيات أمره وكلياته وان لايخرج أحد عن مقدماته والعدل فهو الغرس المثمر والسحاب الممطر والروض المزهر وبه تنزل البركات وتخلف الهبات وتربو الصدقات وبه عمارة الارض وبه تؤدى السنة والفرض فمن زرع العدل اجتنى الخير ومن أحسن كفى الضرر والضير والظلم فعاقبتـه وخيمة وما يطول عمر الملك الا بالمعدلة الرحيمة والرعية هم الوديعة عنـد أولى الامر فلا يختص منهم زيد دون عمرو والاموال فهي ذخائر العاقبة والمآل فالواجب ان تؤخذ بحقها وتنفق في مستحقها والجهاد بوراً وبحراً فمن كنانة الله يوفق سهامه وتؤرخ أيامه وينتضى حسامه وتجرى منشأته في البحر كالاعلام وتنشر أعلامه وفي عقر دار الحرب يحط ركابه وتخط كتابه وترسل ارسانه وتجوس خلالها فرسانه فيلزم منه ديناً ديدنا ويستصحب منه فعلا حسناً وجيوش الاسلام وأمراءه وحماته فمنهم من قدعلمت قدم هجرته وعظم نصرته وشدة بأسه وقوة مراسه وما منهم الا من شهد الفتوحات والحروب وأحسن في المحامات عن الدين الدؤب وهم بقايا الدول وسجايا الملوك الاول ولا سيما أولى السعي الناجح والرأى الراجح ومن له نسبة صالحية فاذا فخروا بها قيـل لهم نعم السلف الصالح فأوسعهم براً وكن بهم براً فأنت بما يجب من خدمتك اعلم وأنت بما يجب من حقهم أدرى والحصون والثغور فهم ذخائر الشـدة وخزائن العديد والعدة ومقاعـد القتال وكنائن الرجا والرجال فاحسن لها التحصين وفوض أمرها الى كل قوي أمين والى كل ذى دين متين والي كل ذى عقل رضـين ونواب الممالك ونواب الامصار فأحسن لهم الاختيار وأجمل لهم الاختبار وتفقد لهـم الاخبار وأما ماسوى ذلك فهو داخل في حدود هذه الوصايا ولولا ان الله تعـالى أمر بالتذكير لكان ذلك سجايا المقر الاشرف السلطاني الملكى المنصور مكتفية بأنواره المضيئة الساطعة وزمام كل صلاح يجب ان يشغل به جميع أوقاته هو تقوى الله تعالى قال الله تعالى ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته فليكن ذلك نصب العين وشغل القلب والشفتين وأعداء الدين من أرمن وتتار فأذقهم وبال أمرهم في كل ايراد العدو واصداد وترو لان تأخـذ للخلفاء العباسيين ولجميع المسلمين منهم بالثار واعـلم ان الله ينصرك على ظلمهم وما للظالمين من أنصار واما غـيرهم من مجاوريهم من المسلمين فأحسن لهم باستنقاذك من العلاج وطبهم باستصلاحك فبالطب المنصورى والملكى مازال يصلح المزاج والله الموفق بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى واستمر قلاوون في السلطنة فكانت له

مشاهد حسنة وفتوحات منها طرابلس وقد كانت في أيدي الفرنج من سنة ثلاث وخمسمائة والى الآن وهو الذي أحدث وظيفة كتابة السر وأحدث اللعب بالرمح أيام ادارة المحمل وكسوة الكعبة وغير ملابس الدولة عما كانوا عليه في دولة بنى أيوب قال الصلاح الصفدى كان الجند يلبسون فيما تقدم كلوتات صفر مضربة بكلبندات بغير شاشات وشعورهم مضفورة بابيق في اكياس حرير ملوّنة وفي خواصرهم موضع الحوائض بنود ملونة واكمام أقبيتهم ضيقة وأخفافهم برغالى ومن فوق قماشهم بحلق وابزيم وجلوازكبير يسع نصف ويبة أو أكثر فابطل المنصور ذلك كله بأحسن منه وأقام في السلطنة الى ان توفي يوم السبت سادس ذى القعدة سنة تسع وثمانين وأقيم بعده ولده الملك الاشرف صلاح الدين خليل فلما كان يوم الجمعة رابع عشر شوال سنة تسعين سأل الاشرف الخليفة الحاكم بأمر الله ان يخطب بنفسه الناس وأن يذكر في خطبته انه قد ولى السلطنة الاشرف خليل بن المنصور فلبس الخليفة خلعة سوداء وخطب الناس بجامع القلعة ورسم لقاضى القضاة بدر الدين بن جماعة من ثم أن يخطب بالقلعة عند السلطان فخطب يوم الجمعة التى خطب فيها الخليفة واستمر يخطب ويستنيب في الجامع الازهر ثم أمر الاشرف بقراءة ختمة عند قبر الملك المنصور في ليلة الاثنين رابع ذي القعدة فحضرها القضاة والامراء والاعيان ونزل السلطان ومعه الخليفة اليهم وقت السحر وخطب الخليفة بعد الختمة خطبة بليغة حرض الناس فيها على غزو بلاد العراق واستنقاذها من أيدي التتار واستمر الاشرف في السلطنة الى أن قتل بتروجة في ثالث المحرم سنة ثلاث وتسعين ونقل فدفن في مدرسته التي أنشأها بالقرب من السيدة نفيسه وقال ابن حبيب يرثيه

تبا لاقوام لمالك رقهم ... قتلوا وما رقوا لحالة مترف
وافوه غدراً ثم صالوا جملة ... بالمشرفى على المليك الاشرف

وأقيم أخوه ناصر الدين أبو الفتوح محمد ولقب الملك الناصر وعمره يومئذ تسع سنين واستمر الى حادى عشر المحرم سنة أربع وتسعين فخلع وتسلطن زين الدين كتبغاء المنصور من سبي التتار ولقب الملك العادل فأقام الى صفر سنة ست وتسعين فخلع وتسلطن حسام الدين لاجين المنصورى وشق القاهرة وعليه الخلعة الخليفية والامراء بين يديه مشاة وجاء في تلك السنة غيث عظيم بعد ما كان تأخر فقال الوداعي في ذلك

يا أيها العالم بشراكم ... بدولة المنصور رب الفخار
فالله قد بارك فيها لكم ... فامطر الليل وأضحى النهار

الى أن قتل ليلة الجمعة حادى عشر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين واعيد الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان منفياً بالكرك فاحضر وقلده الخليفة يوم السبت رابع جمادى الاولى

وشق القاهرة وعليه خلعة الخليفة والجيش مشاة بين يديه فأقام الى سنة ثمان وسبعمائة فخرج في رمضان قاصدا للحج فاجتاز بالكرك فأقام بها ثم كتب كتابا الى الديار المصرية يتضمن عزل نفسه عن المملكة فاثبت ذلك على القضاة بمصر ثم نفذ على قضاة الشام وأقيم فى السلطنة الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري وذلك يوم السبت الثالث والعشرين من شوال ولقب الملك المظفر وقلده الخليفة وألبسه الخلعة السوداء والعمامة المدورة وركب بذلك وشق القاهرة والدولة بين يديه والصاحب ضياء الدين النشائي حامل التقليد من جهة الخليفة في كيس أطلس اسود وأوله انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ثم نفذ التقليد الى الشام فقرئ هناك ثم عاد الملك الناصر من الكرك طالبا عوده الى ملكه وبايعه على ذلك جماعة من الامراء فبلغ ذلك المظفر بيبرس فاستدعي بالشيخ زين الدين بن المرحل وبالشيخ شمس الدين بن عدلان واستشارهما فاشارا عليه بتجديد العهد من الخليفة وتحليف الامراء ففعل ذلك وكتب له عهد من الخليفة صورته انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى الربيع سليمان العباسى لامراء المسلمين وجيوشها يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم واني رضيت لكم بعبد الله تعالى الملك المظفر ركن الدين بيبرس نائباً عني لملك الديار المصريه والبلاد الشاميه وأقمته مقام نفسى لدينه وكفايته وأهليته ورضيته للمؤمنين وعزلت من كان قبله بعد علمي بنزوله عن الملك ورأيت ذلك متعيناً علىّ وحكمت بذلك الحكام الاربع واعلموا رحمكم الله ان الملك عقيم ليس بالوراثة لاحد خالف عن سالف ولا كابر عن كابر وقد استخرت الله تعالى ووليت عليكم الملك المظفر فمن أطاعه فقد أطاعنى ومن عصاه فقد عصاني ومن عصاني فقد عصى أبا القاسم ابن عمى صلى الله عليه وسلم وبلغنى ان السلطان الملك الناصر ابن السلطان الملك المنصور شق لعصا على المسلمين وفرق كلمتهم وأطمع عدوهم فيهم وعرض البلاد الشامية والمصرية الى سبي الحريم والاولاد وسفك الدماء فتلك دماء قد صانها الله تعالى من ذلك وأنا خارج اليه ومحاربه ان استمر على ذلك وأدافع عن حريم المسلمين وأنفسهم وأولادهم بهذه الامراء والجيش العظيم وأقاتله حتي يفيء الى أمر الله وقد أوجبت عليكم يامعاشر المسلمين كافة الخروج تحت لوائي اللواء الشريف فقد اجمعت الحكام على وجوب دفعه وقتاله ان استمر على ذلك وأنا استصحب معى الملك المظفر فجهزوا أرواحكم والسلام وقرئ هذا العهد على منابر الجوامع بالقاهرة وأما الناصر فانه سار من الكرك بمن معه في أول شعبان سنة ثمان وسبعمائة فأتى دمشق فانتظم أمره ثم توجه الى مصر فلما بلغ ذلك المظفر بيبرس أخذ جميع مافى الخزائن من الاموال وتوجه الى جهة اسوان فدخل الناصر الى مصر يوم

عيد الفطر وصعد القلعة وجلس على سرير الملك وحلفت له العساكر ثم وجه الى المظفر من أحضره واعتقله ثم خنقه في خامس عشر شوال وقال العلاء الوداعي في عود الناصر الى ملكه

الملك الناصر قد أقبلت * دولته مشرقة الشمس
عاد الى كرسيه مثل ما * عاد سليمان الى الكرسى

وقال الصلاح الصفدى

تثني عطف مصر حين وافي * قدوم الناصر الملك الخبير
فذل الجنشكير بلا لقاء * وأمسي وهو ذو جاش نكير
اذا لم تعضد الاقدار شخصاً * فاول مايراع من النصير

وشرع يعاتب الناس في أمره فقال للخليفة هل أنا خارجي وبيبرس من سلالة بني العباس وقال للقاضى علاء الدين بن عبد الظاهر وكان هو الذي كتب عهد المظفر عن الخليفة ياأسود الوجه وقال للقاضي بدر الدين بن جماعة كيف تفتى المسلمين بقتالى فقال معاذ الله أن تكون الفتوى كذلك وانما الفتوى على مقتضى كلام المستفتي ثم عزله عن القضاء وعزل القاضيين شمس الدين السروجى الحنفى والحنبلي وأبقى المالكى لكونه كان وصياً عليه من جهة أبيه قلاوون وقال للشيخ صدر الدين بن المرحل كيف تقول في قصيدتك

مالصبي وما للملك يكفله * شان الصبي بغير الملك مألوف

فحلف ابن المرحل ماقال هذا وانما الاعداء زادوا هذا البيت في القصيدة والعفو من شيم الملوك فعفا عنه وجاء الشيخ شمس الدين بن عدلان يستأذن فقال الناصر للدوادار قل له أنت أفتيت انه خارجي وقتاله جائز مالك عندي دخول ولكن عرفه انه وابن المرحل يكفيهما ماقال الشار مساحي في حقهما وكان الاديب شهاب الدين أحمد بن عبد الدائم الشار مساحي الماجن قال

ولى المظفر لما فاته الظفر * وناصر الحق وافي وهو منتصر
وقد طوى الله من بين الورى فتنا * كادت على عصبة الاسلام تنتشر
فقل لبيبرس ان الدهر ألبسه * أثواب عارية في طولها قصر
لما تولى تولى الخير عن أمم * لم يحمدوا أمره فيها ولا شكروا
وكيف تمشي به الاحوال في زمن * لا النيل أوفي ولا وافاهم مطر
ومن يقوم ابن عدلان بنصرته * وابن المرحل قل لي كيف ينتصر

وكان النيل لم يوف سنة تولى المظفر وارتفع السعر (قلت) الكل مظلومون مع الناصر

فانهم أفتوا بالحق ولكن جبروت وظلم وعسف وشوكة وصبي وجهل فمن يخاطب الانسان واستمر الناصر في السلطنة بلا منازع فحج خفيفاً في سنة اثنتى عشرة من طريق الكرك وعاد الى دمشق ثم حج من القاهرة سنة تسع عشرة ومعه قاضى القضاة البدر بن جماعة والامراء وغالب أرباب الدولة وكان خروجه في سادس ذى القعدة وأبطل في هذه السنة مكوس الحرمين وعوض أميرى مكة والمدينة عنها اقطاعات بمصر والشام ومهد ما كان فى عقبة ايليا من الصخور ووسع طريقها واتفق في هذه السنة ان كريم الدين ناظر الخاص حضرا لباس الكعبة الكسوة فصعد الكعبة وجلس على العتبة يشرف على الخياطين فانكر الناس استعلاءه على الطائفين فسقط لوقته على رأسه وصرخ الناس صرخة عظيمة تعجباً من ظهور قدرة الله وانقطع ظهره ولو لا تداركه من تحته لهلك وعلم بذنبه فتصدق بمال جزيل ثم حج الناصر حجة ثالثة فى سنة اثنتين وثلاثين وهو الذي حفر الخليج الناصرى الداخل من قنطرة قديدار وعزم على ان يجرى النيل تحت القلعة ويشق له من ناحية حلوان فثبطه عن ذلك فخر الدين ناظر الجيش وقال انه يحتاج الي ثلاث خزائن من المال ولا يدري هل يصح أولا فرجع عنه واستمر الناصر الى ان مات يوم الاربعاء عاشر ذي الحجة سنة احدى وأربعين وهو أطول ملوك الترك مدة وأقيم بعده ولده سيف الدين أبو بكر ولقب الملك المنصور فاقام دون الشهرين ثم خلع في يوم الاحد العشرين من صفر سنة اثنتين وأربعين ونفى هو واخوته الى قوص وتهتكت حريم أبيه الناصر وكثر البكاء والعويل بالقاهرة وكان يوماً من أشنع الايام ثم قتل بقوص وأقيم بعده أخوه علاء الدين كجك ولقب الملك الاشرف وعمره دون ست سنين فقال بعض الشعراء في ذلك

سلطاننا اليوم طفل والاكابر في * خلف وبينهم الشيطان قد نزغا
فكيف يطمع من تغشاه مظلمة * ان يبلغ السؤال والسلطان مابلغا

فأقام خمسة أشهر ثم خلع في أول شعبان واعتقل بالقلعة الى ان مات سنة ست وأربعين قال صاحب السكردان والله أعلم كيف موته وأقيم أخوه شهاب الدين أحمد ولقب الملك الناصر وكان قدم من الكرك وكان الذي عقد المبايعة بينه وبين الخليفة الشيخ تقي الدين السبكي وقد حضر من الشام الي مصر قال في السكردان فأقام في الملك بمصر أربعين يوماً ثم رجع الى الكرك ولم يزل هناك حتى خلع يوم الخميس ثاني عشر المحرم سنة ثلاث وأربعين ثم قتل في أول سنة خمس وأربعين وأقيم بعده أخوه عماد الدين اسمعيل ولقب الملك الصالح فأقام الى ان مات في رابع ربيع الآخر سنة ست وأربعين وعمره نحو عشرين سنة وقال الصلاح الصفدى يرثيه

مضى الصالح المرجو للباس والندي * ومن لم يزل يلقى المنى بالمنايح
فيامالك مصر كيف حالك بعده * اذا نحن أثنينا عليك بصالح

وأقيم بعده أخوه زين الدين شعبان ولقب الملك الكامل وقال الجمال بن نباته في ذلك

طلعة سلطاننا تبدت * بكامل السعد في الطلوع
فاعجب لها منه كيف أبدت * هلال شعبان في ربيع

وقال أيضاً

شعبان سلطاننا الموجى * مبارك الطالع البديع
يابهجة البدر اذتبدى * هلال شعبان في ربيع

فأقام سنة وأياما ثم خلع في جمادى الاولى سنة سبع وأربعين وسجن وقتل وكان من شرار الملوك ظلما وعسفا وفسقا فقال فيه الصلاح الصفدي

بيت قلاوون سعاداته * في عاجل كانت وفي آجل
حل على أملاكه للردى * دين قد استوفاه بالكامل

وأقيم بعده أخوه زين الدين حاجي ولقب الملك المظفر فأقام سنة وثلاثة أشهر ثم خلع في يوم الاحد ثانى عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وذبح من ساعته وقال فيه الصلاح الصفدي

أيها العاقل اللبيب تفكر * في المليك المظفر الضرغام
كم تمادى في البغى والغى حتى * كان بعث الحمام حد الحمام

وقال أيضاً

حان الردى للمظفر * وفي التراب تعفر * كم قد أباد اميرا
على المعالى توفر * وقاتل النفس ظلما * ذنوبه ماتكفر

وأقيم بعده أخوه ناصر الدين أبو المحاسن حسن ولقب الملك الناصر وعمره يومئذ احدى عشرة سنة فأقام الى أن خلع في جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وسجن بالقلعة وأقيم بعده أخوه صالح ولقب الملك الناصح وجعل شيخوا أتابكة فأقام الى أن خلع في شوال سنة خمس وخمسين وحبس بالقلعة واعيد الناصر حسن فأقام الى أن قتل ليلة الاربعاء تاسع جمادى الاولى سنة اثنتين وستين وأقيم بعده ابن أخيه ناصر الدين أبو المعالي محمد ابن المظفر حاجي ولقب الملك المنصور فأقام الى ان خلع في شعبان سنة أربع وستين وسجن بالقلعة الى أن مات سنة احدى وثمانين وأقيم بعده ابن عمه أبو المفاخر شعبان بن الامير حسين ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون ولقب الملك الاشرف وعمره يومئذ عشر سنين وأستقر أتابكة يلبغا العمرى ثم أن يلبغا قتل بأيدى مماليكه في سنة ثمان وستين وكان

سا كنا بالكبش فقال فيه بعض الشعراء

بداشقا يلبغا وعدت * عداه في سفنه اليه
والكبش لم يفده وأضحت * تنوح غربانه عليه

وأقيم اسند مر الناصر أتا بكا فاتفقت معه مماليك يلبغا فركبوا على الاشرف فهزموا ونصر الاشرف وقال بعض الشعراء في ذلك

هلال شعبان جهرا لاح في صفر * بالنصر حتى أرى عيدا بشعبان
وأهل كبش كأهل الفيل قد اخذوا * رغما وما انتطحت في الكبش شاتان

ثم اقيم الجائي اليوسفي أتا بكا وهو زوج ام الاشرف فاتفق موت ام الاشرف فقال شهاب الدين السعدي متفاولا بالجائي

في مستهل العشر من ذي حجة * كانت صبيحة موت ام الاشرف
فالله يرحمها ويعظم أجره * ويكون في عاشور موت اليوسفي

فاتفق ان وقع الامر كذلك ركب الجائي على الاشرف في سابع المحرم فكسر وطلب يوم الثامن فساق حتى أرمي نفسه في البحر فغرق ثم أخرجه الغواصون ودفن في تاسع المحرم ثم ان الاشرف تأهب للحج وسافر في شوال سنة ثمان وسبعين وصحبه الخليفة والقضاة والامراء فلما وصل الى العقبة ركب عليه من معه من الامراء والجند فانكسر السلطان ورجع هاربا الى مصر فاختفى بها قال الحافظ ابن حجر أخبر الشيخ بدر الدين السلسولي أحد علماء المالكية وصلحائهم انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم لما تجهز الاشرف للحج وعمر يقول له شعبان بن حسين يريد أن يجيء الينا فقال لا ما يأتينا أبداً فلم يلبث الاشرف ان رجع من العقبة قال ابن حجر وعرض طشتمر على الخليفة أن يتسلطن فامتنع وقال بل اختار وامن شئتم وأنا أوليه ورجع هو والقضاة الى مصر ثم انهم ظفروا بالاشرف فخنقوه وأقيم بعده ولده علاء الدين على وهو صبي ولقب الملك المنصور فأقام الى ان مات في صفر سنة ثلاث وثمانين وعمره يوم مات اثنتا عشرة سنة وكان التدبير في أيامه لاينبك البدري ثم لقرطاي ثم لبرقوق وأقيم بعده أخوه صلاح الدين حاجي بن الاشرف شعبان ولقب الملك الصالح وسنه حينئذ تسع سنين ثم خلع في رمضان سنة أربع وثمانين وأقيم في السلطنة سيف الدين أبو سعيد برقوق بن انص ولقب الملك الظاهر وهو أول السلاطين من الجراكسة وليس فيهم من تسلطن وأبوه مسلم غيره فان أباه قدم الى الديار المصرية فأسلم ومات قبل سلطنة ولده بشهر وكان الذي أشار بتلقيب برقوق بالظاهر شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني فان ولايته كانت وقت الظهر وخطب الخليفة قبل ان يفوض اليه خطبة بليغة ثم قلده بحضرة البلقيني والقضاة واستمر في السلطنة الى ثالث

جمادى الآخرة سنة احدى وتسعين فخلع وسجن بالكرك وأعيد حاجي الى السلطنة ولقب الملك المنصور فأقام الى صفر سنة اثنتين وتسعين وخلع وعاد برقوق الى السلطنة فاستمر الى ان مات في شوال سنة احدى وثمانمائة وأقيم بعده ولده زين الدين أبو السعادات فرج ولقب الملك الناصر وقال بعض الشعراء في ولايته

مضى الظاهر السلطان اكرم مالك * الى ربه يرقى الى الخلد في الدرج
وقالوا ستأتي شدة بعد موته * فاكذبهم ربي وماجا سوى فرج

فأقام الى سادس ربيع الاول سنة ثمان وثمانمائة فخلع وأقيم أخوه عبد العزيز ولقب الملك المنصور ثم خلع في رابع جمادى الآخرة من السنة وأعيد الناصر فرج فأقام الى ان خرج عليه شيخ المحمودي وقاتله وحصره وظفر به وحكم ابن العديم بسفك دمه وقتل بسيف الشرع وذلك في المحرم سنة خمس عشرة وثمانمائة وأقيم الخليفة المستعين بالله أبو النصر العباسي سلطانا مستقلا بالامر وحلف له الامراء على الوفاء ولم يغير لقبه فأقام يتصرف بالولاية والعزل وغيرهما ثم سأله شيخ ان يفوض اليه السلطنة على العادة فأجابه الى ذلك في شعبان من السنة وبقيت الخلافة باسمه واستقر شيخ في السلطنة ولقب الملك المؤيد وكان من خيار الملوك (ترجمه) الحافظ ابن حجر في معجمه وأثنى عليه وقال أين مثله بل أين أين مثله وكان معه اجازة بصحيح البخاري من شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني فكانت لا تفارقه سفرا ولا حضرا وأقام الى ان توفي في ثامن محرم سنة أربع وعشرين وأقيم بعده ولده أحمد ولقب الملك المظفر وعمره يومئذ سنتان وجعل ططر مدبر المملكة ولقب نظام الملك فلما كان سلخ شعبان من السنة خلع من الملك لصغره وأقيم ططر ولقب الملك الظاهر فأقام الى ان مات في سادس ذى الحجة من السنة وأقيم بعد ططر ولده محمد ولقب الملك الصالح وجعل برسباى نظام الملك فلما كان في ثامن ربيع الآخر خلع سنة خمس وعشرين وأقيم برسباى ولقب الملك الاشرف فأقام الى ان مات في ذي الحجة سنة احدى وأربعين وأقيم ولده يوسف ولقب الملك العزيز وجعل جقمق نظام الملك فلما كان في سنة اثنتين وأربعين خلع وأقيم جقمق ولقب الملك الظاهر فأقام الى ان مات سنة سبع وخمسين وأقيم ولده عثمان ولقب الملك المنصور فمكث شهرا ونصفا ثم خلع في ربيع الاول وأقيم اينال العلائي ولقب الملك الاشرف فأقام الى ان مات في جمادي الاولى سنة خمس وستين وأقيم ولده أحمد ولقب الملك المؤيد ثم خلع في رمضان من السنة وأقيم خشقدم الناصري ولقب الملك الظاهر فأقام الى ان مات في ربيع الاول سنة اثنتين وسبعين وأقيم قايتباى العلائي ولقب الملك الظاهر فأقام نحو شهرين وخلع وأقيم تمربغا ولقب الملك الظاهر فأقيم أيضاً نحو شهرين وخلع في رجب وأقيم سلطان العصر

الملك الاشرف قايتباى المحمودى فأقام الى ان مات ليلة الاثنين ثاني عشر ذى القعدة سنة احدى وتسعمائة وأقيم ولده محمد ولقب الملك الناصر أبو السعادات محمد وقتل في يوم الاربعاء منتصف ربيع الاول سنة أربع فولي بعده خاله قانصوه الغورى يوم الجمعة سابع عشرة ثم خلع أول الحجة سنة خمس وولى بعده خاله جان بلاط ولقب الاشرف ثم خلع في تاسع عشر جمادى الآخرة سنة ست وولى طومان باي ولقب العادل ثم خلع يوم عيد الفطر من السنة المذكورة وولى قانصوه الغورى ولقب الاشرف ثم أقام في الملك الى ان خرج من مصر في منتصف ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة في جيش كبير الى البلاد الحلبية لملاقاة السلطان سليم بن عثمان فوقع المصاف بينهما بمرج دابغ فى خامس عشري رجب من السنة المذكورة فمات في ذلك حتف أنفه ولم توجد جثته ثم في يوم الجمعة رابع عشر شهر رمضان من السنة المذكورة تولي طومان باي الدوادار بن اخي الغورى ولقب الاشرف ثم ان السلطان سليم بن عثمان دخل مصر في يوم الخميس سلخ الحجة وقتل طومان باى يوم الاثنين حادى عشرى ربيع الاول سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وأقام بمصر الى أن رحل عنها في رابع عشرى شعبان من السنة المذكورة وخلف عليها خاير بك المحمدى ثم ان ابن عثمان مات ببلاد الروم فى ليلة السبت تاسع شوال سنة ست وعشرين وقام بعده في الملك ولده سلطان العصر سليمان نصره الله تعالي ثم مات خاير بك فى ثالث عشرى ذى القعدة سنة ثمان وعشرين وتسعمائة ثم ولي بعد خاير بك مصطفي أحد وزراء السلطان سليمان ثم في شهر رمضان قدم من الروم أمير لنيابة مصر يسمي قاسم ثم جاء من بعده أحمد باشاه ثم من بعده سليمان باشاه ثم من بعده سليمان باشاه خسروا ثم من بعده خسروا عيد سليمان باشاه ثم من بعده الزيني داود باشاه متوليها الآن أدامه الله تعالي وقد نظم بعضهم أسماء بعض السلاطين في أرجوزة وهو حمزة بن على الحسني مزيلا علي ارجوزة الجزار عقب ذكر الملك الظاهر فقال

ثم تولي الملك السسعيد * وكل يوم فى ذراه عيد
ثم أخوه العادل استقلا * بالملك أياما بها وولي
ثم تولي الملك المنصور * ومن جرى بنصره المقدور
ثم تولاها المليك الاشرف * ومن غدا بكل جود يعرف
ثم تولاها المليك الناصر * وما له في نصره موازر
ثم الامير كتبغاء العادل * وما جرى في وقته فسائلوا
وبعده لاجين ما لمنصور * ودولة بلاؤها مشهور
ثم بها الناصر عاد ثانيه * ولم ينل في ملكه أمانيه

ثم حوى الامر بها المظفر * ليقض أمر ربنا المقدر
ثم بها الناصر عاد ثالثه * ونجله المنصور كان وارثه
وبعد الاشرف وهو يافع * فلا ممانع ولا مدافع
ثم تولي الناصر بن الناصر * وبعده الصالح ذو المماكر
أعني أبي الفداء اسماعيلا * طائرة أضحى به جميلا

هذا آخر مانظمه وقد ذيلت عليه فقلت

وبعده شعبان وهو الكامل * وبعده المظفر المماحل
وبعده الناصر واسمه حسن * وبعده الصالح في البرج انسجن
ثم أعيد حسن وبعده * محمد المنصور أو هي عهده
وبعده شعبان وهو الاشرف * وهو ابن عشر امره مستضعف
وبعده المنصور واسمه علي * وبعده الصالح حاجي قد ولي
وبعده برقوق وهو الظاهر * ثم أعيد الصالح المنافر
ولقبوه الملك المنصورا * ثم أعادوا الظاهر المذكورا
وبعده الناصر واسمه فرج * وبعده عبد العزيز قد خرج
ولقب المنصور ثم أمسكا * وأحضر الناصر حتى ملكا
وبعد هذا بويع الخليفة * ذو الرتبة العالية المنيفة
المستعين الاعظم العباس * فاستوثق الامر وسر الناس
وبعد هذا ملك المؤيد * شيخ وبعده المظفر أحمد
وبعده الظاهر واسمه ططر * ثم ابنه الصالح لما ان غبر
ثم برسباى وذاك الاشرف * ثم ابنه الملك العزيز يوسف
وبعده الظاهر وهو جقمق * ثم ابنه المنصور ثم أطلقوا
وبعده اينال وهو الاشرف * ثم ابنه المؤيد المتصرف
وبعده خشقدم ليت الوغي * وبعده يلباي تمربغا
والكل بالظاهر رسما يوصف * وبعدهم جاء المليك الاشرف
أقام في الملك ثلاثين سوي * سبع شهور وحوى ماقد حوى
وسلطنوا ولده محمداً * ولقب الناصر رغما للعدا

﴿ ذكر الفرق بين الخلافة والملك والسلطنة من حيث الشرع ﴾

قال ابن سعد في الطبقات أخبرنا محمد بن عمر حدثني قيس بن الربيع عن عطاء بن السائب عن زادان عن سلمان ان عمر بن الخطاب قال له املك أنا أم خليفة فقال له سلمان

ان أنت جبيت من أرض المسلمين درهما أو أقل أو أكثر ثم وضعته في غير حقه فانت ملك غير خليفة فاستعبر عمر وقال أخبرنا محمد بن عمر حدثني عبد العزيز بن الحارث عن أبيه عن سفيان بن أبي العوجا قال قال عمر بن الخطاب والله ما أدري خليفة أنا أم ملك فان كنت ملكا فهذا أمر عظيم قال قائل ياأمير المؤمنين ان بينهما فرقا قال ماهو قال الخليفة لايأخذ الاحقار ولايضعه الافي حق وأنت بحمد الله كذلك والملك يعسف الناس فيأخذ من هذا ويعطي هذا فسكت عمر

## ذكر من يطلق عليه السلطنة من حيث المصطلح

قال ابن فضل الله في المسالك ذكر علي بن سعيد ان الاصطلاح ان لا تطلق هذه التسمية الا على من يكون في ولايته ملوك فيكون ملك الملوك فيملك مثل مصر أو مثل الشام أو مثل أفريقية أو مثل الاندلس ويكون عسكره عشرة آلاف فارس أو نحوها فان زاد بلادا أو عددا في الجيش كان أعظم في السلطنة وجاز ان يطلق عليه السلطان الاعظم فان خطب له في مثل مصر والشام والجزيرة ومثل خراسان وعراق العجم وفارس ومثل افريقية والمغرب الاوسط والاندلس كان سمته سلطان السلاطين كالسلجوقية

## ذكر ما يلقب به ملك مصر

قال الكندي قال تعالى حكاية عن اخوة يوسف يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر فحكى ان اسم ملكها العزيز وذكر جماعة من المفسرين ان فرعون لقب لكل من ولي مصر ولعل هذا خاص بملوك الكفر

## ذكر جلوس السلطان في دار العدل للمظالم

قال ابن فضل الله اذا جلس السلطان للمظالم جلس عن يمينه قضاة القضاة من المذاهب الاربعة ثم الوكيل عن بيت المال ثم الناظر في الحسبة ويجلس عن يساره كاتب السر وقدامه ناظر الجيش وجماعة من الموقعين تكملة حلقة دائرة وان كان ثم وزير من أرباب الاقلام كان بينه وبين كاتب السر وان كان الوزير من أرباب السيوف كان واقفا على بعد مع بقية أرباب الوظائف ويقف من وراء السلطان صفان عن يمينه ويساره من السلاح دائرة والجمدارية والخاصكية ويجلس على بعد تقديره خمسة عشر ذراعا من يمنة ويسرة ذوو السن من أكابر امراء المؤمنين وهم امراء المشورة ويليهم من دونهم من أكابر الامراء وأرباب الوظائف وقوف وبقية الامراء وقوف من وراء امراء المشورة ويقف خلف هذه الحلقة المحيطة بالسلطان الحجاب والدوادارية لاحضار قصص الناس واحضار المساكين وتقرأ عليه فما احتاج الى مراجعة القضاة راجعهم فيه وما كان متعلقا بالعسكر تحدث مع الخاص وكاتب السر فيه قال وهذا الجلوس يكون يوم الاثنين ويوم الخميس الا

ان القضاة وكاتب السر لا يحضرون يوم الخميس قال ومن عادته اذا ركب يوم العيدين ويوم دخول المدنية يركب وعلى رأسه العصائب السلطانية وهي صفر مطرزة بذهب بالقابه واسمه وترفع المظلة على رأسه وهى قبة مغشاة باطلس أصفر مزركش عليها طائرة من فضة مذهبة يحملها بعض امراء المئين الاكابر وهو راكب فرسه الى جانبه وامامه الطبردارية بشاة وبأيديهم الاطبار قلت العصائب المذكورة حرام وقد بطلت الآن ولله الحمد

## ذكر عساكر مملكة مصر

قال ابن فضل الله في المسالك وأما عساكر هذه المملكة فمنهم من هو بحضرة السلطان ومنهم من فوق في اقطار المملكة وبلادها ومنهم سكان بادية كالعرب والتركمان وجندها مختلط من اتراك وجركس وروم وأكراد وتركمان وغالبهم من المماليك المبتاعين وهم طبقات أكابرهم من له امرة مائة فارس وتقدمة ألف فارس ومن هذا القبيل يكون أكابر النواب وربما زاد بعضهم بالعشرة فوارس والعشرين ثم أمراء الطبلخاناة ومعظمهم من يكون له امرة أربعين فارساً وقد يزيد الى السبعين ولا تكون الطبلخاناة لاقل من أربعين ثم امراء العشرات ومنهم من يكون له عشرون فارساً ولا يعدالا فى امراء العشرات ثم جند الحلقة وهؤلاء لكل اربعين نفرا منهم مقدم ليس له حكم عليهم الا اذا خرج العسكر كانت مرافقتهم معه وترتيبهم في موقفهم اليه ويبلغ بمصر اقطاع بعض اكابر الامراء المئين المقربين من السلطان مائتين الف دينار جيشية وأما غيرهم فدون ذلك ودون دونه الي ثمانين ألف دينار وما حولها واما العشرات فنهايتها سبعة آلاف دينار الى ما دون ذلك وأما اقطاعات جند الحليفة فمنه ما يبلغ ألفاً وخمسمائة دينار وما دون ذلك الى مائتين وخمسين دينارا وأما اقطاعات امراء الشام فعلى الثلاثين من مصر

## ذكر ارباب الوظائف في هذه المملكة

قال ابن فضل الله الوظائف الكبار (من ذوى السيوف) امرة سلاح الدوادارية الحجوبية امرة جاندار الاستاذدارية المهمندارية نقابة الجيوش (ومن ذوى الاقلام) الوزارة كتابة السر نظر الجيش نظر الاموال نظر الخزانة نظر البيوت نظر بيت المال نظر الاسطبلات (ومن ذوي العلم) القضاة الخطباء وكالة بيت المال الحسبة قال وكانت وظيفة تسمي نيابة السلطان أبطلها الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان النائب أولا سلطانا مختصراً وكان هو الذي يفرق الاقطاعات ويعين الامرة والوظائف ويتصرف التصرف المطلق في كل أمر الا في ولاية المناصب الجليلة كالقضاء والوزارة وكتابة السر لكن يعرض هو على السلطان من يصلح وقل ان لايجاب وكان يسمى كافل الممالك والسلطان الثانى وأما الوزارة فكان يليها من أرباب السيوف والاقلام على قدر مايتفق

وكان الوزير ثاني النائب في المكانة قال وقد أبطل الناصر الوزارة أيضاً واستقل هو بما كان يفعله النائب والوزير واستجد وظيفة يسمى مباشرها ناظر الخاص أصل موضوعها ان يكون مباشرها متحدثا فيما هو خاص بمال السلطان يتحدث في مجموع الامر في الخاص بنفسه وفي العام بأخذ رأيه فيه فبقي بسبب ذلك كانه الوزير لقربه من السلطان وأول من ولى هذه الوظيفة كريم الدين عبد الكريم ابن هبة الله بن السديد وأما امرة سلاح فموضوعها ان صاحبها مقدم السلاح دار به والمتولي بحمل سلاح السلطان في المجامع الجامعة وهو المتحدث في السلاح خانا وتعلقاتها وهو من امراء المئين والدواداري موضوعها ان صاحبها يبلغ الرسائل عن السلطان ويقدم القصص اليه ويشاور على من يحضر الى الباب ويقدم البريد اذا حضر ويأخذ خط السلطان على عموم المناشير والتواقيع والكتب والحجوبية موضوعها ان صاحبها يقف بين الامراء والجند وهو المشار اليه في الباب بالقائم مقام البواب في كثير من الامور وامرة جاندار صاحبها كالمتسلم للبواب وهو المتسلم للزردخاناة ومن أراد السلطان قتله كان على يد صاحب هذه الوظيفة والاستاذدارية صاحبها اليه امر بيوت السلطان كلها من المصالح والنفقات والكساوي وما يجرى مجرى وهو من أمراء المئين ونقابة الجيش صاحبها كاحد الحجاب الصغار وله تحلية الجند في عرضهم واذا أمر السلطان باحضار أحدا والترسيم عليه فهو صاحب ذلك والولاية صاحبها هو صاحب الشرطة وأما الوزارة فصاحبها ثاني السلطان اذا أنصف وعرف حقه ولكن في هذه المدد تقدمت عليها النيابة وتأخرت الوزارة وتقهقرت فصار المتحدث فيها كناظر المال لا يعتدى الحديث في المال ولا يتسع له في التصرف بحال ولا يمد يده في الولاية والعزل كتطلع السلطان الي الاحاطة بجزئيات الاحوال ثم ان السلطان أبطل هذه الوظيفة وعطل جيد الدولة من عقودها وصار ما كان الى الوزير منقسما الى ثلاثة الى ناظر المال أوشاد الدواوين أمر تحصيل المال وصرف النفقات والكاف والى ناظر الخاص تدبير جملة الامور وتعين المبين شرين والى كاتب السر التوقيع في دار العدل مما كان يوقع فيه الوزير مشاورة واستقلالا ثم ان كلا من المتحدثين الثلاثة لا يقدر على الاستقلال بأمر الا بمراجعة السلطان ومن وظيفة كتابة السر قراءة الكتب الواردة على السلطان وكتابة اجوبتها والجلوس لقراءة القصص بدار العدل والتوقيع عليها وتصريف المراسيم ورودا أو صدورا وأما نظر الجيش فلصاحبه النظر في الاقطاعات ومعه من المستوفين مايحرر كليات المملكة وجزئياتها واما نظر الخزانة فكانت وظيفة كبيرة الوضع لانها مستودع أموال المملكة فلما استحدثت وظيفة الخاص ضعف أمرها وغالب مايكون ناظرها من القضاة أو نحوهم وأما نظر البيوت فمنوط

بالاستاذ دارية فكل مايتحدث فيه الاستاذ دارية يشارك فيه واما نظر بيت المال فوظيفة جليلة موضوعها حمل حمول المملكة الى بيت المال والتصرف فيه تارة بالميزان وتارة بالتسييب بالاقلام ولايلى هذه الوظيفة الا من هو من ذوي العدالة المبرزة وأما نظر الاطبلات فلصاحبه الحديث فى أنواع الاصطبل والمناخاة وعلفها وأرزاق خدمها واما يتباع لها وأما وظائف أهل العلم فمعروفة مشهورة لاتخلو مملكة من ممالك الاسلام منها هذا كله كلام ابن فضل الله ذكر فى التاريخ ان الخليفة المقتفى بالله نقل المظفر بن جهير من الاستاذ دارية الى الوزيرية فى سنة خمس وثلاثين وخمسمائة قال بعضهم وذلك أول ماسمع بوظيفة الاستاذ دارية فى الدول وقال بعض المؤرخين لما تولى الظاهر بيبرس أحب ان يسلك فى ملكه بالديار المصرية طريقة جنكز خان ملك التتار واموره ففعل ماأمكنه ورتب فى سلطنته أشياء كثيرة لم تكن قبله بديار مصر مثل ضرب البوقات وتجديد الوظائف فأحدث أمير سلاح وأمير مجلس ورأس نوبة الامراء وأمير أخور وحاجب الحجاب والدوادر والجمدار وأمير شكار وموضوع أمير سلاح انه يتحدث على السلاح دارية ويناول السلطان آلة الحرب والسلاح يوم القتال ويوم الاضحي ولم تكن رتبته فى زمن الظاهر ان يجلس فى مسيرة السلطان انما كان يجلس فى هذا الموضع اطابك ثم فى زمن الناصر بن قلاوون كان يجلس فيه راس نوبة الامراء وموضوع امير مجلس انه يحرس مجلس السلطان وفرشه ويتحدث على الاطباء والكحالين ونحوهم وكانت وظيفة جليلة اكبر قدراً من امير سلاح وراس نوبة وظيفة عظيمة عند التتار ويفخمون فيها السين ولما احدثها الظاهر بمملكة مصر كان صاحبها يسمي رأس نوبة الامراء ومعناه أكبر طائفة الامراء وهو أكبر من امير مجلس وامير سلاح وهو فى مرتبة الامير الكبير الآن ولم يكن احد يسمي بالامير الكبير اذ ذاك الى ان ولى هذه الوظيفة شيخو العمري فى زمن السلطان حسن فلقب بالامير الكبير زيادة على التلقيب براس نوبة الامراء وهو اول من لقب بالامير الكبير كما ذكره وموضوع امير اخور النظر فى علف الخيل واخور بالمعجمة المذود الذى يأكل فيه الفرس والحاجب كان فى زمن الاول من ايام الخلفاء للذي يحجب الناس عن الدخول على الخليفة وكان يرفا حاجب عمر بن الخطاب ثم عظمت الحجوبية فى ايام الناصر بن قلاوون والدوادار كان فى زمن الخلفاء ايضاً وهو الذي يحمل الدواة ويحفظها ومعناه ماسك الدواة واول من احدث هذه الوظيفة الملوك السلجوقية وكانت فى زمنهم وزمن الخلفاء لرجل متعمم ثم صارت فى زمن الظاهر لامير عشرة والجمدار ماسك البقجة التي للقماش

## ذكر قضاة مصر

قال بن عبد الحكم أول قاض استقضى بمصر فى الاسلام كما ذكر سعيد بن عفير بن

قيس بن أبي العاصي سنة أربع وعشر بن فكتب عمر بن الخطاب الى عمر بن العاصي أن يستقضى كعب بن يسار بن ضنة قال بن أبي مريم وهو بن بنت خالد بن سنان العبسي الذى تنبأ فى الفترة بين عيسى بن مريم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى كعب أن يقبل القضاء وقال قضيت فى الجاهلية ولا أعود اليه فى الاسلام حدثنا سعيد بن عفير حدثنا بن لهيعة قال كان قيس بن أبي العاصى بمصر ولاه عمرو بن العاصي القضاء وقد قيل ان أول من استقضى بمصر كعب بن ضنة بكتاب عمر بن الخطاب فلم يقبل حدثنا المقري عبد الله بن يزيد أنبأنا حيوة بن شريح أنبأنا الضحاك بن شرحبيل الغافقي ان عماد بن سعيد التجيبي اخبرهم ان عمر بن الخطاب كتب الى عمرو بن العاصي ان يجعل كعب بن ضنة على القضاء فأرسل اليه عمرو فاقرأه كتاب امير المؤمنين فقال كعب والله لايحبه الله من امر الجاهلية وما كان فيها من الهلكة ثم يعود فيها ابدا إذ انجاه الله منها فابى ان يقبل القضاء فتركه عمر قال بن عفير وكان حكما فى الجاهلية فلما امتنع كعب ان يقبل القضاء ولى عمرو بن العاصى عثمان بن قيس بن ابي العاصي القضاء وقد كان عمر بن الخطاب كتب الى عمرو بن العاصي ان يفرض له فى الشرف قال ودعا عمرو خالد بن ثابت الفهمي ليجعله على المكس فاستعفاه منه فكان شرحبيل ابن حسنة على المكس وكان مسلمة بن مخلد على الطواحين طواحين البلقس وأقام عثمان على القضاء الى ان صرف سنة اثنتين وأربعين ثم ولى سليم بن عنز التجيبي على القضاء فى أيام معاوية بن أبي سفيان وجعل اليه القصص والقضاء جميعاً حدثنا عبد الله بن يزيد المقري حدثنا حياة بن شريح حدثنا الحجاج بن شداد الصنعاني ان أبا صالح سعيد بن عبد الرحمن الغفارى أخبره ان سليم بن عنز كان يقص على الناس وهو قائم فقال له صلة ابن الحرث الغفارى وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ماتركنا عهد نبينا ولا قطعنا أرحامنا حتى قمت أنت وأصحابك بين أظهرنا وكان سليم بن عنز أحد العباد المجتهدين وكان يقوم فى ليلة فيبتدئ القرآن حتى يختمه ثم يأتي أهله ثم يقوم فيتغسل ثم يقرأ فيختم ثم يأتي أهله ثم يقوم فيغتسل ثم يقرأ فيختم ثم يأتي أهله وربما فعل ذلك فى الليلة مرات فلما مات قالت امرأته رحمك الله فوالله لقد كنت ترضي ربك وتسر أهلك ثم لما ولى مسلمة بن مخلد البلد ولى السائب ابن هشام بن عمر وأحد بني مالك بن حسل شرطة وكان هشام بن عمرو احد النفر الذين قاموا فى نقض الصحيفة التي كانت فى قريش كتبت وكان عمرو بن العاصي ولى السائب بن هشام شرطة بعد خارجة بن حذافة وكان أيضاً على شرطة عبد الله بن سعد بن ابي سرح ثم عزل مسلمة السائب وولى عابس بن ربيعة المرادي الشرطة ثم جمع له القضاء مع الشرطة وسبب ذلك أن معاوية كتب الى مسلمة يأمره

بالبيعة ليزيد فأتى مسلمة الكتاب وهو بالاسكندرية فكتب الى السائب بذلك فبايع الناس الا عبدالله بن عمرو بن العاصي فأعاد عليه مسلمة الكتاب فلم يفعل فقال مسلمة من لعبد الله بن عمرو فقال عابس بن سعيد أنا فقدم الفسطاط فبحث الى عبد الله بن عمرو فلم يأته فدعا بالنار والحطب ليحرق عليه قصره فأتى فبايع واستمر عابس على القضاء حتى دخل مروان ابن الحكم مصر في سنة خمس وستين فقال أين قاضيكم فدعي له عابس وكان أميا لا يكتب فقال له مروان أجمعت كتاب الله قال لا قال فأحكمت الفرائض قال لا قال فبم تقضي قال أقضي بما علمت وأسأل عما جهلت فقال أنت القاضي فلم يزل عابس على القضاء الى أن توفي سنة ثمان وثمانين فولى عبد العزيز بن مروان بشير بن النضر المزني القضاء ثم ولى عبد الرحمن بن حجيرة الخولاني وجمع له القضاء والقصص وبيت المال فكان يأخذ رزقه في السنة ألف دينار على القضاء فلم يكن يحول عليه الحول وعنده ما تجب فيه الزكاة فلم يزل على القضاء حتى مات سنة ثلاث وثمانين ويقال بل ولي في سنة ثلاث وثمانين ومات في سنة خمس وثمانين ثم ولى القضاء مالك بن شراحيل الخولاني فلم يزل حتى مات فولي من بعده يونس بن عطية الحضرمي وجمع له القضاء والشرطة فلم يزل حتى مات سنة ست وثمانين فولى بعده ابن أخيه أوس ثم ولى عبد الرحمن بن معاوية بن خديج الكندي وجمع له القضاء والشرطة فتوفي عبد العزيز بن مروان وولى بعده عبدالله بن عبد الملك فأراد عزل ابن خديج فاستحيي من عزله عن غير شيء ولم يجد عليه مقالا ولا متعلقاً فولاه مرابطة الاسكندرية وولي عمران بن عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة القضاء والشرطة فلم يزل الى سنة تسع وثمانين فغضب عليه عبد الله بن عبد الملك فعزله وولى عبد الاعلى بن خالد بن ثابت الفهمي مكانه ثم أتي عبد الله بن عبد الملك العزلة وولي قرة بن شريك العبسي الامرة فعزله عبد الاعلى وولي عبد الله بن عبد الرحمن بن حجيرة وهو ابن حجيرة الاصغر ثم عزل في سنة ثلاث وتسعين وولى عياض بن عبد الله الازدي ثم السلامي ثم صرف في سنة ثمان وتسعين واعيد ابن حجيرة ثم صرف واعيد فلم يزل الى سنة مائة ثم صرف وولي عبد الله بن خذامر ثم صرف سنة اثنتين ومائة وولي يحيى بن ميمون الحضرمي فأقام الى سنة أربع عشرة ومائة ثم صرف ولم يكن بالمحمود في ولايته ثم ولي يزيد ابن عبد الله بن خذامر ثم صرف وولي الخيار بن خالد المدلجي فأقام نحو سنة ومات سنة خمس عشرة ومائة وكان محموداً جميل المذهب ثم ولي توبة بن نمر الحضرمي فأقام ماشاء الله ثم استعفي فقيل له فأشر علينا برجل نوليه فقال كاتبي خير بن نعيم الحضرمي فولي خير سنة احدى وعشرين ومائة فلم يزل حتى صرف سنة ثمان وعشرين ومائة وولي عبد الرحمن بن سالم بن أبي سالم الجيشاني فلم يزل الي

ولاية بنى العباس سنه ثلاث وثلاثين ومائة فصرف عن القضاء واستعمل علي الخراج ورد خير بن نعيم فلم يزل حتى عزل نفسه في سنة خمس وثلاثين وذلك ان رجلا من الجند قذف رجلا فخاصمه اليه وثبت عليه بشاهد واحد فأمر بحبس الجندى الي ان يثبت الرجل شاهدا آخر فأرسل أبو عون عبد الملك بن يريذ فأخرج الجندى من الحبس فاعتزل خير وجلس في بيته وترك الحكم فأرسل اليه أبو عون فقال لاحتى ترد الجندى الي مكانه فلم يرد وتم على عزمه فقالوا له فأشر علينا برجل نوليه فقال كاتبي غوث بن سليمان فولى غوث بن سليمان الحضرمى فلم يزل حتي خرج مع صالح بن على الى الطائفة ثم ولي أبو خزيمة ابراهيم بن يزيد الحميرى وذلك ان أبا عون ويقال صالح بن على شاور في رجل نوليه القضاء فأشير عليه بثلاثة نفر حياة بن شريح وأبو خذيمه وعبد الله بن عياش الغسانى وكان أبو خذيمه يومئذ بالاسكندرية فأشخص ثم أتى بهم اليه فكان أول من نوظر حياة ابن شريح فامتنع فدعى له بالسيف والنطع فلما رأى ذلك حياة أخرج مفتاحا كان معه فقال هذا مفتاح بيتي ولقد اشتقت الى لقاء ربي فلما رؤا عزمه تركوه فقال لهم حياة لاتظهر واما كان من آبائي لاصحابي فيفعلوا مثل مافعلت فنجا حياة ثم دعى بأبى خذيمة فعرض عليه القضاء فامتنع فدعي له بالسيف والنطع فضعف قلبه ولم يحتمل ذلك فأجاب الى القبول فاستقضى وكان أبو خزيمة يعمل الارسان ويبيعها قبل ان يلي القضاء فمر به رجل من أهل الاسكندرية وهو في مجلس الحكم فقال لأختبرن أبا خزيمة فوقف عليه فقال له ياأبا خزيمة احتجت الى رسن لفرسى فقام أبو خزيمة الى منزله فأخرج رسنا فباعه منه ثم جلس وكان أبو خرشة المرادى صديقا لابي خزيمة فمرّ به يوما فسلم عليه فلم ير منه ما كان يعرف وكان قد خوصم اليه في جدار فاشتد ذلك على أبي خرشة فشكاه الى بعض قرابته فسأل أبا خزيمة فقال ما كان ذلك الا ان خصمك خفت ان يرى سلامى عليك فيكسره ذلك عن بعض حجته فقال أبو خرشة فانى أشهدك ان الجدار له ثم استعفى أبو خزيمة فاعفى وولى مكانه عبد الله بن بلال الحضرمى ويقال انما هو غوث الذى كان استخلفه حين شخص غوث الى أمير المؤمنين أبي جعفر وذلك في سنة أربع واربعين ثم قدم غوث فأقره خليفة له يحكم بين الناس حتي مات عبد الله بن بلال قال يحيي بن بكير لم يزل أبو خزيمة على القضاء حتى قدم غوث من الصائفة فعزل أبو خزيمة ورد غوث ثم ان غوثا شخص الى العراق فأعيد أبو خزيمة الى القضاء فلم يزل حتي توفي سنة أربع وخمسين وكان بن جريج اذ ذاك بالعراق قال فدخلت على أمير المؤمنين أبي جعفر فقال لى يا ابن جريج لقد توفي ببلدك رجل اصيبت به العامة قلت ياأمير المؤمنين ذاك اذن أبو خزيمة قال نعم ثم ولى مكانه ابن لهيعة

وأجرى عليه في كل شهر ثلاثين ديناراً وهو أول قاضى بمصر اجرى عليه ذلك واول قاض استقضاه بها خليفة وانما كان ولاة البلد هم الذين يولون القضاة فلم يزل قاضياً حتى صرف سنة أربع وستين وولى اسمعيل بن سميع الكوفي وعزل سنة سبع وستين وكان محمودا عند أهل البلد الا انه كان يذهب الى قول أبي حنيفة ولم يكن أهل البلد يومئذ يعرفونه قال ابن عبد الحكم حدثنا أبي قال كتب فيه الليث بن سعد الى أمير المؤمنين ياأمير المؤمنين انك وليتنا رجلا يكيد سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا مع انا ماعلمنا في الدينار والدرهم الاخيرا فكتب بعزله ورد غوث بن سليمان على القضاء فأقام حتي توفي في جمادى الآخر سنة ثمان وستين حدثنا أبو رجاء حماد بن مسور قال قدمت امرأة من الريف فرأت غوثا رائحاً الى المسجد فشكت اليه أمرها فنزل عن دابته وكتب لها بحاجتها ثم ركب الى المسجد فانصرفت المرأة وهي تقول أصابت والله امك حتي سمتك غوثا انت غوث عند اسمك وقيل انه اول قاض ركب للهلال مع الشهود وقيل بل ابن لهيعة فلما مات غوث ولى المفضل ابن فضالة بن عبيد القتباني ثم عزل سنة تسع وستين وهو أول القضاة بمصر طول الكتب وكان احد فضلاء الناس وخيارهم ثم ولى ابو طاهر الاعرج عبد الملك بن محمد بن ابي بكر بن حزم الانصارى وكان محموداً في ولايته ثم استعفى فاعفي في سنة اربع وسبعين قالوا فاشر علينا برجل فأشار بالمفضل بن فضالة فولى المفضل فأقام الى صفر سنة سبع وسبعين وعزل وولى محمد بن مسروق الكندى من أهل الكوفة ولم يكن بالمحمود في ولايته وكان فيه عتو وتجبر فلم يزل الى سنة أربع وثمانين فخرج الى العراق واستخلف اسحق بن الفرات التجيبي فعزل في صفر سنة خمس وثمانين وولى عبد الرحمن بن عبد الله ابن الحسين بن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب وهو اول من دون اسماء الشهود فأقام الي ان عزل في جمادى الاولي سنه اربع وتسعين وولى هاشم بن ابي بكر البكرى من ولد ابى بكر الصديق وكان يذهب مذهب ابي حنيفة فأقام حتى توفي في اول يوم من المحرم سنة ست وتسعين ثم ولى ابراهيم بن البكا ولاه جابر بن الاشعث وجابر يومئذ والى البلد فأقام الى ان صرف جابر سنة ست وتسعين وولى مكانه عباد بن محمد فعزل ابن البكار وولى لهيعة بن عيسى الحضرمى فأقام حتى قدم المطلب بن عبد الله بن مالك سنة ثمان وتسعين فعزل لهيعة وولي الفضل بن ابن غانم وكان قدم مع المطلب من العراق فأقام نحو سنة ثم غضب عليه المطلب فعزله وولي لهيعة بن عيسي فأقام حتى توفي في ذى القعدة سنة اربع ومائتين فول السرى بن الحكم بعد مشاورة اهل البلد ابراهيم بن اسحق القاري حليف بني زهرة وجمع له القضاء والقصص وكان رجل صدق ثم استعفي لشئ أنكره فاعفى وولى مكانه ابراهيم ابن الجراح

وكان يذهب الى قول ابي حنيفة ولم يكن بالمذموم في ولايته حتي قدم عليه ابنه من العراق فتغيرت حالته وفسدت احكامه فلم يزل الى سنة اثنتي عشرة ومائتين فدخل عليه عبد الله بن طاهر البلد فعزله وولي عيسي ابن المنكدر بن محمد بن المنكدر خرج ابراهيم بن الجراح الى العراق ومات هناك واحرز عبد الله بن طاهر على عيسى بن المنكدر اربعة آلاف درهم في الشهر وهو اول قاض أجرى عليه ذلك واجازه بألف دينار فلما قدم المعتصم مصر في سنة اربع عشرة ومائتين كلمه فيه ابن ابي دؤاد فأمره فوقف عن الحكم ثم اشخص بعد ذلك الي العراق فمات هناك وبقيت مصر بلا قاض وقدم المأمون الخليفة مصر في محرم سنة سبع عشرة وولى القضاء يحيي بن اكثم فحكم بها ثلاثة ايام وخرج المأمون الي سخا واصلح احوالها وتوجه الي الاسكندرية وعاد الى مصر وخرج عنها في الخامس من صفر وجعل القضاء بمصر الي هارون ابن عبد الله الزهرى المالكى قلده ذلك وهو بالشام فقدم في رمضان سنة تسع عشرة ومائتين وكان محمودا عفيفا مجبا فى أهل البلد فأقام الى ربيع الاول سنه ست وعشرين فكتب اليه ان يمسك عن الحكم وقد كان نقل مكانه على ابن ابي دؤاد وقدم ابو الوزير والياعلى خراج مصر وقدم معه بكتاب ولاية محمد بن ابى الليث الاصم فلم يزل قاضياً الى شعبان سنة خمس وثلاثين ومائتين فعزل وحبس وبقيت مصر بلا قاض حتي ولى الحارث بن مسكين فى جمادى الاولى سنة سبع وثلاثين ثم صرف فى ربيع الآخر سنة خمس وأربعين وولي دحيم بن اليتيم عبد الرحمن ابن ابراهيم بن اليتيم الدمشقى جاءته ولايته بالرملة فتوفى قبل ان يصل الي مصر في العام المذكور وولي بعده بكار بن قتيبة من أهل البصرة من ولد أبى بكرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل البلد في جمادى الآخرة فأقام قاضيا واحمد ابن طولون يصله في كل سنة بألف دينار ثم ان ابن طولون بلغه ان الموفق خرج عن طاعة أخيه المعتمد وكان المعتمد ولي عهد أخيه فاراد ابن طولون خلع الموفق من ولاية العهد فوافقه فقهاء مصر وخالف القاضي بكار فحبسه أحمد بن طولون وذلك فى سنة سبع وخمسين ومائتين ورتب في الحكم عوضا عنه وهو كالخليفة عنه محمد بن شاذان الجوهرى ومات بكار في ذي الحجة سنة خمس وسبعين ومائتين واقامت مصر بعد بكار بلا قاض حتى ولي خمارويه بن احمد بن طولون أبا عبد الله محمد بن عبدة بن حرب القضاء سنة سبع وسبعين ومائتين فأقام الي سنة ثلاث وثمانين فألزم منزله في جمادى الآخرة وبقيت مصر بلا قاض حتي ولي ابو زرعة محمد بن عثمان الدمشقى فأقام ثمان سنين وعزل في صفر سنة اثنتين وتسعين واعيد ابن عبده ثم صرف فى رجب من السنة وولى ابو مالك ابن أبي الحسن الصغير ثم ولى بعده ابو عبيد على بن الحسين بن حرب المعروف بابن حربوية في شعبان سنة ثلاث وتسعين ثم عزل في سنة احدى وثلثمائة قال ابن يونس فى

تاريخ مصر كان أبو عبيد بن حربوية شيئاً عجباً ما رأينا قبله ولا بعده مثله وكان آخر قاض يركب اليه امراء مصر وكان لا يقوم للامير اذا اتاه ثم أرسل موقعه الامام أبا بكر ابن الحداد الى بغداد سنة احدى وثلثمائة فى طلب اعفائه عن القضاء فأعفى انتهي هذا ما ذكره ابن عبد الحكم وولى مكانه أبو الذكر محمد بن يحي الاسواني خلافة لابى يحي عبد الله بن ابراهيم بن مكتوم الى ان صرف فى صفر سنة اثنتين وثلثمائة وولى أبو على عبد الرحمن بن اسحق بن محمد بن معمر السدوسي وصرف فى ربيع الآخر سنة أربع عشرة وولى أبو عثمان أحمد بن ابراهيم بن حماد وصرف في ذي الحجة سنة ست عشرة وولى أبو محمد عبد الله بن احمد بن ربيعة بن سليمان الربعي الدمشقي وصرف فى جمادى الآخرة سنة سبع عشرة وأعيد أبو عثمان بن حماد وصرف في ربيع الآخر سنة عشرين وأعيد الربعى وصرف في صفر سنة احدى وعشرين وولى أبو هاشم اسماعيل ابن عبد الواحد الربعي المقدسي الشافعي وصرف في ربيع الآخر من السنة وولى أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى وصرف في رمضان سنة اثنتين وعشرين وولى أبو عبد الله محمد بن موسى بن اسحق السرخسي ثم ولى أبو بكر بن الحداد الامام المشهور صاحب المولدات بأمر أمير مصر في ربيع الاول سنة أربع وعشرين فباشر مدة لطيفة ثم ولى محمد بن بدر مولى أبي خيثمة خلافة لمحمد بن الحسن ابن أبى الشوارب الى أن مات سنة خمس وثلاثين وولى أبو محمد عبد الله بن أحمد بن شعيب بن الفضل بن مالك بن دينار يعرف بابن اخت وليد وصرف سنة ثلاث وثلاثين وأعيد بن الحداد وولى بعده عبد العزيز بن الحسن بن عبد العزيز العباسى الهاشمي خليفة لاخيه ثم صرف فى ذى الحجة سنة تسع وثلاثين وثلثمائة وولى أبو بكر عبد الله ابن محمد الخصيبي الشافعي سنة خمس وأربعين فأقام الى أن مات في المحرم سنة ثمان وأربعين وولى بعده ابنه محمد فأقام شهراً واحداً ثم اعتل ومات في سادس ربيع الاول من عامه فولى كافور بعده أبا الطاهر محمد بن أحمد بن عبد الله البغدادى الذهلى المالكي فأقام ست عشرة سنة وقيل ثمان عشرة سنة الى أن أقامت الدولة العبيدية بالقاهرة وقدم المعز ومعه قاضيه أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور القيروانى فاجتمع أبو الطاهر بالمعز فاعجب به وأقر على ولايته وأقام النعمان بمصر لا ينظر في شئ ثم ان أبا الطاهر استعفي قبل موته بيسير فأعفى وذلك فى صفر سنة ست وستين وولى بعده أبو الحسن على بن النعمان وكان شيعياً غالياً وشاعراً مجيداً فأقام الى أن مات فى رجب سنة أربع وسبعين وهو أول من نعت بقاضي القضاة فى مصر ولم يكن يدعي بذلك الا ببغداد وولي بعده أخوه أبو عبد الله محمد وكان شيعياً أيضاً قال ابن زولاق ولم نشاهد بمصر لقاض من

الرياسة ما شاهدناه له ولا بلغنا ذلك عن قاض بالعراق ووافق ذلك استحقاقا لما فيه من العلم والصيانة والهيئة واقامة الحق وقد ارتفعت رتبته لان العزيز أجلسه معه يوم العيد على المنبر وزادت عظمته فى دولة الحاكم الى أن مات فى صفر سنة تسع وثمانين وولى القضاء بعده ابن أخيه الحسين بن على بن النعمان ثم صرف سنة أربع وتسعين وولى أبو القاسم عبد العزيز بن محمد بن النعمان ثم صرف فى رجب سنة ثمان وتسعين وولى بعده مالك بن سعد الفارقى ثم صرف فى ربيع الآخر سنة خمس واربعين وولى أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبى العوام الى أن مات فى ربيع الاول سنة ثمان عشرة وأربعمائة وولى أبو محمد قاسم بن عبد العزيز بن النعمان ثم صرف فى رجب سنة تسع عشرة وأربعمائة وولى أبو الفتح عبد الحاكم بن سعيد الفارقي ثم صرف فى ذي القعدة سنة تسع وعشرين وأعيد أبو محمد القاسم بن عبد العزيز بن النعمان ولقب بقاضي القضاة وداعي الدعاة وثقة الدولة وأمير الامراء وشرف الحكام واستخلف عنه القاضي يحيي الشهاب فأقام ثلاث عشرة سنة ثم عزل فى المحرم سنة احدي وأربعين واعيد قاسم ثم صرف من عامه وولي مكانه ابو محمد الحسن بن على بن عبد الرحمن البازوري ثم أضيف اليه الوزارة أيضاً وهو أول من جمع بينهما ثم صرف عنهما في المحرم سنة خمس وأربعين وولى القضاء أبو على أحمد بن قاضي القضاة عبد الحاكم بن سعيد الفارقي ثم صرف فى ذى القعدة من السنة وولى أبو القاسم عبد الحاكم بن وهب بن عبد الرحمن المليجى ثم صرف فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين وولى ابو عبد الله أحمد بن محمد ابو زكريا بن عمر بن ابي العوام الى أن مات فى ربيع الاول سنة ثلاث واربعين وأعيد ابو على أحمد بن عبد الحاكم بن سعيد ثم صرف فى رجب واعيد أبو القاسم عبد الحاكم بن وهب ثم صرف فى رمضان وولي ابو محمد عبد الكريم بن عبد الحاكم ابن سعيد ثم صرف فى صفر سنة أربع وأربعين واعيد ابو القاسم عبد الحاكم بن وهب بن عبد الرحمن ثم صرف فى المحرم سنة اربع واربعين وأعيد ابو على أحمد ابن عبد الحاكم مضافا للوزارة ثم صرف في صفر وأعيد ابو القاسم عبد الحاكم بن وهب ثم صرف في شعبان وولي ابو محمد الحسن بن مجلى بن اسد بن ابى كدينة مضافاً للوزارة ثم صرف في ذي الحجة وولي جلال الملك أحمد بن عبد الكريم بن عبد الحاكم بن سعيد مضافاً للوزارة ثم صرف في المحرم سنة ست واربعين واعيد الحسن بن مجلى بن ابى كدينة ثم صرف في ربيع الآخر واعيد ابو القاسم عبد الحاكم بن وهب ثم صرف فى رمضان واعيد ابن ابى كدينة ثم صرف في ذي الحجة واعيد ابن الحاكم ثم صرف فى نصف المحرم سنة سبع واربعين واعيد ابن ابي كدينة ثم صرف في السادس

والعشرين منه واعيد جلال الملك احمد بن عبد الكريم ثم صرف فى جمادي واعيد ابن ابي كدينة ثم صرف في نصف رجب واعيد عبد الحاكم بن وهب ثم صرف واعيد ابن ابي كدينة ثم صرف فى صفر سنة ثمان واربعين وأعيد جلال الملك ثم صرف واعيد ابن أبي كدينة ثم صرف في المحرم سنة تسع واربعين وولي عبد الحاكم المليجى ثم صرف في سابع جمادي الآخرة واعيد ابن ابي كدينة ثم صرف في ذي القعدة واعيد جلال الملك ثم صرف في صفر سنة خمس وستين واعيد المليجى ثم صرف في ربيع الاول واعيد ابن ابي كدينة ثم صرف في جمادى الاولي واعيد جلال الملك ثم صرف في رمضان واعيد المليجى ثم صرف في ذي الحجة واعيد ابن ابي كدينة ثم صرف فى صفر سنة احدى وستين واعيد المليجي ثم صرف بعد يوم وولي خطير الملك بن قاضي القضاة الوزير البازوري ثم صرف في شوال واعيد ابن ابي كدينة ثم صرف في ذى القعدة واعيد المليجى ثم صرف واعيد ابن ابي كدينة في ربيع الاول سنة اربع وستين ثم صرف سنة ست وستين وولي ابو يعلى حمزة بن الحسين بن احمد العزقى الي ان مات سنة اثنين وسبعين وولي ابو الفضل طاهر بن على القضاعي ثم ولي بعده جلال الدولة ابو القاسم على بن احمد بن عمار ثم صرف وولي سنة خمس وسبعين ابو الفضل هبة الله بن الحسين ابن عبد الرحمن بن نباتة ثم ولي ابو الفضل بن عتيق ثم ولي ابو الحسن على بن يوسف ابن الكمال ثم صرف وولي سنة سبع وثمانين فخر الحكام ابو الفضل محمد بن الحاكم المليجى ثم ولي الحسن بن على بن أحمد المكرمي ثم صرف بعد شهر وولي أبو الطاهر محمد بن رجاء إلي أن مات سنة ثلاث وتسعين وولي أبو الفرج محمد بن جوهر بن ذكاء النابلسي ثم صرف في ربيع الاول سنة اربع وتسعين لكونه أحدث في مجلس الحكم وولى حسين بن يوسف بن أحمد الرصافى ثم صرف وولي ابو النجم بدر بن بدر الحرانى ثم ولي ابو الفضل نعمة بن بشير النابلسي المعروف بالجليس ثم استعفى فاعفى سنة اربع واربعين وولي الرشيد ابو عبد الله محمد بن قاسم بن زيد الصقلى الي ان مات فأعيد الجليس الي ان مات وولي ثقة الملك ابو الفتح مسلم بن على الرسغتى سنة ثلاث واربعين قال ابن ميسر فى تاريخ مصر لما ولي الحكم رفع إلي الافضل اني قد اعتبرت ما في مودع الحكم من مال المواريث وكان يقارب مائة الف دينار ورفعها إلي بيت المال أولي من تركها في المودع وإن لها سنين طويلة لم يطلب شيء منها فوقع على رقعته انما قلدناك الحكم ولا رأي لنا فيما لا نستحقه فاتركه على حاله لمستحقه ولا تراجع فيه ثم اتفق انه صلى إماماً فى مجلس صلاة الصبح وخلفه الوزير المأمون فقرأ سورة الشمس وضحاها فارتج عليه وقرأ ناقة الله وسقناها بالنون فعزل عن القضاء سنة ست

واربعين وولي ابو الحجاج بن ايوب المغربي إلي ان مات سنة احدى وعشرين وولي ابو عبد الله محمد بن هبة الله بن الميسر القيروانى ولقب القاضي الامير سناء الملك شرف الاحكام قاضي القضاة عمدة امير المؤمنين قال في تاريخ مصر وهو الذى اخرج الفستق الملبس بالحلوي ثم صرف في ربيع الاول سنة ست وعشرين وولي ابو الفخر صالح بن عبد الله بن رجاء ثم صرف فى جمادي الآخرة وولي سراج الدين نجم بن جعفر إلي ان قتل فى شوال سنة ثمان وعشرين واعيد ابن الميسر ثم صرف فى المحرم سنة احدى وثلاثين وولي الاعز ابو المكارم أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي عقيل الى أن مات في شعبان سنة ثلاث وثلاثين وأقام الحكم ثلاثة أشهر ثم اختبر أبو العباس أحمد بن الحطئة فاشترط أن لا يحكم بمذهب الدولة فلم يمكن من ذلك وولى فخر الامناء هبة الله بن حسين الانصاري يعرف بابن الازرق فى ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثين ثم صرف في جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وولى أبو الطاهر اسمعيل بن سلامة الانصاري ثم صرف في المحرم سنة ثلاث وأربعين وولي أبو الفضل يونس بن محمد بن حسن المقدسى ثم صرف سنة سبع وأربعين وولى عبد المحسن بن محمد بن مكرم ثم صرف ثم ولي أبو المنجم بدر بن غالى ثم ولى أبو المعالي مجلى بن جميع الشافعي صاحب الذخائر فأقام الي سنة تسع وأربعين ثم صرف وأعيد أبو الفضائل يونس ثم صرف وولى المفضل أبو القاسم جلال الدين هبة الله بن كامل بن عبد الكريم الصورى في شعبان سنة سبع وأربعين ثم صرف في المحرم سنة ثمان وأربعين وأعيد أبو الفضائل يونس ثم صرف في ذى الحجة من السنة وأعيد بن كامل ثم صرف في ربيع الاول سنة تسع وأربعين وولي الاعز أبو محمد الحسن بن علي ابن سلامة المصرى ثم صرف وولى أبو الفتح عبد الجبار بن اسمعيل بن عبد القوى ثم صرف وأعيد ابن كامل في ذى الحجة سنة أربع وستين فلما استولى الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب على القاهرة وزيراً عن العاضد أزال دولة الرفض والشيعة وصرف ابن كامل وولي صدر الدين عبد الملك بن درباس الكردى الشافعى قضاء القضاة بالقاهرة وذلك في سنة ست وستين وأربعمائة فأقام الى أن صرف بعد وفاة صلاح الدين في ربيع الأول في سنة تسعين في أيام العزيز وولى في سنة خمس وتسعين وأربعمائة محيي الدين محمد أبو حامد بن الشيخ شرف الدين عبد الله بن هبة الله بن أبى عصرون ثم صرف في سنة احدى وتسعين وولي زين الدين على بن يوسف بن عبد الله بن بندار الدمشقي ثم عزل في جمادى الاولى من السنة وأعيد ابن أبي عصرون ثم عزل في محرم سنة اثنتين وتسعين وأعيد بن بندار ثم صرف فى محرم سنة أربع وتسعين وأعيد صدر الدين ثم صرف في جمادى الاولى سنة خمس وتسعين وأعيد زين الدين بن بندار وذلك لما

انتزع الملك الافضل علي بن السلطان صلاح الدين بن أيوب مملكة مصر من ابن أخيه المنصور محمد العزيز عثمان وكتب له الصاحب ضياء الدين نصر الله بن الاثير الجزرى تقليدا هذه صورته رب أوزعني ان أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وان أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين من السنة أن تفتتح صدور التقليدات بدعاء يعم بفضله ويكون وزاناً للنعمة الشاملة من قبله وخير الادعية ما أجراه الله على لسان نبي من أنبيائه أو رسول من رسله وكذلك جعلنا من هذا التقليد الذى أمضي الله قلمنا في كتابه وصرف أمرنا في اختيار أربابه ثم صلينا على رسوله محمد الصادع بخطابه الساطع بشهابه الذى جعلت الملائكة من أحزابه وضرب له المثل بقاب قوسين في اقترابه وعلى آله وصحبه الذين منهم من خلفه في محرابه ومنهم من كملت به عدة الاربعين من أصحابه ومنهم من جعل أثواب الحياء من أثوابه ومنهم من بشر أنه من أحباب الله وأحبابه (أما بعد) فان منصب القضاء في المناصب بمنزلة المصباح الذى به يستضاء أو بمنزلة العين التي عليها تعتمد الاعضاء وهو خير مارقت به الدول مسطور كتابها وأجزلت به مدخور ثوابها وجعلته بعد الاعجاب كلمة باقية في أعقابها وقد جعله الله ثاني النبوة حكما واورثه علماً والقائم بتنفيذ شرعها مادام الاسلام يسمى لايستصلح له الا الواحد الذى يعد محفلا في محفله واذا جاءت الدنيا بأسرها خفت على انملته وقد اجلنا النظر مجتهدين وعولنا على توفيق الله معتضدين وقدمنا قبل ذلك صلاة الاستخارة وهي سنة متبوعه وبركة في الاعمال موضوعه لاجرم ان أرشدنا في أثرها الى من صرح الرشد فيه بأثره وقال الناس هذا هو الذي جاء على فترة من وجود أنظاره وهو أنت أيها القاضى فلان مهد الله لجنبك وجعل التوفيق من صحبك وأنزل الحكمة على يدك ولسانك وقلبك وقد قلدناك هذا المنصب بمدينة مصر واعمالها وهى مصر من الامصار تجمع وجوها وأعيانا وقد رسم بانه كرسي مملكته عزا ونبياناً وعظمت سلطانا ولما قلدناك هو علمنا انه سيعود وهو بك غض طرى وان ولايته نيطت منك بكفوء فهى بك حرية وأنت بها حرى ممن طلبها ومن الناس فانها لم تكن عندك مطلوبة ومن انتسب في وجاهته اليها فليست وجاهتك اليها منسوبة وما أردت بها شيئاً سوي تحمل الاثقال وبيع الراحة بالتعب في الاشغال وتعريض النفس لمضاضة الضيم والحيف والوقوف على الصراط الذي هو أدق من الشعرة وأحد من السيف ولكنك في خلال ذلك تشترى الجنة بساعة من ساعتك واذا رعيت مقام ربك فقد أرصدته لمراعاتك وليس في الاعمال الصالحة أقوم من احياء حق وضع في لحده أورد حق مطلت الايام برده فاستخر الله تعالى وتول ماوليناك بعزيمة لانك بها شامه ولا تأخذها في الله ملامه وهذا زمان قد تلاشت فيه العلوم

وعفت رسوم الشريعة حتى صارت كالرسوم ومشت الامة المطيطا وخلفها ابنا فارس والروم واذا نظر الى دين الله وجد وقد خلط أمره خلطا وتخطى رقاب الناس من هو جدير بان يخطا وآذنت الساعة بالاقتراب حتى كاد ان يستوى مابين السبابة والوسطى والمتصدى لحفظه بعد نقله بنقلين وفضله بفضلين ويؤتيه الله من رحمته كفلين وحق له ان يتقدم على السلف الصالح الذى كان كثيراً رشده حسنا هديه وقصده وكان قريبا برسول الله صلى الله عليه وسلم فان أولئك لم يؤتوا من جهاله ولا حرموا من مقاله ولا حدث في زمانهم بدعة وكل بدعة ضلاله ونحن نرجوا أن يكون ذلك الرجل الذى وزن بالناس فرجح وزنه وسبق القرون الاول وان تأخر قرنه ولقد ألبسنا الله بك لباساً يبقى جديداً ويسرنا للعمل الذى يكون محضرا لا للعمل الذى نود لو ان بيننا وبينه أمدا بعيدا واياك ثم اياك ان تقف معنا موقف الاعتذار ومانخشى عليك الا الشيطان الناقل للطباع في تقاليب الاطوار ولطالما أقام عابدا من مصلاه وغره با تساك حيله ودلاه ولمكانتك عندنا أضربنا عن وصيتك صفحا وتوسمنا ان صدرك قد شرحه الله فلم نزده شرحا والذى تضمنه تقليد غيرك من الوصايا لم يسفر الاعن نقاب خطي الاقلام وقصر أقوالها عن المماثلة من مراتب أولى التعليم وبين العلماء الاعلام ولا يفتقر الى ذلك الامن ثقل منصب القضاء على كاهله وقضى جهله بحربه عليه وفرق بين عالم أمر وجاهل وأما أنت فان علم القضاء بعض مناقبك وهو من أوانسك لا من غرائبك لكن عندنا أربع من الوصايا لابد من الوقوف فيها على سنن التوقيف وابرازها الى الاسماع في لباس التحذير والتخويف فالاولى منهن وهى المهم الذى زاغت عنه الابصار وهلك من هلك فيه من الابرار ولربما سمعت هذا القول فظننته مما تجوز في مثله القائلون وليس كذلك بل هو نبأ عظيم أنتم عنه غافلون وسنقصه عليك كما فوضناه اليك وذلك هو التسوية في الحكم بين اقوالك وأفعالك والاخذ من صديقك لعدوك ومن يمينك لشمالك وقد علمت انه لم تخل دولة من الدول من قوم يعرفون بطيش الحلوم ويغترون بقرب السلطان وهو ظل عليهم لايدوم واذا دعوا لمجلس الحكم حملهم البطر والاشر على الامتناع عن مساواة الخصوم ولا يفرق بين هؤلاء وبين ضعيف لايرفع يدا ولا طرفا ولا يملك عدلا ولا صرفا ونحن نبرأ من مخالفة الدرجات في حكم العزيز الحكيم ولعن الله اليهود الذين نسخوا آية الرجم بما أحدثوه من التجبية والتحميم وقد بسطنا يدك بسطاً ليس له انقباض ولا عليه اعتراض وأنت القاضى الذي لايكون اسمك منقوصا فيقال فيه انك قاض واذا استقللت بهذه الوصية فانظر فيما يليها من أمر الوكلاء القائمين بمجلس الحكم الذين لاترد أحداً منهم الا خليا لويا أو خادعا خلويا واذا اعتبرت أحوالهم وجدوا عذابا على الناس مصبوبا ولا يتم لهم الا في ستر القضايا

ونعيمها ولا يخون في شئ منها الا نحو اماناتها وترخيمها فأرح الناس من هذه الطائفة المعروفة بنصب الحبالة التي تأكل الرشاء وتخرجها في مخرج الجمالة وطهر منها مجلسك الذي ليس بمجلس ظلم وزور وانما هو مجلس عدل وعدالة ومن العدل ان يخلي بين الخصوم حتي يكافح بعضهم بعضاً والمهل في مثل هذا المقام لرعي الرعاية لما يقضى وان كان أحدهم ألحن بحجته فكله الي عالم الاسرار واذا حكمت له بشئ من حق أخيه فلا تبال أن يقطع له قطعة من النار وكذلك فانظر في الوصية المختصة بالشهداء فانهم قد تكاثرت أعدادهم وأهمل انتقادهم وصار منصب الشهادة يسأله وسؤاله من الحرام لامن الحلال وأصبح وهو يورث عن الآباء والاولاد والورانة تكون في الاموال والشاهد دليل يمشى القضاء على منهاجه ويستقيم باستقامته ويعوج باعوجاجه فانف كل من شانتك منه شانيه أو رابتك منه رابيه وعليك منهم بما تخاق بخلق الحياء والورع وأخذ بالقول الذى على مثلها فأشهد أو فدع وأما الوصية الرابعة فانها مقصورة على كاتب الحكم الذى اليه الايراد والاصدار وهو المهيمن على النقض والامرار وينبغى أن يكون عارفا بالحلي والوسوم والحدود والرسوم وان يكون فقيها فى البيوع والمعاملات والدعاوى والبينات ومن أدنى صفاته أن يكون قلمه سائحا وخطه واضحاً واذا استكمل ذلك فلا يستصلح حتي يكون العفاف شعاره والامانة عياره والحفظ والعلم سوره وسواره وهذا الرجل ان خلوت به فامض يده فيما يقول ويفعل واستتم اليه استتامة الواثق الذى لايخجل والله يختار لنا ذلك فيما بيناه من المراشد ويجعل أقوالنا ثمارا يانعة اذا كانت الاقوال من الحصائد وبعد ان بوأناك هذه المكانة وحملناك هذه الامانة فقد رأينا ان نجمع لك من تنفيذ الاحكام وحفظ أصولها وان لانخليك من النظر في دليلها ومدلولها فان الترك يوحش العلوم من معهود أماكنها ويذهب بها من تحت أقفال خزائنها ومنصب التدريس كمنصب القضاء أخ يشهد من عضده ويكثر من عدده فتولى المدرسة الفلانية عالما انك قد جمعت بين سبعين فى قراب وسلكت ياسين الى تحصيل الثواب وركبت أعز مكان وهو تنفيذ الحكم وجالست خير جليس وهو الكتاب ونحن نوصيك بطلبة العلم وصيتين احداهما أعظم من الاخرى وكلتاهما ينبغى ان تصرف اليهما من اهتمامك شطرا فالاولى ان تخولهم فى أوقات الاشتغال وتكون لهم كالرايض الذى لايبسط لهم بساط الراحة ولا يكلفهم مشقة الكلال والثانية ان تذر عليهم أرزاقهم ذرار المساح وتنزلهم فيها على قدر الافهام والقرائح وعند ذلك لاتعدم منهم منبع في كل حين ويسرك في حالتيه من دنيا ودين والله يتولاك فيما ينوبه صالحه ويوفقك للعمل بها لا لان يكون في قلبك سانحه وقد فرضنا لك فى بيت المال

قسما طيبا مكسبه هنيئاً مأكله ومشربه لاتعاقب غدا على كثيره وان حوسبت على قتيله ونقيره والمفروض في هذا المال ينبغي ان يكون على قدر الكفاف لاعلى نسبة الاقدار ورب متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله ومال رسوله ليس له في الآخرة الا النار والدنيا حلوة خضرة تلعب بذوى الالباب وعلاقاتها تجدد الايام فلا تنتهى الآراب منها الا الى آراب ومن أراد الله به خيراً لم يسلك اليها وان سلك كان كمن استظل بظل شجرة ثم راح وتركها ونحن نخلص الضراعة والمسلمة في السلامة من تباعتها وان نوفق لرعي ولاية العدل والاحسان اذ جعلنا من رعاتها وهذا التقليد ينبغي ان يقرأ في المسجد الجامع بعد ان يجمع له الناس على اختلاف المراتب مابين الاباعد والاقارب والعراقيب والذوائب والاشائب وغير الاشائب ولكن قرأته بلسان الخطيب وعلى منبره وليقل هذا يوم رسم بجميل صيته واعتضاض محضره ثم بعد ذلك فأنت مأخوذ بتصفح مطلوبه على الايام واثباته في قلبك بالعلم الذى لايمحى سطره اذا محيت سطور الاقلام واعلم اناغدا واياك بين يدى الحكم العدل الذى تكف لديه الالسنة عن خطابها وتستنطق الجوارح بالشهادة على أربابها ولا ينجو منه حينئذ الا من أتي بقلب سليم وأشفق من قول نبيه لاتأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم والله يأخذ بناصية كل منا اليه ويخرجه من هذه الدنيا كفافا لاله ولا عليه والسلام فولي عماد الدين عبد الرحمن بن عبد العلى بن السكرى مصنف الحواشى على الوسيط ثم صرف في المحرم سنة ثلاث عشرة لانه طلب منه قرض شيء من مال الايتام فامتنع قال القاضي تاج الدين السبكي في الطبقات الكبرى وبلغني انه كان في زمانه رجل صالح يقال له الشيخ عبد الرحمن النويرى وكان كثير المكاشفات والحكم بها وكان القاضي عماد الدين ينكر عليه فبلغ القاضى انه اكثر الحكم بالمكاشفات فعزله فقال النويرى عزلته وذريته فكان كما قال وبلغنى عن الظهير التزمنتى شيخ ابن الرفعة قال زرت قبر القاضي عماد الدين بعد موته بأيام فوجدت عنده فقيراً فقال لي يافقيه يحشر العلماء وعلى رأس كل واحد منهم لواء وهذا القاضى عماد الدين منهم وطلبته فلم أره وولى بعده شرف الدين محمد بن عبد الله الاسكندرانى المعروف بابن عين الدولة قضاء القضاة بالقاهرة والوجه البحرى وتاج الدين عبد السلام بن عبد الخراط مصر والوجه القبلى ثم صرف ابن الخراط في شعبان سنة سبع عشرة وستمائة وجمع العملان لابن عين الدولة ثم صرف ابن عين الدولة عن مصر والوجه القبلى بالقاضي بدر الدين يوسف بن الحسن السنجارى في ربيع الآخر سنة تسع وثلاثين وبقى قاضياً بالقاهرة والوجه البحرى فقط وفي زمنه اتفقت الحكاية التي اتفقت في زمان الامام محمد بن جرير الطبرى وهو ان امرأة كادت زوجها فقالت ان كنت تحبني

فاحلف بطلاقي ثلاثا مهما قلت لك تقول مثله في ذا المجلس فحلف فقالت له أنت طالق ثلاثا قل كما قلت لك فأمسك وترافعا الى ابن عين الدولة فقال خذ بعقصتها وقل أنت طالق ثلاثا ان طلقتك قال ابن السبكي وكأنهما ارتفعا اليه في المجلس وكان بمصر مغنية تدعى عجيبة قد أولع بها الملك الكامل فكانت تحضر اليه ليلا وتغنيه بالجنك على الدف في مجلس بحضرة ابن شيخ الشيوخ وغيره ثم اتفقت قضية شهد فيها الكامل عند ابن عين الدولة وهو في دست ملكه فقال ابن عين الدولة السلطان يأمر ولا يشهد فأعاد عليه القول فلما زاد الامر وفهم السلطان انه لا يقبل شهادته قال أنا أشهد تقبلني أم لا فقال القاضي لا ما أقبلك وكيف أقبلك وعجيبة تطلع اليك بجنكها كل ليلة وتنزل ثاني يوم بكرة وهي تتمايل سكرى على أيدى الجواري وينزل ابن الشيخ من عندك أيحسن ما نزلت فقال له السلطان يا كيواج وهي كلمة شتم بالفارسية فقال ما في الشرع يا كيواج اشهدوا على اني قد عزلت نفسي ونهض فقال ابن الشيخ الى الملك الكامل وقال المصلحة أعادته لئلا يقال لاى شيء عزل القاضي نفسه وتطير الاخبار الى بغداد ويشيع أمر عجيبة ونهض الى القاضي وترضاه وعاد الى القضاء ومن شعره

وليت القضاء وليت القضاء * لم يك شيئاً توليتـه
وقد ساقني للقضاء القضـاء * وما كنت قد ماتمنيته

وأقام الى ان توفى في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وستمائة فولى بعده قضاء القاهرة بدر الدين يوسف السنجاري وولى الشيخ عز الدين بن عبد السلام قضاء مصر والوجه القبلي وكان قدم في هذه السنة من دمشق بسبب ان سلطانها الصالح اسمعيل استعان بالفرنج وأعطاهم مدينة صيدا وقلعة الشقيف فانكر عليه الشيخ عز الدين وترك الدعاء له في الخطبة وساعده في ذلك الشيخ جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب المالكي فغضب السلطان منهما فخرجا الى الديار المصرية فأرسل السلطان الى الشيخ عز الدين وهو في الطريق قاصداً يتلطف به في العود الى دمشق فاجتمع به ولاينه وقال له ما نريد منك شيئاً الا ان تنكسر للسلطان وتقبل يده لاغير فقال الشيخ له يامسكين ما أرضاه يقبل يدى فضلا عن ان أقبل يده ياقوم أنتم في واد وأنا في واد والحمد لله الذى عافانا مما ابتلاكم فلما وصل الى مصر تلقاه سلطانها الصالح نجم الدين أيوب واكرمه وولاه قضاء مصر فاتفق ان استاذ داره فخر الدين عثمان بن شيخ الشيوخ وهو الذى كان اليه أمر المملكة عمد الى مسجد بمصر فعمل على ظهره بناء طيلحاناه وبقيت تضرب هناك فلما ثبت هذا عند الشيخ عز الدين حكم بهدم ذلك البناء وأسقط فخر الدين وعزل نفسه من القضاء ولم تسقط بذلك منزلة الشيخ عند السلطان وظن فخر الدين وغيره ان هذا الحكم لايتأثر به

في الخارج فاتفق ان جهز السلطان رسولا من عنده الى الخليفة المستعصم ببغداد فلما وصل الرسول الى الديوان ووقف بين يدى الخليفة وأدى الرسالة له خرج اليه وسأله هل سمعت هذه الرسالة من السلطان فقال لا ولكن حملتها عن السلطان فخر الدين بن شيخ الشيوخ استاذداره فقال الخليفة ان المذكور أسقطه ابن عبد السلام فنحن لانقبل روايته فرجع الرسول الى السلطان حتي شافه بالرسالة ثم عاد الى بغداد وأداها ولما تولى الشيخ عز الدين القضاء تصدى لبيع أمراء الدولة من الاتراك وذكر انه لم يثبت عنده انهم احرار وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين فبلغهم ذلك فعظم الخطب عندهم واجتزم الامر والشيخ مصمم لايصحح لهم بيعاً ولا شراء ولا نكاحا وتعطلت مصالحهم لذلك وكان من جملتهم نائب السلطنة فاستثار غضباً فاجتمعوا وأرسلوا اليه فقال نعقد لكم مجلساً وننادي عليكم لبيت مال المسلمين فرفعوا الامر الى السلطان فبعث اليه فلم يرجع فأرسل اليه نائب السلطنة بالملاطفة فلم يفد فيه فانزعج النائب وقال كيف ينادى علينا هذا الشيخ ويبيعنا ونحن ملوك الارض والله لاضربنه بسيفي هذا فركب بنفسه في جماعته وجاء الي بيت الشيخ والسيف مسلول فى يده فطرق الباب فخرج ولد الشيخ فرأى من نائب السلطنة مارأى وشرح له الحال فما اكترث لذلك وقال ياولدى أبوك أقل من ان يقتل في سبيل الله ثم خرج فحين وقع بصره على النائب يبست يد النائب وسقط السيف منها وأرعدت مفاصله فبكى وسأل الشيخ ان يدعو له وقال ياسيدى ايش تعمل قال أنادى عليكم وأبيعكم قال ففيم تصرف ثمننا قال في مصالح المسلمين قال من يقبضه قال أنا فتم ماأراد ونادى على الامراء واحدا واحدا وغالى في ثمنهم ولم يبعهم الا بالثمن الوافي وقبضه وصرفه في وجوه الخير واتفق له في ولايته القضاء عجائب وغرائب وفيه يقول الاديب أبي الحسين يحي بن عبد العزيز الجزار

سار عبد العزيز في الحكم سيرا * لم يسره سوى ابن عبد العزيز
عمنا حكمه بعدل وسيط * شامل للورى ولفظ وجيز

ولما عزل الشيخ نفسه عن القضاء تلطف السلطان في رده اليه فباشره مدة ثم عزل نفسه منه مرة ثانية وتلطف مع السلطان في امضاء عزله فأمضاه وأبقى جميع نوابه من الحكام وكتب لكل حاكم تقليدا ثم ولاه تدريس مدرسته التي أنشأها بين القصرين وولى بعده أفضل الدين محمد الخونجي صاحب المنطق والمعقولات فأقام الى ان مات فى رمضان سنة ست وأربعين وستمائة ورثاه العز الاربلي بقصيدة أولها

قضى أفضل الدنيا نعم وهو فاضل * وماتت بموت الخونجي الفضائل

وكان يخلفه على الاحكام الجمال يحي فلم يزل الي أن تولى القاضى عماد الدين القاسم

ابن ابراهيم بن هبة الله الحموى فبقى الى أن صرف في جمادى الاولى سنة ثمان وأربعين وتولى القاهرة وصرف عنها القاضى بدر الدين ورتب قاضياً بمصر والوجه القبلى صدر الدين موهوب بن عمر الجزري وكان نائباً عن الشيخ عز الدين ثم صرف وأعيد القاضى عماد الدين الحموى بمصر ورتب بالقاهرة بدر الدين السنجارى وذلك في رجب سنة ثمان وأربعين ثم بعد ذلك بأيام يسيرة أضيف له مصر أيضاً وذلك في شوال من السنة ثم صرف عنه القضاء بمصر وكان يخلفه أخوه برهان الدين وذلك في رمضان سنة أربع وخمسين ورتب فيه تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الاعز ثم صرف السنجارى عن القاهرة أيضاً وأضيف لابن بنت الاعز الى ان توفي الملك المعز فرتب في القاهرة البدر السنجارى في ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وبقى مع ابن بنت الاعز مصر خاصة ثم اضيف قضاء مصر إيضاً الى السنجارى فى رجب من السنة فاقام الى جمادي الاولى سنة تسع وخمسين فعزل وأعيد تاج الدين بن بنت الاعز لقضاء مصر والقاهرة معاً ثم فى شوال سنة احدى وستين عزل ابن بنت الاعز عن قضاء مصر وحدها وولية برهان الدين الخضر بن الحسن السنجارى وبقى مع ابن بنت الاعز قضاء القاهرة فلم يزل الى رمضان سنة اثنتين وستين فصرف قضاء مصر عن السنجارى وأضيف الى ابن بنت الاعز فلم يزل على هذه الولاية الى أن مات يوم الاحد سابع عشر رجب سنة خمس وستين قال ابن السبكي في الطبقات الكبرى وفى ولايته هذه جدد الملك الظاهر بيبرس القضاة الثلاثة من كل مذهب قاض فى القاهرة ثم فى دمشق وكان سبب ذلك أنه سأل القاضي تاج الدين فى أمر فامتنع من الدخول فيه فقيل له مر نائبك الحنفى وكان القاضي هو الشافعي يستنيب من شاء من المذاهب الثلاثة فامتنع من ذلك فجري ماجري وكان الامر متمحضاً للشافعية فلا يعرف ان غيرهم حكم فى الديار المصرية منذ وليها أبو زرعة محمد بن عثمان الدمشقي فى سنة أربع وثمانين الي أن مات الظاهر الا أن يكون نائب بعض قضاة الشافعية فى جزئية خاصة وكذا دمشق لم يلها بعد أبي زرعة المشار اليه الاشافعي قال ابن ميسر في تاريخ مصر في سنة خمس وعشرين وخمسمائة رتب أبو أحمد بن الافضل فى الحكم أربع قضاة يحكم كل قاض بمذهبه ويورث بمذهبه فكان قاضي الشافعيه سلطان بن رشا وقاضي المالكية أبا محمد عبد المولى بن اللبني وقاضي الاسماعلية ابا الفضل بن الازرق وقاضي الامامية ابن أبي كامل ولم يسمع بمثل هذا وقال ابن ميسر وقد تجدد فى عصرنا هذا الذى نحن فيه أربع قضاة على الاربع مذاهب انتهي قال ابن السبكي وقال اهل التجربة ان هذه الاقاليم المصرية والشامية والحجازية متى كانت البلد فيها لغير الشافعية خربت ومتى قدم سلطانها غير أصحاب الشافعي زالت دولته سريعاً قال وكأن هذا السر جعله الله فى هذه

البلاد كما جعله الله لمالك فى بلاد المغرب ولابى حنيفة فيما وراء النهر قال وسمعت الشيخ الامام الوالد يقول سمعت الشيخ صدر الدين بن المرحل يقول ماجلس على كرسي مصر غير شافعي الا وقتل سريعاً قال وهذا الامر يظهر بالتجربة فلا يعرف غير شافعي الاقطر كان حنفيا ومكث يسيراً وقتل وأما الظاهر فقلد الشافعي يوم ولاية السلطنة ثم لما ضم القضاة الى الشافعي استثنى للشافعي الاوقاف وبيت المال والنواب وقضاة البر والايتام وجعلهم الارفعين ثم انه ندم على مافعل وذكر انه رأى الشافعي فى النوم لما ضم الي مذهبه بقيت المذاهب وهو يقول تهين مذاهبي البلاد لى أو لك قد عزلتك وعزلت ذريتك الي يوم الدين فلم يمكث الا يسيرا ومات ولم يمكث ولده السعيد الا يسيرا وزالت دولته وذريته الي الآن فقراء هذا كلام ابن السبكى قال وجاء بعده قلاوون وكان دونه تمكنا ومعرفة ومع ذلك مكث الامر فيه وفى ذريته الى هذ الوقت وفى ذلك اسرار الله لا يدركها الاخواص عباده قال وقد حكى الظاهر رؤى فى النوم فقيل له مافعل الله بك قال عذبني عذاباً شديداً لجعل القضاة اربعة وقال فرقت كلمة المسلمين وقال أبو شامة لما بلغهم ضم القضاة الثلاثة لم يقع مثل هذا فى ملة الاسلام قط وكان احداث القضاة الثلاثة فى سنة ثلاث وستين وستمائة وأقام ابن بنت الاعز قاضيا أن الي توفى سنة خمس وستين وكان شديد التصلب فى الدين فكان الامراء الكبار يشهدون عنده فلا يقبل شهادتهم وكان ذلك أيضاً من جملة الحوامل على ضم القضاة الثلاثة اليه وحكى أنه ركب وتوجه إلى القرافة ودخل على الفقيه مفضل حتي تولى عنه الشرقية فقيل له تروح إلى شخص حتى تولية فقال لو لم يفعل لقبلت رجله حتى يقبل فانه يسدعني ثلمة من جهنم قال ابن السبكي وكان يقال ان القاضي تاج الدين آخر قضاة العدل واتفق الناس على عدله وقد اجتمع له من المناصب الجليلة ما لم يجتمع لغيره فانه ولي خمس عشرة وظيفة القضاء والوزارة ونظر الاحباس وتدريس الشافعية والصالحية والحسبة والخطابة ومشيخة الشيوخ وامامة الجامع وولى بعده مصر والوجه القبلى محيي الدين عبد الله بن القاضي شرف الدين بن عين الدولة والقاهرة والوجه البحرى تقي الدين محمد بن الحسن بن رزين ثم مات ابن عين الدولة في رجب سنة ثمان وسبعين وعزل ابن رزين في رجب أيضاً سنة ثمان وسبعين لكونه توقف في خلع الملك السعيد وولى صدر الدين عمر بن القاضى تاج الدين بن بنت الاعز فمشى على طريقة والده فى التحري والصلابة ثم عزل نفسه في رمضان سنة تسع وسبعين واعيد ابن رزين فأقام الى أن مات في رجب سنة ثمانين وولى بعده وجيه الدين عبد الوهاب بن الحسين البهنسي قضاء الديار المصرية ثم عزل عن القاهرة والوجه البحرى واستمر على قضاء مصر والوجه القبلى الي ان توفى سنة خمس وثمانين وولي القاهرة بعد عزله عنها شهاب الدين بن الخوبي فأقام الي اول سنة

ست وثمانين فعزل وولي بعده برهان الدين الخضر السنجاري فأقام شهراً ثم توفى وولي بعده تقي الدين عبد الرحمن بن القاضي تاج الدين ابن بنت الاعز مضافاً لما كان معه من قضاء مصر فأنه ولي بعد موت البهنسي وكان من احسن القضاة سيرة وكان ابن السلعوس وزير الملك الاشرف يكرهه فعمل ورتب من شهد عليه بالزور بامور عظام منها انهم احضروا شاباً حسن الصورة واعترف على نفسه بين يدي السلطان بأن القاضي لاط به وأحضروا من شهد بأنه يحمل الزنار فى وسطه فقال القاضي أيها السطان كل ماقالوه ممكن لكن حمل الزنار لايعتمده النصراني تعظيما ولو أمكنه تركه لتركه فكيف أحمله ثم عزل القاضي وكان رجلا صالحالايشك فيه بريا من كل مارمي به وولي بدرالدين محمد بن ابراهيم بن جماعة وذلك فى رمضان سنة تسعين وستمائة فتوجه القاضي تقي الدين الي الحجاز ومدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدة وكشف رأسه ووقف بين يدي الحجرة الشريفة واستغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم وأقسم عليه ان لايصل الى وطنه إلا وقد عاد إلى منصبه فلم يصل إلى القاهرة إلا والسلطان الاشرف قد قتل وكذلك وزيره فأعيد إلى القضاء ووصل اليه الخبر بالعود قبل وصوله إلى القاهرة وذلك فى أول سنة ثلاث وتسعين فأقام فى القضاء إلى أن مات في جمادى الاولى سنة خمس وتسعين وولي بعده الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد بعد امتناع شديد حتي قالوا له إن لم تفعل ولوا فلاناً أو فلاناً لرجلين لا يصلحان للقضاء فرأي ان القبول واجب عليه حينئذ ذكره الاسنوي في الطبقات قال ابن السبكى وعزل نفسه غير مرة ثم يعاد قال الاسنوى وكانت القضاة يخلع عليهم الحرير فامتنع الشيخ من لبس الخلعة وأمر بتغييرها الي الصوف فاستمرت إلي الآن وحضر مرة عند السلطان لاجين فقام اليه السلطان وقبل يده فلم يزد على قوله أرجوها لك بين يدى الله وكان يكتب إلي نوابه ويعظهم ويبالغ في وعظهم ومع ذلك رآه بعض خيار أصحابه في المنام وهو في مسجد فسأله عن حاله فقال أنا معوق ههنا بسبب ثوابي هذا مع الاحتراز التام والكرامات الصحيحة الثابتة عنه فهذا كله كلام الاسنوي ومن لطائفه ماكتب الى نائبه باخميم صدرت هذه المكاتبة الى مجلس مخلص الدين وفقه الله تعالي لقبول النصيحة وأتاه لما يقربه اليه قصدا صحيحا ونية صحيحة أصدرناه اليه بعد حمد الله الذي يعلم خائنة الاعين وماتخفى الصدور ويمهل حتى لايلتبس الامهال بالاهمال على المغرور ونذكره بأيام الله وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ونحذره صفقة من باع الآخرة بالدنيا فما أحد سواه مغبون عسى الله أن يرشده بهذا التذكار وينفعه وتأخذ هذه النصائح بحجزته عن النار فانى أخاف ان يتردى فيخرّ من ولاه معه والعياذ بالله والمقتضى لاصدارها مالمحناه من الغفلة المستحكمة على القلوب ومن تقاعد الهمم مما يجب للرب على المربوب ومن أنسهم بهذه الدار وهم يزعجون عنها وعلمهم

بما بين أيديهم من عقبة كؤود وهم لايخففون منها ولاسيما القضاة الذين تحملوا أعباء الامانة على كواهل ضعيفة وظهروا بصور كبار وهم نحيفة ووالله ان الامر عظيم والخطب جسيم ولا أرى مع ذلك أمناً ولا اقراراً ولا راحة ولا استمراراً اللهم الا رجلا نبذ الآخرة وراه واتخذ الهه هواه وقصر همه وهمته على حظ نفسه ودنياه فغاية مطلبه حب الجاه والرغبة في قلوب الناس وتحسين الزى والملبس والركبة والمجلس غير مستشعر خساسة حاله ولا ركاكة مقصده فانك لاتسمع الموتى وما أنت بمسمع من فى القبور فاتق الله الذى يراك حين تقوم واقصر املك عليه فان المحروم من فضله غير مرحوم وما أنا واياكم ايها النفر الا كما قال حبيب العجمى وقد قال له قائل ليتنا لم نخلق قال وقد وقعتم فاحتالوا وان خفى عليك مثل هذا الخطر وشغلتك الدنيا عن معرفة الوطر فتأمل كلام النبوة القضاة ثلاثة قاض في الجنة وقاضيان في النار وقول النبي صلى الله عليه وسلم لابي ذر مشفقاً عليه لاتأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم وما أنا والسير في متلف مبرح بالذكر الضابط هيهات جف القلم ونفذ حكم الله فلا راد لما حكم به ومن هناك شم الناس من فم الصديق رائحة الكبد المشوى وقال الفاروق ليت أم عمر لم تلده وقال على والخزائن مملوءة ذهباً وفضة من يشترى سيفى هذا ولو وجدت ما أشترى به رداء مابعته وقطع الخوف نياط قلب عمر بن عبد العزيز فمات من خشية العرض وعلق بعض السلف سوطاً يؤدب به نفسه اذا فتر فترى ذلك سداً أم نحن المقربون وهم البعداء فهذه أحوال لاتؤخذ من كتاب السلم والاجارة والجناياة وانما تنال بالخضوع والخشوع وان تظمأ وتجوع ومما يعينك على الامر الذى دعوتك اليه ويذودك في السفر المعرض عليه ان تجعل لك وقتاً وتعمره بالتذكر والتفكر وانابة تجعلها معدة لجلاء قلبك فانه ان استحكم صداه صعب تلافيه واعرض عنه من هو أعلم بما فيه فاجعل أكثر همومك لاستعداد المعاد والتأهب لجواب الملك الجواد فانه يقول فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون ومهما وجدت من همتك قصوراً واستشعرت من نفسك عما بداهلها نفورا فاجررها اليه وقف ببابه واطلب فانه لايعرض عمن صدق ولا يعزب عن علمه خفاياء الضمائر الا يعلم من خلق فهذه نصيحتى اليك وحجتي بين يدى الله ان فرطت اذا سئلت عليك فنسأل الله ولك قلباً شاكرا ولسانا ذاكراً ونفساً مطمئنة بمنه وكرمه وخفى لطفه والسلام واستمر الشيخ الى ان توفى في صفر سنة اثنتين وسبعمائة وأعيد بعده القاضى بدر الدين بن جماعة ثم صرف في ربيع الاول سنة عشر وسبعمائة وولى جمال الدين بن عمر الزرعي ثم صرف وأعيد ابن جماعة فى ربيع الآخر سنة احدى عشرة فلم يزل الى ان عمى سنة سبع وعشرين فولي بعده جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني مصنف التلخيص في المعاني

والبيان فأقام مدة ثم صرف في سنة ثمان وثلاثين وولي بعده عز الدين ابن القاضي بدر الدين بن جماعة فاستمر الى سنة تسع وخمسين فعزل بواسطة صرغتمش وولى مكانه بهاء الدين بن عبد الله بن عقيل مؤلف شرح الالفية وشرح التسهيل فأقام ثمانين يوما وصرف وأعيد ابن جماعة فولى على كره منه واستمر يطلب الاقالة الى جمادى الاولى سنة ست وستين فعزل نفسه وصمم على عدم العود ونزل اليه الامير الكبير يلبغا الي داره ودخل عليه أن يعود فأبى فولى مكانه بهاء الدين ابو البقاء محمد بن عبد البر السبكي فاقام الى أن عزل في سنة ثلاث وسبعين وولى بعده برهان الدين ابراهيم بن جماعة ثم عزل نفسه وولى بدر الدين محمد بن القاضي بهاء الدين بن عبد البر السبكي في صفر سنة تسع وسبعين ثم أعيد البرهان بن جماعة في سنة احدى وثمانين ثم أعيد البدر ابن أبي البقاء في صفر سنة أربع وثمانين ثم ولى ناصر الدين محمد بن المليق في شعبان سنة تسع وثمانين ثم عزل وولى صدر الدين محمد بن ابراهيم المناوى في ذي القعدة سنة احدى وتسعين ثم أعيد بدر الدين بن أبي البقاء في ذي الحجة سنة احدى وتسعين ثم ولى عماد الدين احمد بن عيسى الكركى في رجب سنة ثنتين وتسعين ثم عزل في ذى الحجة سنة أربع وتسعين وأعيد الصدر المناوي في المحرم سنة خمس وتسعين ثم أعيد البدر بن أبي البقاء في ربيع الاول سنة ست وتسعين ثم أعيد المناوي فى شعبان سنة سبع وتسعين ثم ولي تقى الدين الزبيري فى جمادى الاولى سنة تسع وتسعين ثم أعيد المناوي فى رجب سنة احدى وثمانمائة ثم ولي ناصر الدين محمد ابن محمد بن عبد الرحمن الصالحي في شعبان سنة ثلاث ثم ولى جلال الدين البلقيني فى جمادي الاولى سنة أربع في حياة والده ثم أعيد الصالحي في شوال سنة خمس ومات في المحرم سنت ست فولى شمس الدين محمد بن الاخنائي ثم أعيد البلقيني في ربيع الاول من السنة ثم اعيد الاخنائى في شعبان من السنة ثم أعيد البلقينى في ذي الحجة من السنة ثم أعيد الاخنائي في جمادى الاولى سنة سبع ثم أعيد البلقينى في ذي القعدة من السنة ثم أعيد الاخنائى في صفر سنة ثمان ثم أعيد البلقينى في ربيع الاول من السنة فأقام الي محرم سنة خمس عشرة فعزله المستعين وولى شهاب الدين الباعوني فأقام شهراً وعزل ثم أعيد البلقيني في صفر سنة خمس عشرة فأقام الى جمادي الاولى سنة احدي وعشرين وولى شمس الدين محمد بن عطاء الله الهروي وفي ولايته هذه وجد في مجلس السلطان ورقة فيها شعر وهو

يا أيها الملك المؤيد دعوة * من مخلص في حبه لك ينصح
انظر لحال الشافعية نظرة * فالقاضيان كلاهما لا يصلح
هذا أقاربه عقارب وابنه * وأخ وصهر فعلهم مستقبح

غطوا محاسنه بقبح صنيعهم * ومتى دعاهم للهدي لايفلحوا
وأخو مراة بسيرة اللنك اقتدي * وله سهام في الجوانح تجرح
لادرسه يقرء ولا أحكامه * تدري ولاحين الخطابة يفصح
فأرح هموم المسلمين بثالث * فعسى فساد منهم يستصلح

وكان ذلك في أول شعبان فعرض السلطان الورقة على الجلساء من الفقهاء الذين يحضرون عنده فلم يعرفوا كاتبها وطالت الابيات فأما الهروي فلم ينزعج من ذلك وأما البلقيني فقام وقعد واطال البحث والتنقيب عن ناظمها وتقسمت الظنون فمنهم من أتهم شعبان الاثاري ومنهم من أتهم تقي الدين بن حجة قال العيني وبعضهم نسبها لابن حجر قال والظاهر انه هو ثم أعيد البلقيني فى ربيع الاول سنة اثنتين وعشرين فأقام الى أن مات فى شوال سنة أربع وعشرين وولي الشيخ ولى الدين العراقي ثم عزل في ذى الحجة سنة خمس وعشرين وولى شيخنا شيخ الاسلام علم الدين صالح بن شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني ثم تولى الحافظ بن حجر فى المحرم سنة سبع وعشرين ثم أعيد الهروي في ذى القعده من السنة ثم أعيد ابن حجر في رجب سنة ثمان وعشرين ثم اعيد شيخنا البلقيني في صفر سنة ثلاث وثلاثين ثم أعيد ابن حجر فى جمادي الاولى سنة أربع وثلاثين ثم أعيد شيخنا البلقيني فى شوال سنة أربعين ثم أعيد ابن حجر فى شوال سنة احدي وأربعين ثم ولى شمس الدين القاياتى فى المحرم سنة تسع وأربعين فأقام الي ان مات فى المحرم سنة خمسين وأعيد ابن حجر ثم أعيد شيخنا البلقيني في أول المحرم سنة احدي وخمسين ثم ولى ولى الدين السقطي فى نصف ربيع الاول من السنة ثم عزل وأعيد ابن حجر فى ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين ثم عزل نفسه في آخر جمادى الآخرة من السنه وأعيد شيخنا البلقيني فى صفر سنة سبع وخمسين فاقام الى شوال سنة خمس وستين فعزل وأعيد المناوى ثم أعيد البلقيني فى شوال سنة سبع وستين فاقام الي أن مات فى رجب سنة ثمان وستين وأعيد المناوى ثم عزل فى جمادي الآخرة سنة سبعين وولى صلاح الدين المكيني ربيب شيخنا البلقيني ثم عزل بعد ستة أشهر وولى بدر الدين أبو السعادات محمد بن تاج الدين بن قاضي القضاة جلال الدين البلقيني فى أول سنة احدى وسبعين ثم عزل بعد أربعة أشهر وولى ولي الدين أحمد بن أحمد الاسيوطى فى نصف جمادى الاولي من السنة فاقام خمس عشرة سنة ثم عزل في جمادى الآخرة سنة ست وثمانين وولي الشيخ زكريا محمد الانصارى السبكى وقد نظم محمد بن دانيال الموصلى أرجوزة فيمن ولي قضاء مصر من حين فتحت الي عهد البدر بن جماعة فقال

يقول راجي كرم الله العلى * محمد ابن دانيال الموصلى
من بعد حمد للعلى الحاكم * غامرنا بالجود والمراحم
ثم الصلاة بعد ترتيل اسمه * على أحمد الهادى أمين حكمه
وآله وصحبه العدول * شهود حجة أحمد الرسول
فانني ضمنت هذا الشعرا * أنباء كل من تولى مصرا
من سائر القضاة والحكام * مذ ملكتها ملة الاسلام
من لدن بن العاص اعنى عمرا * لفتحها الى هلم جرى
لكنني اخترت الكلام الرجزا * فى حصرهم اذ كان لفظاً موجزاً
أول من ولي القضا للحكم * قيس فتي عدي بن سهم
وآل بعده لكعب عبس * ثم لعثمان بغير لبس
ثم ولى سليم نجل عتر * وبعده السائب نجل عمرو
ثم يليه عابس المرادى * وبعده ابن النضر فى البلاد
وآل بعده لعبد الرحمن * ثم الى مالك نجل خولان
ويونس من بعده ولى القضاة * ثم ولى اوس بعزم منتضي
ثم تولى الحكم عبد الرحمن * ثم وليه بعد ذاك عمران
وبعده صار لعبد الاعلى * وابن جريج ذى الفخار الاعلى
ثم لعبد الله ذاك القاضي * آل ومن بعد الى عياض
عاد للقضا بحكم ثانى * ابن حجيرة الفتى الخولاني
ثم الى عياض آل ثانيه * ثم لعبد الله غوانيه
والحضرمي ثم للخيار * ثم يزيد جاء فى الآثار
وآل بعد توبة وخير * الى ابن سالم بكل خير
هذا وفى عصر بني العباس * صار نعيم ثابت الاساس
وعاد غوث بعد ذاك يحكم * ثم ولى يزيد بعد فاعلموا
وعاد غوث قبل ابراهيما * والحضرمي بعده مأموما
ثم لاسماعيل نجل اليسع * ثم تلاه الغوث خير تبع
وبعد هذا حكم المفضل * ثم أبو طاهر ذاك الافضل
ثم المفضل الامين حكما * ثم ان ابن مسروق وما ان ظلما
ثم وليها بعده التجيبي * والعمرى أيما نجيب
وبعده البكرى وابن البكا * ثم ابن عيسي وهو أزكي نسكا

والاسلمي حاكم الشريعة * ثم ابن عيسي اسمه لهيعة
ثم لابراهيم نجل القاري * ثم لابراهيم ذي الفخارى
ثم لعيدي آلة الاحكام * وبعده زهريها الامام
ثم ولى الاحكام نجل شداد * وبعده الحارث خير الاجواد
وبعد ما ولى دحتم الامصار * صار لها قاضي القضاة بكار
هذا ونجل عبدة تولى * ثم أبو زرعة لما ولي
ثم ابن عبدة تولى الحكما * وكان فيه بالمحل الاسمي
ثم ابن حرب وأبو الذكر حكم * قبل الكريزي زمانا في الامم
والجوهرى وهو نعم القاضى * ومن به قد وقع التراضي
وبعده أحمد وابن أحمدا * وأحمد ثانيه فيها اغتدي
وصرفوه بابن زبر فقضي * من قبل اسماعيل فيما قدمضي
ثم ابن مسلم ونجل حماد * والسرخسي والصيرفى باسناد
وبعد عبد الله نجل زبر * ولى أبو بكر جميع الامر
ثم ابن زرعة ونجل بدر * من قبل عبد الله نجل زبر
ثم ابن بدر بعد عبد الله * أمسي عليها آمراً وناهي
ثم أبو ذكر تولى والحسن * وبعده الكنثى فى ذاك الزمن
وبعدذا ابن أخت وليد لم يزل * حاكمها والعدل عنه ماعدل
وبعده ولي القضا ابن الحداد * وبعده ابن أخت وليد قدعاد
وبعد ذاك ولد الخطيب * ولى القضاء ولد الخصيب
وبعده محمد قد حكما * ثم أبو الطاهر فيما علما

## ﴿ الدولة المصرية ﴾

وبعد هذا ولد النعمان * ونجله فى ذاك الزمان
ثم ابنه وصنوه الحسين * ولم يشنه فى القضاء شين
وبعد ذاك مالك تولى * ثم أبو العباس فيما يتلى
وقاسم ثم أبو الفتح ولى * وهو بغير قاسم لم يعزل
ثم ابن وهب جاءها فى الاثر * ونالها من قبل نجل ذكر
ثم أعيد أحمد للحكم * ثم ابن وهب فاستمع لنظمي
ثم ولى الحكم بن عبد الحاكم * ثم أعيد بعده للقاسم
ثم لعبد الحاكم الامام * وقاسم وجه بالاحكام

وبعد ولى القضا نجل أسد * وبعده أحمد ذو الحكم الاسد
ثم أعيد ابن أبي كدينه * لما ارتضوا سيرته ودينه
ثم على بعده المعري * ثم الرصافي الجميل الذكر
وبعده ولى القضاء ابن وهب * واين أبي كدينة ذو اللب
وبعده المليجي في المدينة * ولى القضاء وابن أبى كدينه
ثم وليه بعده البازروى * وابن أبي كدنه بغير زور
وبعده العرقى والقضاعى * ولى القضاء حقاً بلا نزاع
ثم جلال الدولة ابن القاسم * عاد فاضحي وهو خير حاكم
وبعده نجل نباتة ولى * وولد الكحال ذو التفضل
وبعده المليجي والمكرم * ثم أبو الطاهر ذو التكرم
وبعده ولى القضا نجل ذكاء * وبعده الحسين وهو ذو الذكاء
ثم ابن بدر وأبو الفضل قضى * من بعده الصقلى وأبو الفضل الرضي
وبعده ابن ظافر تولى * وابن الحسين ذو المقام الاعلى
ثم أبو الفتح ويوسف ولى * وكان كل ذا محل أفضل
ثم وليه ولد الميسر * أعنى سناء الملك رب المفخر
ثم أبو الفخر ونجل جعفرا * ثم محمد ولى بلا مرا
وبعد هذا ولى الرعيني * ثم سناء الملك بغير مين
وبعده نجل عقيل لم يزل * وابن حسين صار حاكم العمل
وابن سلامة ونجل المقدسى * وكان فيها ذا محل أنفس
وابن مكرم ونجل عالى * ثم ضياء الدين ذو الافضال
ثم الاعز وأبو الفتح ولى * وبعده اعيد نجل كامل
وبعد ذاك في زمان الغز * ذوى الفخار والعلي والعز
ولى عبد الملك بن عيسى * قبل على أعني الفتى الرئيسا
ثم ابن عصرون تولى الحكما * وعاد صدر الدين وهو الاسمى
والسكري وأبو محمد * قبل ابن عين الدولة الممجد
ثم تولى يوسف السنجاري * وجاء عز الدين في الآثار
وبعده موهوب أعني الجزرى * والخونجي ثم العماد الحموي
ثم أعيد يوسف السنجارى * ثم تلاه التاج ذو الفخار
وولى البرهان أعنى الخضرا * وعاد تاج الدين فيما عبرا

ثم ولى الاحكام محيي الدين * وابن رزين ذو الحجى الرزين
وبعد عزله تولاه عمر * أعني العلائى وبالعدل أمر
ثم أعيد ابن رزين فحكم * من بعد صدر الدين عدلا فى الامم
ثم الوجيه البهنسي للقضا * عين بعد ذا التقى اذ قضى
وعند ما استعفي لبعد القاهره * عن مصره خص بها أوامره
ثم الشهاب رفعوا محله * واشخصوه من ربى المحله
ولم يزل حتى توفاه الردى * وولى الشامي الفتى ابن أحمدا
ثم ولي القاضى التقى ابن خلف * بعد الوجيه والشهاب المنصرف
وعزلوه عن قضاء القاهره * ثم وليه سيد السناجره
ثم ولى التقي عبد الرحمن * وبان بدر الدين لما ان بان
وعاد بدر الدين للشآم * ثم ولى الحكم الفتى العلامى
ولم يزل حتى توفاه القضا * ثم ولى التقى أبو الفتح القضا
واذ أتاه نازل الحمام * عاد اليها البدر فى التمام
بدر منير كامل الاوصاف * والمنهل العذب المنير الصافي
لا برحت نافذة أحكامه * وخلدت زاهرة أيامه

قلت وقد ذيلت عليه بمن جاء بعد ذلك فقلت

وبعد ذاك قد وليه الزرعي * ثم أعيد البدر لما ان دعى
ثم وليه بعده القزوينى * وبعده ابن البدر عز الدين
وبعده نجل عقيل قد ولى * ثم أعيد العز ذا تجل
وبعده وليه أبو البقاء * وبعده البرهان وهو ذو ارتقاء
وبعده البدر هو السبكي * ثم أتي برهاننا الزكى
ثم أعيد البدر ذو التحقق * ثم وليه الناصر ابن الميلق
ثم وليه صدرنا المناوي * ثم أعيد البدر ذو الفتاوى
ثم تولاه العماد الكركى * ثم أعيد الصدر ذو التمسك
ثم أعيد البدر ثم الصدر * ثم الزبيرى وعاد الصدر
ثم وليه بعد ذاك الصالحى * ولم يكن في علمه بالراجح
ثم وليه ولد البلقيني * عالم عصره جلال الدين
ثم أعيد الصالحى النائي * ثم وليه محمد الاخنائي
وبعده عاد الجلال للقضا * ثم مت الاخنائي وهو من مضى

ثم الجلال بعده الباعوني * ثم الجلال باذل الماعون
ثم وليه الهروى ثم الجلال * ثم العراقيّ الولى ذو الكمال
ثم وليه العلم البلقيني * فحافظ العصر شهاب الدين
ثم أعيد الهروى ثم استقر * من بعد عزله شهاب ابن حجر
ثم أعيد شيخنا ابن حجر * ثم أعيد شيخنا فابن حجر
ثم وليه بعده القاياتي * ثم أعيد حافظ السنات
ثم أعيد شيخنا البلقيني * ثم أتي السفطي ولى الدين
ثم أعيد بعد ذاك ابن حجر * ثم أعيد شيخنا ثم استقر
من بعد ذاك الشرف المناوى * وشيخنا من بعد ذو الفتاوى
ثم أعيد بعد ذاك الشرف * ثم أعيد شيخنا فالشرف
ثم الصلاح وهو المكيني * ثم ولى البدر هو البلقيني
ثم السيوطي ولى الدين ثم * للشيخ أعنى زكريا الحكم عم

## ذكر قضاة الحنفية

أول من ولى منهم زمن الظاهر بيبرس في سنة ثلاث وستين وستمائة صدر الدين سليمان بن أبي العز وولى بعده معز الدين النعمان بن الحسن الى ان مات فى شعبان سنة اثنتين وتسعين وولى شمس الدين محمد السروجى ثم عزل أيام المنصور لاجين وولى حسام الدين الحسن بن أحمد الرازى ثم عزل سنة ثمان وتسعين وأعيد السروجي ثم عزل في ربيع الآخر سنة عشر وسبعمائة وولى شمس الدين محمد بن عثمان الحريري الى ان مات في جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وولى برهان الدين ابراهيم بن عبدالحق وقال بعض الشعراء في ذلك

طوبى لمصر فقد حل السرور بها * من بعد ما ميت دهراً بأحزان
كنانة الله قد قام الدليل على * تفضيلها من نبى حق ببرهان

ثم عزل في جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين وولي حسام الدين الحسن بن محمد الغورى ثم عزل فى سنة اثنتين وأربعين وولى زين الدين عمر البسطامي ثم عزل في جمادى الاولي سنة ثمان وأربعين وولى علاء الدين بن التركماني الى ان مات في المحرم سنة خمسين وولى ولده جمال الدين عبدالله الى ان مات في شعبان سنة تسع وستين وولى سراج الدين عمر بن اسحق الهندي الى ان مات في رجب سنة ثلاث وسبعين وولى صدر الدين محمد بن جمال الدين التركماني الى ان مات في ذي القعدة سنة ست وسبعين وولى نجم الدين أحمد بن العماد إسمعيل بن الكشك طلب من دمشق في المحرم سنة سبع وسبعين

ثم عزل وولى صدر الدين على بن أبى العز الاذرعي ثم استعفى فاعفى وولى شرف الدين أحمد بن منصور الدمشقى ثم عزل نفسه في سنة ثمان وسبعين وولى جلال الدين جارالله الى ان مات فى رجب سنة اثنتين وثمانين وولى صدر الدين محمد بن على بن منصور الى ان مات في ربيع الاول سنة ست وثمان وولى شمس الدين محمد بن أحمد الطرابلسى ثم عزل نفسه سنة اثنتين وتسعين وولي مجد الدين اسمعيل بن ابراهيم الكناني ثم عزل في شعبان سنة اثنتين وتسعين وولي جمال الدين محمود القيصرى الى ان مات في ربيع الاول سنة تسع وتسعين وأعيد الطرابلسى الى ان مات فى آخر السنة وولي جمال الدين يوسف ابن موسى الملطى طلب من حلب في ربيع الآخر سنة ثمانمائة فأقام الى ان مات في ربيع الآخر سنة ثلاث وولي أمين الدين عبدالوهاب بن قاضى القضاة شمس الدين الطرابلسى ثم عزل في رجب سنة خمس وولى كمال الدين عمر بن العديم الى ان مات في جمادي الآخرة سنة احدى عشرة وولي ابنه ناصر الدين محمد ثم عزل في رجب من السنة وأعيد الامين بن الطرابلسى ثم عزل في المحرم سنة اثنتي عشرة وأعيد ناصر الدين بن العديم ثم عزل في سنة خمس عشرة وولى صدر الدين على بن الادمى الى ان مات في رمضان سنة ست عشرة وأعيد ابن العديم الى ان مات في ربيع الآخر سنة تسع عشرة وولى شمس الدين الديري طلب من القدس ثم عزل فى ذى القعدة سنة اثنتين وعشرين وولى زين عبد الرحمن بن على النفهى ثم عزل فى ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وولى بدر الدين العينى ثم عزل في صفر سنة ثلاث وثلاثين وأعيد التفهنى ثم عزل في جمادي الآخرة سنة خمس وثلاثين وأعيد العينى ثم عزل في سنة اثنتين وأربعين وولي سعد الدين بن الديري فأقام الى ان عزل قبل موته بيسير في شوال سنة ست وستين وولى محب الدين بن الشحنة ثم عزل في رجب سنة سبع وستين وولى بدر الدين ابن الصواف الحموى الى أن مات آخر العام وأعيد ابن الشحنة ثم عزل في جمادى الآخرة سنة سبعين وولى البرهان ابن الديري ثم عزل وأعيد ابن الشحنة في أول سنة احدى وسبعين ثم عزل في سنة ست وسبعين وولى شمس الدين محمد بن الحسن الامشاطي الى أن مات في رمضان سنة خمس وثمانين وولى شرف الدين موسى ابن عيد طلب من دمشق فأقام دون الشهرين ومات من واقع وقع عليه من الزلزلة بالمدرسة الصالحية في المحرم سنة ست وثمانين وولي شمس الدين محمد بن المغربي ثم عزل في رمضان سنة احدى وتسعين وولى القاضى ناصر الدين الاخميمى

## ذكر قضاه المالكية

أول من ولى منهم زمن الظاهر شرف الدين عمر بن السبكي الى أن مات سنة سبع

وستين وستمائة وولى بعده نفيس الدين بن شكر الى أن مات سنة ثمانين وستمائة وولى تقى الدين بن شاس الى أن مات في ذى الحجة سنة خمس وثمانين وولى زين الدين بن مخلوف النويرى الى أن مات سنة خمس وسبعمائة وولى نور الدين على ابن عبد النصير السخاوى الى أن مات في جمادى الاولى سنة ست وخمسين وولى تقى الدين محمد بن أحمد ابن شاس الى أن مات في شوال سنة ستين وسبعمائة وولي تاج الدين محمد ابن القاضى علم الدين محمد بن أبي بكر بن الاخنائى الى أن مات في أول سنة ثلاث وستين وولى أخوه برهان الدين ابراهيم الى أن مات في رجب سنة سبع وسبعين وولى ابن أخيه بدر الدين عبد الوهاب بن الكمال أحمد ثم صرف في ذى القعدة سنة ثمان وسبعين ووولى علم الدين سليمان بن خالد البساطي ثم عزل في صفر سنة تسع وسبعين وأعيد البدر الاخنائي ثم صرف في رجب من السنة وأعيد البساطي في سنة ثلاث وثمانين وولى جمال الدين عبدالرحمن بن محمد بن خير السكندرى وقال بعضهم في ذلك

قالوا تولى ابن خير * ففيه ثغر الرباط
فقلت ذا فيض خير * من بعد خير البساط

ثم عزل فى جمادى الآخرة سنة ست وثمانين وولى عبدالرحمن بن خلدون ثم عزل في جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وأعيد ابن خير الي أن مات سنة احدى وتسعين وولى تاج الدين محمد بن يوسف الكراكى الي ان مات في شوال سنة ثلاث وتسعين وولي شهاب الدين النحريرى ثم عزل فى ذي الحجة من السنة وولي ناصر الدين احمد بن محمد التنسى الي ان مات في رمضان سنة احدى وثمانمائة وولي ولي الدين ابن خلدون ثم عزل في المحرم سنة ثلاث وولي نور الدين على بن الحلال الي ان مات من عامه وولي جمال الدين عبد الله الاقفهسى ثم عزل بعد شهر وأعيد ابن خلدون ثم عزل في شعبان سنة أربع وولي جمال الدين يوسف البساطى ثم صرف في ذي الحجة من السنة وأعيد ابن خلدون ثم صرف في ربيع الاول سنة ست وأعيد البساطى ثم صرف في رجب سنة سبع وأعيد ابن خلدون ثم صرف في ذى القعدة من عامه وأعيد الجمال الاقفهسى ثم ولي جمال الدين عبد الله ابن القاضى ناصر الدين التنسى في مستهل ربيع الاول سنة ثمان ثم عزل بعد يومين وأعيد البساطي ثم صرف في رمضان من عامه وأعيد بن خلدون ثم لم يلبث ان مات فيه وأعيد جمال الدين التنسى ثم صرف في سادس عشر شوال وأعيد البساطي ثم صرف في شوال سنة اثنتي عشرة وولي شمس الدين محمد ابن على المدني ثم صرف في ربيع الآخر سنة ست عشرة وولي شهاب الدين الاموي ثم أعيد الجمال الاقفهسى الي ان مات في جمادي الاولي سنة ثلاث وعشرين وولي العلامة

شمس الدين البساطى فأقام الي ان مات في رمضان سنة اثنتين وأربعين وولي بدر الدين بن القاضي ناصر الدين التنسى الي ان مات في صفر سنة ثلاث وخمسين وولى ولى الدين السنباطى الى ان مات في رجب سنة احدى وستين وولي حسام الدين بن جرير الى ان مات سنة ثلاث وسبعين وولي أخوه سراج الدين ثم عزل وولي البرهان اللقاني ثم عزل في جمادي سنة ست وثمانين وولي صاحبنا محيي الدين ابن تقى

## ذكر قضاة الحنابلة

أول من ولى منهم زمن الظاهر شمس الدين محمد بن العماد الجماعيلي ثم عزل سنة سبعين وستمائة ولم يل الوظيفة بعد عزله أحد حتى توفي سنة ست وسبعين وولى عز الدين عمر بن عبد الله بن عوض في جمادي الآخرة سنه ثمان وسبعين الى ان مات سنة ست وتسعين وولي شرف الدين عبد الغني بن يحيي الحرانى الى ان مات في ربيع الاول سنة تسع وسبعمائة وولى الحافظ سعد الدين الحارثي ثم عزل في ربيع الاول سنة اثنتي عشرة وولى تقي الدين بن قاضى القضاة عز الدين عمر ثم عزل وولى موفق الدين عبد الله بن محمد المقدسي في جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين الى ان مات في المحرم سنة تسع وستين وولى ناصر الدين نصر الله بن أحمد العقلاني الي أن مات فى شعبان سنة خمس وتسعين وولى ابنه برهان الدين ابراهيم الى ان مات في ربيع الاول سنة اثنتين وثمانمائة وولي أخوه موفق الدين أحمد بن نصر الله ثم صرف وولي نور الدين على الكرى ثم صرف وأعيد موفق الدين الى ان مات في رمضان سنه ثلاث وثمانمائة وولى مجد الدين سالم ثم صرف في سنة ثمان عشرة وولي علاء الدين على بن معلى الى ان مات في صفر سنة ثمان وعشرين وولى محب الدين أحمد ابن نصر الله البغدادى ثم صرف في جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وولي عز الدين عبد العزيز بن على البغدادي ثم صرف في سنة احدى وثلاثين وأعيد محب الدين الى أن مات في جمادي الاولى سنة أربع وأربعين وولى بدر الدين محمد بن عبد المنعم البغدادى الي ان مات في جمادى الاولي سنة سبع وخمسين وولى شيخنا عز الدين أحمد بن قاضي القضاة برهان الدين قاضى القضاة نصر الله الى ان مات في سنة ست وسبعين وولى تلميذه البدر السعدى

## ذكر وزراء مصر

اعلم ان الوزارة وظيفة قديمة كانت للملوك من قبل الاسلام بل من قبل الطوفان وكانت للانبياء فما من نبي الا وله وزير قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام واجعل لي وزيراً من اهلى هارون أخي أشدد به أزرى واشركه في امرى وقال تعالي مخاطبا له سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا وكان للنبي صلي الله عليه وسلم اربعة ورزاء

روى البزار والطبراني في الكبير عن ابن عباس قال قال رسول صلى الله عليه وسلم ان الله أيدني بأربعة وزراء اثنين من أهل السماء جبريل وميكائيل واثنين من أهل الارض أبي بكر وعمر وقد وردت الاحاديث فى وزراء الملوك روى أبو داود عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بالامير خيرا جعل له وزير صدق ان نسى ذكره وان ذكر أعانه واذا أراد الله به غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسى لم يذكره وان ذكر لم يعنه ولم تكن الوزارة في صدر الاسلام الا للخلفاء دون أمراء البلاد فكان وزير ابي بكر الصديق عمر بن الخطاف ووزير عمر ووزير عثمان مروان بن الحكم ذكره ابن كثير في تاريخه ووزير عبد الملك روح بن زنباع ووزير سليمان بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز قال ابن كثير وكان رجاء بن حيوة وزير صدق لخلفاء بني أمية ووزير هشام بن عبد الملك فمن بعده عبد الحميد بن يحيي غيرانه لم يكن أحد فى عهدهم يلقب بالوزير ولا يخاطب بوصف الوزارة وأول من لقب الوزير في الاسلام أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال وزير الخليفة السفاح أول خلفاء بني العباس وقال ابن فضل الله في المسالك لم تكن للوزارة رتبة تعرف مدة بني امية وصدرا من دولة السفاح بل كان كل من اعان من الخلفاء على أمرهم يقال له فلان وزير فلان بمعنى انه موازر له لا انه متولى رتبة خاصة يجرى لها قوانين وتنتظم بها دواوين وأول من نخم قواعد الملك في هذه الامة وعظم عوائد السلطان عبد الملك بن مروان اذ لم يستتب الامر لاحد بعد عثمان بن عفان كما استتب له وكان منه الى معاوية خبط عشواء وأما معاوية فعمرو بن العاص وان كان له وزراء ورداء فانه اجله قدرا واعظم امرا من انه يجري معه مجرى الوزراء اذ كان لايزال كالمتن عليه لانحيازه الى جمعه مع مانكته له في شرفه وما ابقاه في الاسلام وأول من دعي بالوزير في دولة السفاح أبو سلمة حفص سليمان الخلال وكان يقال له وزير آل محمد ثم ان أبا مسلم الخراساني بعث اليه من قتله وفيه قيل هذا البيت

ان الوزير وزير آل محمد ٠ أودى فمن يشناك كان وزيرا

ووزر للسفاح بعده ابو الجهم بن عطية وخالد بن برمك وسليمان بن مخلد والربيع بن يونس ووزر للمنصور ابو ايوب المزرباني وعبد الجبار بن عد والربيع بن يونس وخالد بن برمك وسليمان بن مخلد وعبد الحميد ووزر للمهدى معاوية بن عبد الله الطبرى ويعقوب بن داود ابن طهمان والفيض ابن صالح ووزر الهادى الربيع بن يونس والفضل بن الربيع وابرهيم بن ذكوان فلما استخلف الرشيد وولى الوزارة يحيي بن خالد البرمكي وقال له فوضت اليك امر الرعية وخلعت ذلك من عنقي وجعلته في عنقك فولى من شئت وأعزل من شئت وقال ابراهيم الموصلى في ذلك

ألم تر أن الشمس كانت سقيمة * فلما ولى هارون أشرق نورها
تبسمت الدنيا جمالا بملكه * فهارون واليها ويحيي وزيرها

ومن هذا الوقت عظم أمر الوزارة ولم تكن قبل ذلك بهذه المثابة وهى عن الخلافة في معني السلطنة عن الخلافة الآن وكانت البرامكة كلهم في معنى الوزراء للرشيد خالد ابن برمك وأولاده يحيي والفضل وجعفر حتي قال سلم الخاسر

اذا ماالبرمكى غدا ابن عشر * فهمته أمير أو وزير

ثم لما قتل الرشيد البرامكة استوزر الفضل بن الربيع بن يونس وفى ذلك يقول أبو نواس

مارعى الدهر آل برمك لما * ان رمى ملكهم بأمر فظيع
ان دهراً لم يرع عهدا ليحيي * غير راع ذمام آل الربيع

ووزر للامين الفضل أيضاً ووزر للمأمون الفضل بن سهل ذو الرياستين وأخوه الحسن بن سهل وأحمد بن أبي خالد وعمرو بن مسعدة ووزر للمعتصم الفضل ابن مروان وأحمد بن عمار ومحمد بن عبد الملك الزيات ووزر للواثق محمد بن عبدالملك الزيات ووزر للمتوكل محمد بن عبد الملك أيضاً والفتح بن خاقان ومحمد بن الفضل الخراساني وعبيد الله بن يحيي بن خاقان ووزر للمنتصر أحمد بن الخصيب ووزر للمستعين بن الخصيب وسعيد بن حميد ووزر للمعتز جعفر الاسكاف وعيسى بن فروخ شاه وأحمد بن اسرائيل ووزر للمهتدى ووزر للمعتمد عبيد الله بن يحيي بن خاقان والحسن بن مخلد وسليمان بن وهب وابنه عبيد الله بن سليمان واسمعيل بن بلبل قال محمد ابن عبد الملك الهمدانى في كتاب عنوان السير وزر للمعتضد أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب ثم ابنه أبو الحسين القاسم وهو أول وزير لقب في الدولة فان المعتضد لقبه ولي الدولة وتوفي في زمن المكتفى فوزر له أبو أحمد العباس بن الحسن أحمد بن أيوب وهو أول وزير منع أصحاب الدواوين من الوصول الى الخليفة ووزر للمقتدر أبو الحسن على بن محمد بن الفرات ثلاث مرات وأبو على محمد بن الوزير أبى الحسن عبيد الله بن خاقان وأبو الحسن على بن عيسي بن داود بن الجراح مرتين قال الصولي ولا أعلم انه وزر لبني العباس وزير يشبهه في زهده وعفته وتعبده كان يصوم نهاره ويقوم ليله وكان يسمى الوزير الصالح وقال الذهبي في العبر كان في الوزراء كعمر بن عبد العزيز فى الخلفاء وأبو محمد حامد بن العباس وكان له أربعمائة مملوك يحملون السلاح ولكل منهم عدة مماليك وكان يخدمه على بابه ألف وسبعمائة راجل وعشرون حاجبا يجري مجرى الامراء وأبو العباس أحمد بن عبيد الله ابن الوزير أبي العباس بن الخصيب وأبو على

محمد بن أبي العباس بن مقلة صاحب الخط المنسوب ولما خلع عليه بالوزارة قال نفطويه النحوى

اذا أبصرت فى خلع وزيرا * فقل أبشر بقاصمة الظهور
بأيام طوال فى بلاء * وأيام قصار في سرور

وابو على الحسين بن الوزير ابي الحسين القاسم بن الوزير عبيد الله ولقب عميد الدولة وابو القاسم سليمان بن الوزير وابي محمد الحسن بن مخلد بن الجراح وابو الفتح الفضل ابن جعفر بن محمد بن الفرات المعروف بابن خترابة هؤلاء وزراء المقتدر ووزر للقاهر ابو على بن مقلة وابو العباس بن الخصيب وابو جعفر محمد بن الوزير القاسم ابن الوزير عبيد الله ووزر للراضى أبو على بن مقلة وابنه على ابو الحسين شريكاً مع ابيه فكانت الكتب يكتب عليها من ابى على وعلى بن ابي على ولم يل الوزارة اصغر سناً من على هذا فانه ولي سنة ثمان عشرة سنة وأبو الفتح الفضل بن الفرات وأبو على عبد الرحمن بن على بن عيسى بن داود بن الجراح وأبو القاسم سليمان بن الجراح وأبو جعفر محمد بن القاسم الكرخي وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن يعقوب البريدى وفي أيام الراضي تغلب محمد بن رائق وولى امارة الامراء وصارت الكتب تؤرخ عن ابن رائق وتقدم على الوزير فسقط حكم الوزارة من ذلك الوقت ووزر للمقتفى على بن مقلة وأبو القاسم سليمان بن الجراح وأبو جعفر الكرخي وأبو عبد الله البريدى وأبو الحسين أحمد بن محمد بن ميمون الاخطاس وأبو اسحق محمد بن أحمد القراريطى الاسكافي وأبو العباس أحمد بن عبد الله الاصفهاني ووزر للمستكفى أبو الفرج محمد بن على السريرى قال الهمداني وصادره تورون على ثلاثين ألف دينار وانتقلت الوزارة من كتاب الخلفاء الى كتاب الديلم فلم يخاطب بوزير غيرهم وكتب أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازى للمستكفى وكتب أبو نصر ابراهيم بن الوزير أبي الحسن على بن على بن عيسى للمطيع وكتب أبو الحسن على بن جعفر الاصبهاني للطائع وبعده أبو القاسم عيسى بن الوزير أبي الحسن على بن عيسى وبعده أبو الحسن على بن عبد العزيز بن حاجب النعمان وخوطب برئيس الرؤساء وكتب أيضاً للقادر وبعده ابنه أبو الفضل وبعده أبو طالب محمد بن أيوب ولقب عميد الرؤساء وكتب أيضاً للقائم وبعده رئيس الرؤساء أبو القاسم على بن أبي الفرج الحسن بن مسلمة وخوطب بوزير أمير المؤمنين وهو الذى استدعي الغزالى بغداد وأزال دولة بني بويه ووزر بعده للقائم أبو الفتح منصور ابن أحمد بن دارست الشيرازى وهو أول من خوطب بالوزير لدار الخلافة في الدولة السلجوقية ووزر بعده فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد

ابن جهير الموصلي ووزر أيضاً للمقتدى وبعده ولد عميد الدولة شرف الدين أبو منصور محمد وعزل بالوزير أبي شجاع ظهير الدين محمد بن الحسين ثم عزل وأعيد عميد الدولة وقال أبو شجاع حين عزل

تولاها وليس له عدو * وفارقها وليس له صديق

ووزر للمستظهر عميد الدولة وسديد الملك أبو المعالى الفضل بن عبد الرزاق الاصبهانى وأخو عميد الدولة زعيم الرؤساء أبو القاسم على بن محمد بن جهير وأبو المعالي هبة الله ابن محمد بن على بن المطلب ونظام الدين أبو منصور الحسين ابن أبى شجاع ووزر المسترشد ابنه عضد الدولة أبو شجاع وسنه تسع عشرة سنة وستة أشهر ولم يل الوزارة أصغر منه وأبو نصر أحمد بن نظام الملك وعميد الدولة جلال الدين أبو على الحسن بن صدقة وشرف الدين صدر الاسلام أبو شروان ابن خالد القاساني وهو الذى كلف الحريرى تصنيف المقامات وشرف الدين يمين الدولة أبو القاسم على بن طراد الزينبي العباسى قال الهمداني ولم يل الوزارة عباسى سواه ولقب معز الاسلام عضد الامام صدر الشرق والغرب وكذا قال ابن كثير لايعرف أحد من العباسيين باشر الوزارة غيره وأما الراشد فلم يرتب له وزير مراقبة للعسكري وكان المتولي لامره ناصح الدولة بهاء الدين أبو عبد الله الحسين بن جهير أستاذ الدار اذ ذاك وجلس للمظالم في بيت التوبة جلوس الوزراء ووزر له بالمعسكر جلال الدين بن نوشروان وماتت وزارته ووزر له جلال الدين أبو الرضى ابن صدقة ووزر للمقتفى شرف الدين الزينبي نظام الدين ابو نصر المظفر بن الزعيم على بن جهير وعون الدين أبو المظفر يحيى بن هبيرة وهو منصف كتاب الافصاح وكان من خيار الوزراء وعلمائهم وكان يبالغ فى اقامة الدولة العباسية وحسم مادة الملوك السلجوقية عنهم بكل ممكن حتى استقرت الخلافة بالعراق كله ليس للملوك معهم حكم بالكلية ولله الحمد ووزر للمستنجد بن هبيرة المذكور الى ان مات سنة ستين وخمسمائة فوزر بعده شرف الدين أبو جعفر ابن البلدي ولقب جلال الدين معز الدولة ووزر للمستضىء عضد الدولة رئيس الرؤساء محمد بن عبد الله بن المظفر وقيماز المستنجدي وعضد الدولة بن رئيس الرؤساء بن المسلمة ووزر للناصر أبو المظفر جلال الدين عبد الله بن يونس الحنبلى ومؤيد الدين أبو الفضل محمد بن على بن القصاب وعز الدين أبو المعالى سعيد بن على بن حديدة الانصارى ونصير الدين ناصر ابن مهدى العلوى ومؤيد الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم القمى ووزر للظاهر القمى هذا ووزر للمستنصر القمي أيضاً وشمس الدين أبو الازهر احمد بن محمد بن الناقد ونصير الدين العلقمي ووزر للمستعصم نصير الدين محمد بن الناقد الى ان مات سنة اثنتين

وأربعين وستمائة فلما مات استوزر مؤيد الدين أبا طالب محمد بن أحمد بن العلقمي وهو الوزير المشؤم على الخليفة وعلى بقية بني العباس وعلى سائر المسلمين وعلى نفسه أيضاً فانه الذي مالأ التتار حتى قدموا وأخذوا بغداد وقتلوا الخليفة وجرى ماجرى وقال فيه بعضهم

يافرقة الاسلام نوحوا وأندبوا * أسفا على ماحل بالمستعصم
دست الوزارة كان قبل زمانه * لابن الفرات فصار لابن العلقمي

وقال ابن فضل الله في ترجمته وزير وليته ماوزر وارتفع رأسه وليته رض بالحجر كمن كمون الارقم وسقي الناس من كأسه العلقم واما مصر فكانت امرة بلا وزار الى ايام السلطان احمد بن طولون فعظم امرها ووزر لخمارويه ابو بكر محمد بن وستم المادراى الكاتب ووزر لكافور الاخشيدي ابو الفضل جعفر بن الفرات المعروف بابن خنزابه ووزر للمعز جوهر القائد وللعزيز ابو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس وكان يهودياً فأسلم وفوض اليه الامور في سائر مملكته قال ابن زولاق هو اول من وزر للدولة العبيدية بالديار المصرية وكان من جملة كتاب كافور فلما مات حزن عليه العزيز حزناً شديداً واغلق الديوان اياماً من اجله وكانت وفاته سنة ثمانين وثلثمائة ووزر بعده نصراني يقال له عيسى بن نسطورس ثم قبض عليه ووزر للظاهر أبو القاسم علي بن أحمد الجرجراى في سنة ثمان عشرة وأربعمائة الى أن مات في زمن المستنصر سنة ست وثلاثين فوزر بعده أبو نصر صدقة بن يوسف الفلاحي وكان يهوديا فأسلم وفيه يقول الحسن بن خاقان الشاعر المصري

حجاب واعجاب وفرط تصلف * ومدّ يد نحو العلا ستكلف
فلو كان هذا من وراء كفاية * عذرنا ولكن من وراء تخلف

وكان معه أبو سعد التستري اليهودي يدبر الدولة له فقال بعض الشعراء

يهود هذا الزمان قد بلغوا * غاية آمالهم وقد ملكوا
العز فيهم والمال عندهم * ومنهم المستشار والملك
ياأهل مصر اني نصحت لكم * تهوّدوا قد تهود الفلك

ثم عزل الفلاحي سنة تسع وثلاثين ووزر بعده أبو البركات الحسين بن محمد بن أحمد الجرجراى بن أخي الوزير صفي الدين ثم صرف في شوال سنة احدى وأربعين ووزر القاضي أبو محمد الحسن بن علي البازوري مضافا لقضاء القضاة ولقب الناصر للدين غياث المسلمين الوزير الاجل المكين سيد الرؤساء تاج الاصفياء قاضي القضاة وداعي الدعاة وفي أيامه سأله المستنصر ان يكتب اسمه معه على السكة فكان ينقش عليها

ضربت في دولة آل الهدى * من آل طه و آل ياسين

مستنصر بالله جل اسمه * وعبده الناصر للدين

سنة كذا وطبعت عليها الدنانير نحو شهر فأمر المستنصر ان لاتسطر في السير ثم عزل البازوري عن الوزارة والقضاء في المحرم سنة خمسين ووزر أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلي ثم صرف في ربيع الاول من السنة ووزر أبو الفرج محمد بن جعفر المغربي ثم صرف في رمضان سنة اثنتين وخمسين وأعيد البابلي ثم صرف في المحرم سنة ثلاث وخمسين ووزر أبو الفضل عبد الله بن يحيى بن المدبر ثم صرف في رمضان ووزر أبو ابو محمد عبد الكريم بن عبد الحاكم أخو قاضي القضاة الى ان مات في المحرم سنة أربع وخمسين ووزر أخوه أبو على أحمد مصروفا عن القضاء ثم صرف في شوال وأعيد أبو الفرج البابلي ثم صرف في المحرم سنة خمس وخمسين وأعيد أبو على أحمد بن عبد الحاكم مضافا للقضاء ثم صرف في صفر وأعيد أبو الفضل بن المدبر فمات في جمادى الاولى من السنة ووزر أبو غالب عبد الظاهر بن الفضل بن الموفق المعروف بابن العجمي ثم صرف في شعبان ووزر الحسن بن مجلي بن أسد بن أبي كدينة مضافا للقضاء ثم صرف في ذي الحجة ووزر أحمد بن عبد الحاكم مضافا للقضاء ثم صرف في المحرم سنة ست وخمسين ووزر أبو المكارم المشرف بن أسعد بن عقيل ثم صرف في ربيع الآخر وأعيد أبو غالب عبد الظاهر ثم صرف في رجب ووزر أبو البركات الحسين بن عماد الدولة بجرجراى ثم صرف في رمضان وأعيد الحسن بن مجلى ثم صرف في ذى الحجة ووزر أبو على الحسن بن أبى سعد ابراهيم بن سهل التسترى ثم صرف ووزر محمد بن جعفر المغربي ثم صرف ووزر جلال الملك ثم صرف ووزر خطير الملك بن الوزير البازورى ثم صرف وأعيد ابن أبي كدينة ثم صرف في سنة ست وستين وولى الوزارة التسترى ثم صرف في نصف المحرم سنة سبع وخمسين ووزر أبو شجاع محمد بن الاشرف ابو غالب محمد بن على بن خلف ثم صرف ثاني يومه عنها واعيد ابن ابى كدينة ثم صرف بعد اربعة ايام واعيد ابو شجاع بن الاشرف ثم صرف في نصف ربيع الاول ووزر سديد الدولة أبو القاسم هبة الله بن محمد الرحبي ثم صرف في ربيع الآخر واعيد ابن ابي كدينة ثم صرف فى رجب واعيد ابو المكارم المشرف بن اسعد ثم صرف في شوال ووزر الامير أبو الحسن على بن الانباري ثم صرف في ذي الحجة واعيد سديد الدولة هبة الله ثم صرف في ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين ووزر جلال الملك احمد بن عبد الكريم مضافا للقضاء ثم صرف بعد ايام ووزر ابو الحسن بن طاهر بن وزير ثم صرف بعد ايام ووزر ابو عبد الله محمد بن ابي خامد التنسي يوما واحدا ثم صرف ووزر ابو سعد منصور بن زنبور ثم هرب بعد ايام ووزر ابو العلاء عبد الغنى بن نصر بن سعيد

ثم صرف بعد ايام واعيد ابن ابي كدينة وولى الوزارة امير الجيوش بدر بن عبد الله الجمالى واليه تنسب قيسارية امير الجيوش والعامة يقولون مرجوش وهو باني الجامع الذي بثغر الاسكندرية بسوق العطارين فأقام الى ان مات سنة ثمان وثمانين واربعمائة فقام في الوزارة ولده الافضل ابو القاسم شاهنشاه فوزر للمستنصر بقية ايامه وللمستعلى وصدرا من ولاية الآمر ثم انه قتل ضربه فداوي وهو راكب وذلك في رمضان سنة خمس عشرة وخمسمائة قال ابن خلكان وترك من الاموال مايفوق العد من ذلك من الذهب العين ستمائة ألف الف دينار ومن الفضة مائتين وخمسين أردبا وسبعين ألف توب ديباج أطلس ودواة ذهب فيها جوهر باثني عشر الف دينار وخمسمائة صندوق للبس بدنه وصندوقان كبيران فيهما ابر ذهب برسم النساء ومن سائر الانواع مالا يعلم قدره الا الله وقام فى الوزارة مكانه أبو عبد الله محمد بن مختار بن بابك البطائحى ولقب المأمون وهو باني الجامع الاقمر وله صنف الامام أبو بكر الطرطوشى كتاب سراج الملوك ثم قبض عليه الامر وقتله في سنة تسع عشرة وقام في الوزارة ابو على بن الافضل ولقب أمير الجيوش فلما ولى الحافظ استحوذ الوزير على الامور دونه وحصر الحافظ في موضع لايدخل عليه الا من يريده ونقل الاموال من القصر الى داره ولم يبق للحافظ سوي الاسم فقط ودعى لنفسه على المنابر بناصر أيام الحق هادى العصاة الى اتباع الحق مولي الامم ومالك فضيلتى السيف والقلم وخطب للمهدي المنتظر آخر الزمن فلم يزل كذلك الى ان قتل فى العشرين من المحرم سنة خمس وعشرين قتله مملوك أفرنجي للحافظ بأمره واستوزر بعده مملوكه أبا الفتح يانس الحافظي ولقب أمير الجيوش أيضاً ثم تحيل منه الحافظ فدس عليه من سمه في ماء الاستنجاء فمات واستوزر بعده ابنه الحسن أعنى ابن الحافظ الخليفة وكان ولي عهد ابيه فأقام ثلاثة اعوام يظلم ظلما فاحشاً حتي انه قتل في ليلة أربعين أميرا فخافه أبوه فدس عليه من سمه فهلك في سنة تسعة وعشرين ثم استوزر بهرام الارمني النصراني ولقب تاج الدولة فتمكن في البلاد وأساء السيرة فقبض عليه الحافظ وسجنه واستوزر بعده رضوان ابن الوحشى ولقبه الملك الافضل ولم يلقب وزير بذلك قبله ثم وقع بينه وبين الحافظ فقتله سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة واستقل بتدبير أموره وحده من غير وزير فلما ولى الظافر سنة أربع واربعين وخمسمائة استوزر أبا الفتح بن قضالة بن المغربي ولقب أمير الجيوش فأحسن السيرة ثم قتل سنة خمس وأربعين ووزر ابن صلار ولقب الملك العادل ثم قتل من عامه ووزر أبو نصر عباس الصنهاجى فدس عليه الظافر من قتله فقتل هو أيضا فلما أقيم الفائز وزر له طلائع بن رزيك وتلقب بالملك الصالح وهو صاحب الجامع بجوار باب زويلة وخلع عليه مثل الافضل أمير الجيوش بدر

الجمالى من الطيلسان الماقور وكتب له تقليد من انشاء الموفق أبي الحجاج يوسف بن على بن الخلال ( وهذه صورته بسم الله الرحمن الرحيم ) أما بعد فالحمد لله المنعم على المخلصين من أوليائه بسوابغ آلائه والمتكفل لمن نصره بنصره وتثبيت قدمه واعلائه الممهد لمن قام بحقه أرفع مراتب الدنيا والآخرة والموضح لمن حامي عن الدولة الفاطمة آيات التأييد الباهرة والجامع القلوب على طاعة من اطاعه في الدفاع عن أهل بيت نبيه والمحسن الى من أحسن إلى مهجته غيرة لأئمة الهدى المصطفين من عترة وصيه والمذلل الصعاب لمن رفع راية الايمان ونشرها والميسر الطلاب لمن أحيا كلمة التوحيد وأنشرها ممن حاد الله ورسوله ممن اصطفاه من ابرار عباده والماحي اساءة من أعلن ببيان الحق وجهر بعباده والمعرض من أسعده بالسبق إلى مرضاته لنيل غايات المن الجسيم والمرتب من جاء في ذاته في أرفع مراتب الاجلال والتفخيم والموجب لمن أخاص منه وأحسن عملا تعجيل مقام الفخر الكريم وتأجيل الخلود في النعيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذوا الفضل العظيم والحمد لله الذي أوضح أنوار الحقائق بأنبيائه الهداة وأبان برسله الامناء لعباده مناهج النجاة وجعل العمل بمراشدهم ذريعة الموقنين الى علي المنازل ورفيع الدرجات وختمهم بأفضلهم نفسا ومحتدا وأحقهم بأن يكون لكفأتهم سيدا محمد هادي الانام والداعي إلى الاسلام والمخصوص بانشقاق القمر وتظليل الغمام وأورث أخاه وابن عمه باهر شرفه وبارع علمه وأفرده بامامة البشر وخص واقرها فيه وفي عقبه إلى يوم القيامة بجلى النص فأصبحت الامامة للملة الحنيفية قواما ولاسباب الشريعة باسرها نظاما ونقل الله نورها في أئمة الهدى من نسله فتناولها الآخر من الاول وتلقاها الاكمل عن الاكمل فكلما رام معاند يحيف نورها أو قصد منافق إخفاء ظهورها زاد أنوارها إشراقا ووجد لبدورها إكمالا واتساقا ومكن قواعد دولتها وإن زحزها الغادرون وأحكم معاقدها وإن جهد في حلها الماكرون يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون والحمد لله الذي حفظ بامير المؤمنين نظام الخلافة واتساقها وحمى لمهامنه دوحة الامانة وأبق نضرتها وإبراقها وأورث خصائص الأئمة الراشدين فى آبائه وأودعه سرائر دينه المصونة فى صدور أنبيائه وأيد بموارد الارشاد والالهام وجعل طاعته فرضاً مؤكداً على كافة الانام وخصه بالتوفيق والعصمة وأفاض الامة به سجال الرحمة وأبرم باماتته أمر الملة وجعله من هداة قال جل وعلا فيهم وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين يحمده أمير المؤمنين على ما نقله اليه من خصائص آبائه الأئمة الاطهار وأيده به فى أبصار دعوته من العلو والاستظهار واتخذوه من جنود السماء والارض وأظهر له من معجزاته وآياته

وأظهر من مزيته بمزيته من مظاهر بمظاهر الظفر لالويته ورايته ونسأله أن يصلي على جده محمد نبيه الامين ورسوله المبعوث فى الاميين الهادى إلى جنات النعيم والمحيطة متابعته بالفوز العظيم الذي جلى الله ظلمات الجهالة بمبعثه وشرف الأمة من ذريته بمقامه وموريثه ورد النافر الى الطاعة بالبر والايناس وجعله خير رسول إلى خير أمة أخرجت للناس وعلى أخيه وابن عمه أبينا أمير المؤمنين على ابن أبي طالب قسيمه فى المناسب والفضائل وثالثه في تشفيع الذرائع والوسائل ومفرج الكرب عنه بموازرته وصدق كفاحه وباب مدينة علمه الذى لايوصل اليه الا باستفتاحه وعلى الائمة من ذريتهما الذين بلغ الله بهم الارب والسؤال وأغنى الأئمة بهداهم عن التقفية بعده برسول والعترة المصطفين وأحد الثقلين وبحار العلم الزاخرة والمرجوين لصلاح الدنيا والآخرة وسلم ومجد ووال ورد وأن أمير المؤمنين لما مهده الله من ذوى الشرف الباذخ وحازه لمنصبه من الفخر الاصيل والمجد الشامخ وأفرد به من خلافته على العالمين واورثه اياه من غوامض الحكم الذى لايعقلها الاأعيان العالمين وحباه به من ضروب الوجاهة والكرامة وافاضه عليه من انوار الامامة وواصله اليه من العناية الشاملة والبر الحفى وجمعه له من الاحسان الجلي واللطف الخفى وأقره من مواهب الفضل والافضال لديه وجعل في كل حركة وسكون دليلا واضحاً يشير اليه يقدر نعم الله حق قدرها وبواصل العكوف على الاعتداد بها ونشرها ويبالغ في شكرها قولا وعملا ونية ويجهد نفسه في حمدها اجتهاداً يرجو به درك الامنية ويحقق ان اسماها محلا وقدرا واولاها على كافة البرية ثناء وشكرا واعلاها قيمة واعمها نفعاً وأعذبها ديمة وأجمعها لضروب الجدل والاستبشار واجدرها بان تؤثر في الامم احسن الآثار واوسعها في مضمار الاعتداد مجالا واعظمها على الرئيس والمرؤس نفعاً وجمالا النعمة بك أيها السيد الاجل والنغوث والدعاء اذا كنت نجدة الله المدخورة لامنائه على خلقه والقائم دون البرية بما افترضه عليهم من مظاهرة امير المؤمنين والاخذ له بحقه واللطف الذي كان من الامامة ومن اعدامها حاجزا والنصر الذى أصبح امير المؤمنين بعون الله فائزا وحزب الله القاهر الغالب وشهاب أمير المؤمنين الصائب الثاقب بقي وظله الذى على العام والخاص ومنهل فضله الذى يصفوا ويعذب لذوى الولاء والاخلاص وسيفه الذي يستأصل ذوي الشقاق والنفاق ويده التي ينبعث منها ينابيع العطاء وسحائب الارزاق والولى الذى ارتضاه أمير المؤمنين للمصالح كفيلا والصفى الذى لاتبغى دوالته عن موازرته تبديلا ولا تحويلا فعلوا قدرك عند أمير المؤمنين لاينتهى الي أمد محدود وقيامك فى الاخذ بحقه يتجاوز كل معى مبرور ومقام محمود ودعائه بنصرك الله فى طاعته يصفو عنده كل عظيم في مجافاتك وشفاؤك صدر أمير المؤمنين من اعدائه أعجز القدرة عما يشفى غليله في احسان مجازاتك ولقد

حزت من المآثر مافقت به أهل عصرك قدما وسبقاً وسموت بجالك الى ذوى مجد لاتجد الهمم العلية الى تمنيها مرقا وما زالت في كل أزمنتك سلطانا مهيباً وفردا في المجالس لاتدرك له الافكار ضريباً ومطاعا نبارح بانبائه الاندية والمحافل وهماما باسمه المهائب وتذعن الجافل وسيدا تاتي اليه مقاليد التقدمة والسيادة ومعظما ليس على ماخصه الله به من التعظيم موضع الزيادة وكشف الله أمرك فى الاء فدعاك الائمة ظهيرا وزاد في انعامه على الامة فارتضاك لهداة أهل بيته معيناً ونصيرا ووفر نصيبك من الفضائل والمناقب فوهبك منها ماأفاضه عليك سرفا وأحظي الملوك بتمكنك منهم وكونك لهم فخرا وشرفا فلا رتبة علا الا وقد قرعتها منزلا ولا منزلة سناً الا وقد سموت اليها منتقلا ولا مزية فضل الا احتويت عليها وحزتها ولا منزلة فخر الا طلتها بفضائلك وجزتها ولا مأثرة الا وكنت فاتح بابها ولا منزلة خطيرة الا وأنت مستوجبها وأولي بها ولا سماة مجدالا وخصائلك طالعة في أفاقها أقمارا ولا موقف فضل الا ولك فيه تقدم لاتنازع فيه ولا تمارى فما يوجد مقدم الا وقد فضلته بأثارك وتقدمته ولا مميز الا اسمته في جناب فضلك ورسمته تقلدت جلائل الامور فلبستها نباهة وتقويماً وباشرتها فاحرزت تناقبك جلالة ووجاهة وتفخيما تجر جربك الرتب اذيال الفخر والاجلال وتزهي بأفعالك التي يبعث عليها ماأوتيته من شرف الخلال ولم تذل تدبير أولياء الدولة ورجالها بفضائل سياستك فتثبت لهم الاقدام وتكسبهم عزة النفوس فيستهينوا في حق الانتصار بك ملاقاة الحمام ورمي الله بك طغاة الكفار بتأييد الاسلام واختارك للمجاهدة عن الملة فاصبحت بك مرفوعة الاعلام وأبدت الاعداء الجوامع الباكيات من الحايد والمخلوق وأعمال الحسام فلو يراخى بك الامل في جهادهم لكنت لجلهم مستأصلا ولغدوت لهم عن الاعمال السامية بعرفانك فاضلا فاثرك فيهم الاثر الذى لم يبلغه مجاهد ومافللت في هامهم من حد العضب الصارم بباسل ناطق ويجدل شاهد فما يبلغ التعداد ماجمعته من المناقب والفضائل ولا يستولى الاحصاء على مالك من المفاخر التي لايحيط بها أحد من الملوك الاوائل فتجمع زهد الابدال الى همم الاكاسرة وتوفق في اعمالك بين مايقتضى بصلاح الدنيا وحسن ثواب الآخرة فانت البر التقى النقى الحسيب الطاهر المبرأ من كل دنس وعيب والمرضى خالقه بالافعال التي لايجو بها ليس ولا ريب وواحد الدنيا لايسامى ولا يطاول والملك الاوحد الذي برعت أدوات كماله فما يشابه ولا يماثل جعلتك الفضائل غريباً في الانام وخصك الحظ السعيد بقطرة تهرب فتهرب ان تأتي بمثلها الايام وحويت من الاخلاق الملوكية ماقصر بعظماء الملوك عن مجاراتك وافتنيت من الحكم والمعارف ماجعل كافة العلماء مفترقين بعظم فضيلة ذاتك وقرنت بين من عزه اذفرار البيت ولطافة حكم القلم وكاثرت فيك المعجزات لجمعك

ماافترق من مفاخر الامم فما أشرف ماأفردك الله به من كمال الشجاعة والبراعة وتوحدك بمجده من معجزات تصنيف الصارم والبراعة فسيفك مؤيد في قط العضو والهام وقلمك ماض في البلاغتين مضاء لايدرك الا بالالهام فكم مقام جلال وجلاد فرجته بعصب وبنان وموقف خطاب وضراب كشفت غمته بسن قلم وسنان فسبحان من أفردك باستكمال المآثر وجمع لك من المحاسن ماأعجز وصفه جهد الناظم والناثر وآتاك غاية شرف النفس وكرم الاصل ومكنك من كل منقبة باحراز السبق وادراك الحصل وأطلعك من أفق علا تكاثرت سعوده واستخلصك من منصب سناء سما فاعجز النجم صعوده وانتخبك من بيت عز غدت دعائمه لذات السمهرية وظلاله صفحات القبض المشرفية وحشاياه صهوات الجرد الاعوجية ولقد كان وقع التحامل على الحضرة ببعدك عن فنائها وحسدت على قربك منها المعلم من متابعتك لها وأعراقك في ولائها وحادبك عن موضعك من الاختصاص بها من قصد اهتضامها وأفسد لسوء عقيدته نظامها وصلمها على أنك لم تخل بنصرتها على بعد الدار بل نصرت الحق حيث كان ودرت معه حيث دار وقد كان أمير المؤمنين أسدت الامور وخرجت الصدور وحارت الالباب واستشرف للارتياب يرجو من الله ان يفجأه منك بالفرج القريب ويصمي أعداءه من عزمك بالسهم المصيب واستجاب الله دعاءه فيك بما ماثل دعاء جده رسول الله صلى الله عليه وسلم وضاها وحصل في ذلك على معنى قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ولما أذهب الله بك أيها السيد الاجل الملك الصالح عن دولة أمير المؤمنين غايات المي وأدرك بها ثار أولياء الله من ذوي المباينة والبغي وأحسن له الصنيع بموازرتك وبلغه مظافرتك ومكانفتك لمداه حبل وعلا ماأحاط الخبرة بارجائه وفقه من التعويل عليك لما كان غاية رجائه فقلدك من وزارته وفوض اليك تدبير مملكته وكفالته وجعلك امارة جيوشه الميامين وكفالة قضاة المسلمين وهداية دعاة المؤمنين وتدبير ماهو مردود اليهم من الصلاة والخطابة وارشاد الاولياء المستجيبين والنظر في كل ماغدقه الله من امور أوليائه أجمعين وجنوده وعساكره المؤيدين وكافة رعاياه بالحضرة وجميع أعمال المملكة دانيها وقاصيها وسائر أحوال الدولة باديها وخافيها وكل ماتنفد فيه أوامره ويبوح بشعاره منابره ورد اليك تدبير ماوراء سرير خلافته وسياسة ماتحتوى عليه أقطار مملكته وألقى اليك مقاليد البسط والقبض والرفع والخفض والابرام والنقض والقطع والوصل والولاية والعزل والتصرف والصرف والامضاء والوقف والغض والتنبيه والاخمال والتنويه وجميع مايقتضيه صواب التدبير من الانعام والارغام وما توجبه أحكام السياسة من الاباء والانمام تيمناً مايحقق مبالغتك في متابعته واجتهادك في اعلامنا ودعوته وعلما بان التوفيق لايعد ووراك والمسعود

لايفارق انحاك فتقلد ماقلدك أمير المؤمنين من هذه الرتب العالية والمنزلة التي قرب عليك تناولها اعمالك الزاكية والمنصب الذى تحكم فيه بأمر أمير المؤمنين وتنطق بلسانه وتبطش بيده وتحب وتبغض بقلبه وجنانه جاريا على رسمك في تقوى الله وخشيته واتباع مرضاته واستشعار رجعته ومنتجزا ماوعد به في كتابه اليه ينتهى اليه الحكم وينتسب اذ يقول تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب والعساكر المنصورة فهم أشياع الدين وأعضاد دولة أمير المؤمنين وأبناء دعوة آبائه الراشدين والقائمون بمدافعة الاعداء عن حوزة الدولة العلوية والمدخرون لكفاح المباين للمملكة الفاطمية والمنادون بشعارها فى كل وقت وحين والمعدون للذب عن بيضة المسلمين وأنصار الخلافة وطاردو الوجل والمخافة المصطلون نيران الحرب والكفاح القلوب فى المواقف التي تهتز فيها السيوف وتضطرب كعوب الرماح والممنوحون مزية اللطف لحسن معتقدهم في الطاعة والمستعملون في خدمة ولي نعمتهم جهد الطاقة والاستطاعة ومنهم الامراء والاكابر والاعيان الاجابر وولاة الاعمال وسداد الثغور واللائقة بهم سوامى الرتب ومعالى الامور والاولياء الذين سلمت موالاتهم من الشوائب واشتملوا على غرر المآثر والمناقب والانجاد الذين يندفع بهم الخطب الملم والكفاة الذين يتسرعون الى ماينديون له من كل مهم ومازلت تحسن لهم الوساطة فى المحضر والمغيب وتشيع ذكرهم بما يتضوع نشره ويطيب وتسفر لهم بما يبلغون به آمالهم وتجتهد في توفير المنافع عليهم وتحرص على ايصالها لهم لاسيما الآن وجميع أمرهم اليك مردود وقد ظهر لك من اخلاصهم في الطاعة مقامهم المشهور وسعيهم المحمود فهم خليقون منك بمضاعفة المكرمة والتبجيل جديرون بتوفير حظهم من الاحسان الجزيل فتوخى كلا منهم بما يقتضيه له حاله وتستديمه نهضته واستقلاله وتعرب لهم عما يمنعون به عن محض طاعتهم وصريح مسابقتهم وتسرعهم الى مقارعة الاعداء والمخالفين وتمسكهم بحبل الولاء المتين فاما القضاة والدعاة فانت كافلهم وهاديهم وعلمك محيط بقاصيهم ودانيهم وتأنيك يبعثك على استكفاء عفائهم وديانتهم ويمنعك من استعمال المفضولين في علم وأمانة ويحضك على التعويل على ذوى النزاهة والصيانة فأما الاموال وهى عماد الدول وقوامها وبها يكون استتباب امورها وانتظامها وبستمان على الاستكثار من الرجال والانصار ووفورها تقوم المهابة في نفوس ممالك الاطراف والامصار وأمير المؤمنين يرجو ان تتضاعف بنظرك وتنمى لفاضل سياستك وحمد أثرك تتسع باذن الله في أيامك العمارة وتتوافر بما يعم الاعمال بحسن تأنيك من البهجة والنضارة والرعايا فهم ودائع الله عند من استحفظ امورهم وعياله الذين يتعين على ولاة الامر ان يشرحوا بالرعاية صدورهم وتاكيد الوصايا بتخفيف الوطأة عنهم والامر بالعدل

والاحسان على الصغير والكبير منهم وقد خصك الله بالكمال وحبب اليك من الاحسان والاجمال بغايات تنتج لك من أبواب المصالح مالاتحيط به الوصايا ويشترك فى عائدة نفعه الخواص والاجناد والرعايا وقدرك يجل ان نكثر لك بالقول مانبتدع اضعافه بافعالك المستحسنه ومحلك مرتفع عن التنبيه اذلا تلم بعين رعايتك أغواك ولا سنه والله سبحانه يؤيد الدولة العلوية بعزماتك الثاقبة ويعيد عليها حقوقها بسيوفك القاضبة وآرائك الصائبة ويجعل أمد عمرك مديدا واقبالك في كل وقت جديدا واعمالك مرتضاة عند الله متقبله ووفود المنا الى جنابك متوالية مقبله فاعمل به ان شاء الله تعالي وكتب أمير المؤمنين الفائز على طرة السجل بخطه مانصه لوزيرنا السيد الاجل الملك الصالح من جلالة القدر وعظم الامر وفخامة الشأن وعلو المكان واستيجاب الفضل واستحقاق غاية المن الجزيل ومزية الولى الذى بعثه على بذل النفس في نصرتنا ودعاه دون الخلائق الى القيام بحق متابعتنا وطاعتنا مايبعثنا على التبرع له ببذل كل مصون والابتداء من ذاتنا بالافتراح له كل شيء يسر النفوس ويقر العيون والذى تضمنه هذا السجل من تعريضه وأوصافه فالذى تشتمل عليه ضمائرنا اضعاف اضعافه وكذلك شرفناه بجميع التدبير والا ناله ورفعناه الى أعلى رتب الاصطفاء بما جعلناه له من الكفاله والله تعالى يعضد به دولتنا ويحوط به حوزتنا ويمده بمواد التوفيق والتأييد ويجعل أيامه في وزارتنا ممنوحة بآيات الاستمرار والتأييد ان شاء الله تعالى قلت كانت الوزارة قديما تعدل السلطنة الآن فان الوزير كان نائب الخليفة في بلده يفوض اليه جميع أمور المملكة وتولية من رآه من القضاة ونواب البلاد وتجهيز العساكر والجيوش وتفرقة الارزاق الى غير ذلك مما هو الآن وظيفة السلطان وكان الوزير يلقب بألقاب السلطنة الآن كالملك الصالح ونحوه وقد تقهقر أمر الوزير حتى قال بعض وزواء القرن السابع الوزير الآن عبارة عن حوش كاش عفش يشترى اللحم والحطب وحوائج الطعام والامر كما قال وأقام ابن رزبك وزيراً الى ان قتل في رمضان سنة ست وخمسين في خلافة العاضد وكان العاضد والفائز كلاهما تحت حجره فأقيم بعهده في الوزارة ابنه رزبك ولقب العادل فأقام فيها سنة وأياما وقتل ووزر بعده شاور بن مجير أبو شجاع السعدي ولقب أمير الجيوش وهو الوزير المشؤم الذى يضاهيه في الشؤم العلقمى وزير المستعصم فان هذا قد أطمع الفرنج في أخذ الديار المصرية ومالأهم على ذلك كما ان العلقمى هو الذى أطمع التتار في أخذ بغداد الا ان الله لطف بمصر وأهلها فقيض لهم عسكر نور الدين الشهيد فأزاحوا الفرنج عنها وقتل الوزير شاور بيد صلاح الدين يوسف ابن أيوب وقال بعض الشعراء في ذلك

هنيئا لمصر حوز يوسف ملكها * بأمر من الرحمن قد كان موقونا

وما كان فيما قتل يوسف شاورا * يماثل الا قتل داود جالوتا

وكان قتل شاور في ربيع الآخر سنة أربع وستين وولى الوزارة بعده الامير أسد الدين شيركوه ولقب الملك المنصور لقبه بذلك العاضد فأقام فيها شهرين وخمسة أيام ومات في جمادى الآخرة فاستوزر العاضد بعده ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب ولقب الملك الناصر وقد تقدم ذكر الخليفة التي لبسها يومئذ ثم ان صلاح الدين أزال دولة بني عبيد وأعاد الخطبة لبني العباس في أول سنة سبع وستين فصار لمصر أميرا بعد ان كان وزيرا وجعل وزير القاضي الفاضل محيي الدين عبد الرحيم البيساني فاستمر وزيرا له ولولده الملك العزيز ولولد العزيز الملك المنصور الى ان مات سنة ست وتسعين وخمسمائة فوزر بعده للعادل صفي الدين بن شكر الدميري الى أن عزل سنة تسع وستمائة ووزر للكامل بن شكر أيضاً والحسن بن احمد الدباجي ووزر للصالح جمال الدين علي ابن جرير الرقي ومعين الدين الحسن بن صدر الدين شيخ الشيوخ وأخوه فخر الدين يوسف والقاضي بدر الدين السنجاري والقاضي تاج الدين بن بنت الاعز ووزر لشجرة الدر في دولتها بهاء الدين علي بن محمد بن سليم المعروف بابن حنا ووزر للمعز الاسعد بن الانحس الاشقى هبة الله بن صاعد الفائزي وكان هذا أول شؤم الاتراك في مملكتهم ان عدلوا عن وزارة العلماء الى الاقباط والمسالمة وكان الاسعد هذا نصرانياً فأسلم فلما تولى الوزارة أحدث مكوساً ومظالم كثيرة على نحو ما كانت في أيام العبيديين ووزارتهم النصارى والرافضة وقد كان السلطان صلاح الدين رحمه الله أبطلها فأحدثها هذا الملعون وقد قال فيه بعضهم

لعن الله صاعدا * وأباه قصاعدا

وبنيه فنازلا * واحداثم واحدا

ولما قتل المعز وقبض على ولده المنصور أهين الاسعد هذا ثم قتل في سنة خمس وخمسين وولى الوزارة للمظفر بعده القاضي بدر الدين السنجاري مضافا لقضاء القضاة ثم صرف من عامه عن الوزارة ووليها القاضي تاج الدين بن بنت الاعز ثم صرف في ذي القعدة سنة سبع وخمسين ووزر زين الدين يعقوب بن عبد الرفيع المعروف بابن الزبير فأقام الى أيام الظاهر بيبرس فعزله عن الوزارة في ربيع الآخر سنة تسع وخمسين واستوزر بعده الصاحب بهاء الدين ابن حنا فأقام وزيرا الى أن مات الظاهر وتولى ولده الملك السعيد فأقره على الوزارة وكتب له تقليدا من انشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ( وهذه صورته ) الحمد لله الذي وهب هذه الدولة القاهرة من لدنه وليا وجعل مكان سرها وشد أزرها علياً ورضى لها من لم يزل عند ربه مرضيا